أعلام وشخصيات

تأليف

الشيخ سعد بن عبد الرحمن الحصين رَحِمَهُ اللَّهُ

(١٣٥٣ - ١٤٣٦هـ)

اعتنى به

عضو هيئة التدريس بالمعهد العالي للقضاء

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على أفضل رسله، وعلى آله وصحبه، ومن تبعه على منهاجه إلى يوم الدين. **أما بعد:**

فإن من الأمور التي تأنس بها النفس وتستروح إليها: سير الأعلام، وأعلام السير، وكلما كانت القدوة أو العهد قريبًا من زمن القارئ كان وقعها أكبر، وتأثيرها أكثر؛ لعلمه بأنه ليس غريبًا أن توجد قدوات في أزمنة ماضية؛ فعوامل الصلاح أكثر، وأسباب التَّدين أوفر، لكن وجودها في الزمن الحاضر هو المدعاة لكمال التأثر والتأثير.

وما في السير والتاريخ جُلُّه اعتبار واتعاظ ونظر واسترشاد، وكثير من الخلق لا ينظر إلى العِبر، ولا يدري ما الخبر!

والقدوة قد يكون قدوة في أمر دنيوي لا يزاحم الدين والتدين، فيُضْرَب مثلًا لغيره.

والقدوة الصالحة في أمر الدين هي مطلب المنافسة للآخرة حين يراها ماثلة أمامه أو يتحسس خبرها في كتب مرقومة، قال الله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾ [هُود: ١٢٠]

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هُود: ١٢٠] أي: قلبك ليطمئن ويثبت ويصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن النفوس تأنس بالاقتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتأيد الحق بذكر شواهده، وكثرة من قام به).

وقد رأيتُ أن ما سطره الشيخ سعد الحصين رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد يكون مضرب مَثَلٍ في الكتابة عن سير قد عاصرها وعاصرها غيره، فكان لكتابته عنها أثر لمن تأمل فيها.

وأحسب أن من توفيق الله لشيخنا سعد الحصين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تنويعه الكتابة عن شخصيات مختلفة في دِينها وتديُّنها، وحياتها وبلادها، فتجده يكتب عن غير المسلم ليضرب به مثلًا في الاعتبار، ويضرب مثلًا بقدوة صالحة للمسلمين في أمر دينهم، ويكتب منوهًا عن رجل يصلح أن يكون قدوة في أمور الدنيا، وربما كتب وفاء وبرًّا.

ومع اختلاف الأمثال المضروبة، والسير المكتوبة التي سجلها الشيخ إلا أنك تجد الدعوة إلى الله وإفراده بالعبادة حاضرة فيها، ولو بإشارة أو عبارة، وتجد صيدًا ثمينًا من المعلومات التاريخية التي لا توجد في غيرها، كما تجد بيان منهاج النبوة والتحذير من غيره ظاهرًا، كما حوى على نكت تربوية، وتنبيهات دينية وأخرى لغوية ودنيوية، كما حوى على قصص وحوادث تدمع لها العين، وأخرى لا تملك زمام نفسك من الابتسامة منها بل ربما تصل إلى الضحك.

كل ذلك نشره الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في عدد من المقالات كتبها عن أعلام وشخصيات، رأيتُ جمعها وترتيبها وإعادة نشرها في مجموع واحد.

وهذه المقالات كلها منشورة في موقع الشيخ في الشبكة العالمية (الانترنت).

وكنتُ استمتع كثيرًا بحديث الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ سنوات عديدة، وربما طلبتُ منه كتابة ذلك، فكتب تلبية للطلب «سيرة مسافر سعودي» وبعض المقالات التي وضعتها هنا مضمومة لغيرها.

ولما أضحى شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ أثرًا بعد عين، فربما أمسيتُ أُسلِّي النفس أحيانًا بقراءة ما كتبه، فرأيت أن أجمع شيئًا من آثاره، تذكيرًا به، ووفاء له، فغفر الله له، ورفع درجته، وأعلى في الجنة منزلته.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة السلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

أ.د. محمد فهد عبد العزيز الفريح

الرياض - ١٤٤٢/١٠/٢١هـ

من مجدّدي الدين:
أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما: «**لا يزال هذا الدّين قائمًا حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة**» وفي لفظ لمسلم: «**لايزال هذا الدّين عزيزًا منيعًا إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش**». وعلى هذا فأوّلهم أبوبكر وبقيّة الخلفاء الراشدين ثم معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا، ثم الخلفاء من بني أميّة وآخرهم عمر بن عبد العزيز، وكلّهم من التابعين رحمهم الله جميعًا. وانتهى القرن الأوّل والثاني ولم تكن فتنة في الدّين، وكذلك القرن الثالث غير خمسة عشر عاما في العقد الثالث والرابع منه في عهد المأمون والمعتصم ابني هارون الرشيد والواثق بن المعتصم تجاوز الله عنهم أُلْزِمَ العلماء بالمذهب الذي ابتدعه المعتزلة وسُجِنُوا وجُلِدوا وَقُتِلَ بعضهم، ومُنِعُوا من تعليم المعتقد الصحيح المخالف للمعتزلة، وأبرزهم: الإمام أحمد ابن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ثم جاء الفاطميّون بوثنيّة المقامات والمزارات والمشاهد والأضرحة وما دون ذلك من البدع فَزيَّنَت الشياطين وسَوَّلَت الأنفس الأمّارة بالسّوء لأكثر المنتمين للإسلام الإفتتان بها دون أن يلزم الولاة بذلك، وبفضل الله لا أتذكّر يومًا ألْزِم الناس

فيه بالضلال بعد مشركي قريش في مكة (قبل الولاة العبّاسيّين الثلاثة)، وملوك إسبانيا النّصارى (بعدهم) إثر طرد بقيّة الولاة المسلمين من جنوب إسبانيا قبل (٢٥٠) سنة، أمّا اليوم فالدّولة الإسبانية لا تكتفي بتقنين حريّة الدّين بل تحث المسلمين على الاجتماع (وعادتهم التّفرّق) للحصول على حقوقهم مثل بقيّة الأقلّيّات في إسبانيا.

وروى التّرمذي والحاكم: «**إنّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كلّ مائة سنة من يجدّد لها دينها**»[(١)]. واخترت الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ من بين من جدّد الله بهم دينه في القرون الخيّرة ليكون أول من أضرب به المثل في التّجديد والثبات على الحقّ والصبر والاحتساب، فرغم ما ناله من الأذى على يد ثلاثة من الخلفاء العبّاسيّين جعلهم في حلٍّ منه ونهى عن الخروج عليهم.

🕮 ترجمته[(٢)]:

قال عنه الذهبي في سير أعلام النّبلاء: (هو الإمام حقًّا وشيخ الإسلام صدقًا: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل [وذكر نسبه إلى] بكر بن وائل الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي أحد الأئمة الأعلام)، ولد عام ١٦٤ ومات عام ٢٤١ رَحِمَهُ اللَّهُ، ومما رواه

(١) الصّحيحة ١٨٧٤.

(٢) مما أورده ابن الجوزي في مناقبه والذّهبي في السِّيَر.

الذهبي عن صالح عن أبيه من الطّرائف: قال: (ثقبَتْ أمّي أذنيّ وصيّرت فيهما لؤلؤتين، فلما ترعرعْتُ نزعْتُهما، فبععْتُهما بنحو ثلاثين درهما).

قلت: ظننت أنّ أوّل من وضع اللؤلؤتين في أذنه مايكل جورْدَن اللاعب الأمريكي.

وروى المترجمون له أنه تزوّج بعد الأربعين مرّتين، وتسَرّى مرّة أو مرّتين، ووُلد صالح من أمّ وعبد الله من أمّ، ووَلدتْ له حُسْن الجارية: الحسن والحسين، ثم الحَسَن ثم محمدًا ثم سعيدًا، ثم زينب، وكان عبد الله أكثرهم رواية عنه رحمهم الله جميعًا. حملته أمه من (مَرْو، بخارسان) وهو حَمْل في بطنها فوُلِد في بغداد، وأصله بصريّ وَلِيَ جدّه حنبل سَرْخس ومات والده قبل ولادته رحمهم الله جميعًا.

طلب الحديث وهو ابن ١٥ سنة في بغداد ثم رحل في طلبه إلى الكوفة والبصرة ومكّة والمدينة وصنعاء والشام والجزيرة. وأوّل من أخذ عنه هُشَيْم، ثمّ ابن عيينة وعبد الرزاق ومحمد ابن إدريس الشافعي ووكيع بن الجرّاح ويحيى القطّان. وذكروا نحوًا من (٢٨٠) محدِّثا. وحدّث عنه البخاري حديثا وعن أحمد بن الحسن عنه حديثًا آخر، وحدّث عنه مسلم وأبو داود بجملة وافرة، وروى أبوداود والنّسائي والتّرمذي وابن ماجه عن رجل عنه. وحدّث عنه

الشافعي ولم يسمِّه بل قال: حدّثني الثقة. وحدّث عنه عبد الرّزاق وابن المديني وابن معين، وأممٌ سواهم. وحدّث عنه ابنه صالح، وابنه عبد الله فأكثر،

مصنّفاته:

كان رَحِمَهُ اللَّهُ لا يرى الانشغال بالتأليف، وينهى أن يكتب عنه كلامه ومسائله.

وأعظم مصنفاته: (المسند، نحو ٣٠,٠٠٠ حديث)، وله غيره: (التّاريخ) و(حديث شعبة) و(المقدّم والمؤخّر في القرآن) و(الزهد) و(الإيمان) و(نفي التشبيه) و(الرّدّ على الزّنادقة) وغيرها.

محنة القول بخلق القرآن:

بدأت الفتنة في آخر عهد المأمون العباسي فهو أوّل من ظاهر القول بخلق القرآن من ولاة المسلمين، فكتب إلى صاحب الشرطة ببغداد بامتحان النّاس فامتحنهم. (ت ٢١٨). فأجاب أكثر العلماء فَرَقًا من الحبس والجلد غير أربعة وبعد أيّام في الحبس لم يبق غير الإمام أحمد ومحمد بن نوح رَحِمَهُمَا اللَّهُ، ثم جاء الأمر من المأمون بحملهما إليه في طرسوس فحملا مقيدين. ومات ابن نوح في الطريق رَحِمَهُ اللَّهُ، وقبل أن يصل الإمام أحمد إلى طرسوس جاء الخبر بموت المأمون عام ٢١٨ وأحمد محبوس بالرّقة فرُدّ إلى بغداد وسجن إلى أن جاء المعتصم فامتحنه. وكان المعتصم يوجّه إليه في

كل يوم برجلين يمتحنانه فإذا لم يجبهم زادوا في أغلاله حتى أثقلته، وقال له إسحاق بن إبراهيم صاحب شرطة المعتصم: (إن الخليفة آلى على نفسه إن لم تجبه أن يضربك ضربًا بعد ضرب، وأن يلقيك في موضع لا ترى فيه الشمس).

وحُمِل في أغلاله إلى مجلس المعتصم وفيه ابن أبي دؤاد وغيره من المعتزلة فقال لهم المعتصم (ناظروه، كلموه)، وكان الإمام أحمد يقول لهم غالبًا: (أعطوني شيئًا من كتاب الله ﷻ أو من سنة رسول الله ﷺ)، وكانوا يهوّلون عليه ويخوّفونه، وقُتِلَ اثنان ممن لم يجيبوا، فما خاف الحبس ولا القتل، ولكنّه خاف على نفسه من الضرب بالسّياط أن يضعف فيجيبهم، فقال له أحد من كان معه في الحبس: (إن هما إلّا سوطان ثم لا تدري أين يقع منك الضرب)، وفي اليوم الثالث أحضروه في مجلس المعتصم وناظروه فلم يجبهم، فلما طال المجلس قال المعتصم: (ويْحَك يا أحمد، أجبني حتى أُطْلق عنك بيدي) فردّ عليه نحوًا مما قال، فقال المعتصم: (عليك اللعنة، خذوه واسجنوه وخلِّعوه) ثم جلس على كرسيّ وأمر بالسّياط والعُقَابين وهما خشبتان يشج الرجل بينهما للجَلْد، ومُدَّت يداه فتخلعتا.

ثم قال المعتصم للجلادين: (تقدّموا) فتقدّم أحدهم وضربه سوطين فقال المعتصم: (شدّ قطع الله يدك) فلمّا ضرب الإمام

(١٩) سوطًا قام إليه المعتصم فقال: (يا أحمد، علام تقتل نفسك؟ إني والله عليك شفيق) والإمام يقول: (أعطوني شيئًا من كتاب الله أو سنة رسوله) فجلس المعتصم وقال للجلّاد: (تقدّم، أوجعْ قطع الله يدك) قال الإمام أحمد: (فضُرِبْتُ حتى ذهب عقلي، فأفقت بعد ذلك فإذا الأغلال قد أطلقت عنّي، وأتوني بسَوِيْق فقلت: لست أفطر) وصلى الظهر والدّم يسيل في ثيابه، فمكث في السجن ثمانية وعشرين شهرًا. ولم يزل رَحِمَهُ اللَّهُ يتوجّع، وكان أثر الضّرب بيّنًا في ظهره إلى أن توفي رَحِمَهُ اللَّهُ وأحلّ المعتصم من ضربه. ثم ولي الخلافة الواثق بعد أبيه المعتصم وامتحن النّاس بالقول بخلق القرآن ولكنه لم يَعْرِض لأحمد إما لما علم من صبره، أو خوفًا من عقاب الله، ولكنه أرسل إلى الإمام أحمد: أن لا تساكنّي بأرض، فاختفى الإمام أحمد حتى مات الواثق. ثم تولى الخلافة المتوكل رَحِمَهُ اللَّهُ فأظهر الله به السّنة وأمات به البدعة، وكشف به تلك الغمّة، وأمر بتسيير الإمام أحمد إليه وإلى أن مات أحمد قلّ يوم يمضي إلا ويأتيه رسول المتوكل.

خُلُقه:

بالغ الناس في ذكر زهده وورعه وتواضعه وتعبّده وخوفه من الله، وحلمه، وعفوه عمن ظلمه عدا ابن أبي دؤاد لدعوته إلى الباطل وتأليبه الولاة على من خالف معتقده المبتدع. وأعجبني ما

نقِل عنه أنه ذُكر أبو كريب، فقال: اكتبوا عنه فإنه شيخ صالح، فذُكِرَ له أنه يطعن عليه، فقال: (وأيّ شيء حيلتي، شيخ صالح قد بُلِيَ بي)؛ فليتخذه السّلفيّون وغيرهم قدوة.

مذهبه:

قد يُعَدّ الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ مُحَدِّثًا أكثر مما يُعَدُّ فقيهًا مقارنة بمن سبقه من الأئمة الأربعة رحمهم الله الذين تمذهب خلقٌ بمذهب أحدهم في الدّين (أحكام العبادات والمعاملات بخاصّة) بعد القرون الخيِّرة، وكان نصيب الإمام أبي حنيفة الأكثر ونصيب الإمام أحمد الأقلّ، وكان المقَلِّد من العلماء ـ فضلا عن العوامّ ـ ينتمي إلى مذهب أبي حنيفة في أحكام العبادات والمعاملات، وإلى مذهب الأشاعرة في الاعتقاد؛ وإلى طريقة النّقشبندية في السّلوك أو التّصوّف ـ مثلًا ـ. ولكنّ الله عوّض فقه الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ بالدّعوة السّلفيّة إلى صحيح المعتقد وصحيح السّنة في العبادات والمعاملات التي ميّز الله بها الدّولة السّعودية باحتضانها وتعليمها والحكم بها في بلادها السّعوديّة منذ منتصف القرن الثاني عشر في مراحل حكمها الثلاث، وجدّد الله بها الدّين في كلّ قرن من القرون الثلاثة الأخيرة إلى هذا اليوم بفضل الله ورحمته. قد لا يَقْبَلُ المبتدعة حُكْم السّلفيّ على الدّعوة والدّولة السّلفيّة فما قولهم في حُكْم باحث غير سلفيّ من كبار مشايخ الأزهر البعيدين عن منهاج

السّلف منذ أسّسه الفاطميّون على مذهبهم الشيعي ثم نقله الأيّوبيّون إلى مذهبهم الشافعي قبل نحو تسعة قرون، وكلاهما بعيد عن الانتماء للسّلفية: يقول الشيخ محمد أبو زهرة رَحِمَهُ اللَّهُ (الذي كتب عن كل واحد من الأئمة الأربعة) في كتابه بعنوان: (أحمد بن حنبل): وإذا كان هذا المذهب الجليل [الحنبلي] قد فقد الأتباع في الماضي فإن الله قد عوّضه في الحاضر.

وذلك أن [المملكة العربية السعودية] تسير حكومتها في أقضيتها وعبادتها [وعقيدتها] على مقتضى أحكامه وكان ذلك تعويضًا كريمًا وإخلافًا حسنًا لأن [السعودية] تطبّق الشريعة الإسلاميّة في كلّ أقضيتها، بل إنها تطبق أحكام الحدود والقصاص تطبيقًا صحيحًا كاملًا، فالحدود فيها قائمة ومعالم الشريعة فيها معلنة...

وبذلك قامت دولة الشريعة محكمة البنيان ثابتة الأركان تعلن للناس في كلّ البقاع والأصقاع أنها خير شريعة أُخْرِجَت للناس ...وقد كان ذلك المذهب هو مذهب آل سعود، وإنما كان هؤلاء حنابلة اعتنقوا في العقائد والفقه مذهب محمد بن عبد الوهاب، وهو يعتنق مذهب ابن تيمية في العقائد والفقه، ومذهب ابن تيمية في العقائد والفقه هو مذهب جمهور المسلمين، وهو يمنع التّوسّل والتّقرّب بالموتى ولو كانوا من أهل الصلاح والتّقوى في حياتهم،

ومذهبه في الفقه هو مذهب الإمام [أحمد بن حنبل] مع بعض مسائل أفتى بها ولم يكن فيها مقلّدًا لأحد بل كان متّبعًا لكتاب الله وسنة رسوله) ص ٣٥٦ و٣٥٧. رحمك الله يا علّامة مصر، لقد نَطَقْتَ بما خَرِسَتْ عنه بعض ألْسِنَة السّلفيّين في بلاد الشام والعراق ومصر والسّودان والمغرب العربي وبلاد المسلمين فضلًا عن غيرهم إلا نادرًا خشية لوم اللائمين والفكريّين والحزبيّين.

وما أثبتّه هنا وهو قليل من كثير مما ميّز الله به الإمام أحمد (محنته ومسنده بخاصّة) هو ما جعلني أتقرّب إلى الله بالدّعاء له كلّ ليلة قبل كل علماء الأمّة، وهو ما حبّب إليّ وضع موجز سيرته في موقعي ورابطٍ بمسنده الذي طبعته جمعية المكنز الإسلامي في لخشنتاين ودلني عليه: د. محمد عبد الكريم بن عبيد، وأهداني نسخة منه المهندس عدنان بوقري، وفقهم الله لرضاه بالتّركيز على نشر كتب السّنّة وإماتة كتب البدعة وشرّها كتب التّصوّف المفترى على دين الله.

كتبه

سعد بن عبد الرحمن الحصين عفا الله عنه

تعاونًا على البر والتقوى، وتحذيرًا من الإثم والعدوان

في ١٣/٤/١٤٣٤هـ.

والدي عبد الرحمن
ابن عبد العزيز الحصيّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ

أ ـ ولد عام ١٣٠٦ وتوُفّي عام ١٣٨٦، وكان يقيم مع جدّي عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الوقف إحدى قريتي القراين، على بُعد أربعة أكيال ونصف من شقراء حين كان جدّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمام مسجد الوقف، ولا يفصل بين الوقف وغِسْلة (القرية الثانية من القراين) غير وادي العنبري لا يتجاوز عرضه عشرة أمتار فيما أذكر (وذاكرتي ضعيفة في الحساب)، ولكن لا تَسْلم القرى من الخلاف.

ورُوِي أنّ أهل غِسْلة كانوا يصلّون الجمعة في شقراء حتى يُحْرم مسجد الوقف من العدد المطلوب لصلاة الجمعة في الفقه الحنبلي.

ورُوِي أنّ خطيب مسجد الوقف كان إذا دعا: (وعن بلدنا هذه خاصّة) أشار إلى الوقف وحدها حتّى لا يشمل الدّعاء غِسْلة.

وربّما تجاوز الخلاف هذه الأسطورة، فرأى جدّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يسري بأهله بقطع من الليل خشية أن يَثْني النّاس عزمه عن الانتقال بأهله إلى شقراء عاصمة منطقة الوشم، ولم يَعُدْ يربطنا بالقراين غير

نخلٍ نستفيد منه الرُّطب كلّ عام، يتولى تزويدنا به الشيخ عبد الله ابن حمد السّالم أسكنه الله الفردوس من الجنّة؛ وحِرْصًا من والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على إكرامه كان أوّل من يُقَدِّم له الرّطب كله في صحن كبير، وحرصًا من ابن سالم على المكافأة كان لا يأكل إلّا النّقادة (الرُّطَبَة التي أكل منها الطّير) والرُّطَبَة الرّديئة، وعندما وُلد له ولد أوصى بأن يقوم ولده بنقل الرّطب إلينا بعد موته، ولكنّ ابنه أتمّ دراسة الشّريعة وعُيِّن قاضيًا وتوفّاه الله مبكِّرًا في حادث بسيّارته، رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ تعالى وحفظ من بقي من أهلهما، وكان ابن سالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا عزم على شراء ثمرة نخلٍ إضافيّة لنا يعتني مبكرًا بحرث أرضها وسقيها جزاه الله بالجنة.

ب ـ لم أعرف جدّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولا اثنين من أعمامي (عبد الله ومحمد) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ (وكان الجميع يسكنون منزلًا واحدًا في شقراء مبنيًّا بالطّين مثل كلّ البيوت منذ نحو سبعين سنة. وكلّ عائلة تسكن غرفة واحدة: الأمّ والأب وأولادهما)، ولكنّي فرحتُ بمعرفة ما تميّز به جدّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حُسْن الخلق أسكنه الله الفردوس من جنّته.

أمّا والدي وعمّي (عمر) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ فقد سعدت بالعيش معهما في بيت شقراء بضع عشرة سنة حتى انتقلْتُ إلى الطّائف ثمّ مكّة للدّراسة من أوّل صفوف الدّراسة المتوسّطة حتى آخر سنوات كلّيّة الشريعة، ثمّ إلى مصر للدّراسة العليا حتى عام ١٣٨٠، وفي العام

نفسه انتقل الوالد ببقيّة الأهل إلى المدينة النّبويّة وعاش فيها بقيّة حياته ومات قائمًا على باب المسجد النّبويّ لصلاة العصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ودُفِن بالبقيع.

ج - وعُرِف والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شقراء بأمرين: الاحتساب للأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وخدمة المحتاج إلى خدمته؛ كان عدد من يقرؤون ويكتبون قليلًا، وعدد من يخدم الأمّيّين بما علّمه الله لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، وكان الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أبرزهم (كما أشار العلّامة أبو عبد الرّحمن ابن عقيل في جريدة الجزيرة (العدد/ ١٤٨٣٩/ في ٧/ ٥/ ١٤٣٤ بعنوان: بل أوردتها يا سعد) ومما قاله عفا الله عنه: (آل الحصيّن شجرة مباركة وارفة الظّلال شهيّة الثّمار، ومنهم الشيخ عبد الرّحمن الحصيّن وذرّيته، جعل الله كلّ الخير إرْثًا في أعقابهم، وقد أدركته [يعني: الوالد عبد الرحمن] رئيسًا لهيئة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر بشقراء[وكان محتسبًا قبلها أكثر من عشرين سنة ولله الحمد والمنّة]، وله ثلاث ميزات لم أجدها مجتمعة عند غيره:

أولاها: الاجتهاد في العبادة، وثانيتها: القيام بالاحتساب؛ فهو يفتح دكّانًا لا للتّجارة؛ بل ليكتب التّوثيقات الجديدة وينسخ القديمة [للنّاس] مجّانًا، وثالثتها: ذكاء ودهاء خارق يُلْجِمه وَرَعه).

لم أدرك تميُّز والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالذّكاء والدّهاء (كما أدركه

العلّامة ابن عقيل جزاه الله الفردوس من الجنّة)، ولكن أهل شقراء يذكرون مُلْحةً للشقاري (إمام جامع عفيف فيما بعد): كان شقراويٌّ يصيد الذّئاب وينقلها (ميتة غالبًا) إلى بيته في شقراء ليراها الأطفال بأجرة زهيدة، وفي إحدى المرّات رأى الشقاري رَحِمَهُ اللَّهُ جمعًا من الأطفال متّجهين إلى بيت صائد الذّئاب رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال لهم: لا تحتاجون إلى رؤية ذئب ميّت بأَجْر، تعالوا أريكم ذئبًا حيًّا بدون أجر، فقادهم إلى دكّان الوالد، والذّئب يُضْرب مثلًا للذّكاء والدّهاء في شقراء، رحم الله صاحب حديقة الحيوان ورحمهم، وأما الاجتهاد في العبادة فأشكر الله وأثني عليه وأحمده؛ أكثر ما أذكر من والدي رَحِمَهُ اللَّهُ في المنزل: قراءة القرآن قائمًا وماشيًا وقاعدًا وعلى جنبه، وصلاة التّهجد آخر الليل في ركن من السّطح خُصِّصَ للصلاة.

و - وعُرِف والدي رَحِمَهُ اللَّهُ في شقراء بخدمة المحتاجين، وكان بين منزلنا ودكّان الوالد بيت يسمّى: (بيت الغرباء) يتولّى الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ إسكان الغرباء المعدمين فيه كما يتولى إطعام جائعهم، وتكفين ميّتهم وتشييع جنازته، ودفْع أجرة حفّار القبور، ولا أظنّه فوّت تشييع ميّت صغير أو كبير، غنيّ أو فقير، معروف أو مجهول، ولقد رأيته يشيّع ميتًا وحده مع حفّار القبور.

وربما كان أكثر الغرباء من حجّاج العجم (على أقدامهم) من

إيران والقارّة الهنديّة، وأكثرهم لا يتكلّم اللغة العربيّة، سمع شقراويٌّ أحَدَهم يردّد ما ظنّه: (يا علي شال المِدَاد) لا يقول غيرها، فقال: يا ناس قولوا لعلي الفريح يعطيه مْدَاده [حُصُره]، وهو غالبًا يدعو عليًّا رضي الله عنه من دون الله تعالى بنحو: (يا عليّ شي لله، مَدَد) ليُقرّبه إلى الله عز وجل أو يشفع له عنده.

هـ - وعُرِف والدي رحمه الله بالرّغبة في طلب العلم، فلم يفوِّت واحدة من حِلَق العلم التي كان يتطوّع بها أكثر قضاة شقراء في المسجد الجامع في صباح كلّ يوم (وربما كان الوالد رحمه الله مساويًا لبعضهم في العلم)، وقد طلبه الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله للقضاء، فأرسل أخي عبد الله رحمه الله على بعير إلى الرّياض (مسيرة خمسة أيّام فأكثر) لينقذه الله من القضاء.

وكان لا يفوّت ما دون ذلك من حِلَق العلم: القراءة في رياض الصّالحين بعد صلاة العصر كلّ يوم، وتلقين جواب أسئلة القبر: (من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟) فالجلوس في الحلقة عبادة صحيحة.

و - وكانت مكتبته أوّل ما رأينا من المكتبات وكتب العلوم الشرعيّة، أذكر منها: زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيّم رحمه الله، وتفسير ابن جزيّ رحمه الله (مطبوع على الحجر في الهند)، وأعاره الأخ صالح رحمه الله لأحد زملائه في المدرسة

الابتدائية، وهو حييّ كريم صار فيما بعد من كبار العلماء فأعاد شيئًا منه، وهو يكاد يذوب خجلًا، فقد أكلت البقرةُ ما كُتِب لها منه، وهَوَّن عليه الأخ صالح رَحِمَهُ اللَّهُ الأمر، ولكنّه قال لي: الله يهديه أعرناه ـ هو ـ الكتاب ليستفيد منه لا لتستفيد منه البقرة، عفا الله عنه.

وكان في مكتبة الوالد نسخة من البداية والنّهاية لابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ وانشغل بها الأخ صالح يتدارسها مع أحد زملائه (أذكر صورته ولست متأكّدًا من اسمه) فنهاه الوالد عن ذلك فالعلم الشرعي لا يؤخذ من التّواريخ والسِّيَر، وأُعجبتُ بزاد المعاد حتى قلت: بأنّه خير كتاب طُبِع بعد كتاب الله، وهو خير كتاب في السّيرة ـ وإن لم يُعَدّ من السِّيَر ـ لأنه يرجع فيه إلى الكتاب والسّنّة والفقه الأوّل فيهما بخلاف جميع السِّير، فقراءته عبادة صالحة وتقرّبت إلى الله بتهذيبه لترتيبه شرعيًّا: الأهمّ فالأهمّ شرعًا وحذف ما لم يُسْنَد أو ما لم يصح إسناده وفقًا لتحقيق الأرنؤوطِيَّين أثابهم الله.

ز ـ وكان في مكتبة الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ بعض المخطوطات، وقد أهديناها لمكتبة الملك عبد العزيز في المدينة النّبويّة لاهتمام المكتبات بالمخطوطات أمّا نحن فلم نُصَبْ ـ فضلًا من الله ونعمة ـ بحمّى المخطوطات، بل كَتَبْتُ وزُرْتُ د. يحيى الجنيد السّاعاتي

أوّل المشرفين على مكتبة الملك فهد الوطنيّة بالرّياض أُحَذِّرُه من الانزلاق في فوضى جمع المخطوطات دون تمحيص، فقد كمُلَ الدّين بدونها، والمطبوع خير من المخطوط وأيسر للباحثين وهم القلّة (لا أقول النّخبة)، وأكثر ما لم يُعْرف أو يُحْفظ أو يُطْبع فهو صوفيٌّ أو فلسفيّ أو عَبَثِيّ، وقبْل أن أبارح مكتبه دخل اثنان من الباحثين المحترفين لا يظهر عليهما أثر التّديّن، أرْسَلَتْهما المكتبة للبحث عن المخطوطات في الخارج، فقالا جوابًا على سؤاله: وجدنا كثيرًا من المخطوطات كلّها صوفيّة.

ولعلّ من مخطوطات مكتبة الوالد: أحد أجزاء صحيح البخاري ذكره جدّنا العمّ عبد العزيز بن عبد الله الحصيّن رَحِمَهُ اللَّهُ في وصيّته، وهو من كبار تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهّاب رَحِمَهُ اللَّهُ وكان أوّل وثاني رسول للدّعوة والدّولة السّعوديّة للأشراف في مكّة لمناظرة علمائها في مسائل الاعتقاد (هدم أوثان الأضرحة بخاصّة)، الأولى عام ١١٨٥هـ ذكرها العلّامة ابن غنّام في تاريخه، والثانية عام ١٢٠٤هـ ذكرها ابن غنّام وذكرها العلّامة ابن بشر في تاريخه رَحِمَهُمَا اللَّهُ، وأخذ عنه العلم أخوه العمّ محمد بن عبدالله الحصيّن رَحِمَهُمَا اللَّهُ وكلاهما ولي القضاء في عهد ثلاثة من أئمّة آل سعود رحمهم الله جميعًا.

ح - ومما يُضَيَّع فيه نعمة الله بالمال: ما يُسَمَّى بالآثار

الإسلاميّة: ورقة من المصحف مكتوبة على جلد غزال ـ بزعمهم ـ تباع بمئات الألوف وهي لا تكاد تقرأ، وكانت سنّة القدوة من الصّحابة حَرْق أو دَفْنُ ما لا يصلح للقراءة من أوراق المصحف المخطوطة كما فعل عثمان رضي الله عنه بمصاحف الصّحابة رضي الله عنهم يوم جَمَع القرآن، وأذكر أنّ الأخ صالح رحمه الله وصلته دعوة أمانة مدينة الرّياض على جلد غزال بمناسبة مرور (٥٠) سنة على وجودها، فهاله الإسراف ثم انقطع شسع نعله فأصلحه بدعوة الأمانة.

ومن الإسراف الشّنيع شراء الكتب والمقتنيات الأثريّة الموصوفة زورًا بالإسلاميّة، تقليدًا لأثرياء العالم في تنافسهم على النّوادر لمجرّد نُدْرتها.

وكان أكثر تجارة والدي الدّنيويّة مع البادية بالبيع إلى أجل، ثمّ يقوم عمّي عمر وأخي عبد الله رحمهما الله بملاحقتهم للسّداد عند صرف مرتّباتهم السّنويّة من بيت المال، ويلقون عنتًا من تهرّبهم وتحايلهم، عفا الله عنّا وعنهم.

وكان أكبر همّ والدي في رأيي: الدّين والدّعوة إليه، وقد ورثه في الحرص على إنكار المنكر: أخي إبراهيم رحمه الله وابنه عبد الله بن إبراهيم وفقه الله أكثر ممّن عرفتهم من الأهل، وكاد الوالد والأخ إبراهيم رحمهما الله يفقدان حياتهما في سبيل ذلك، فقد انتقم بعض أبناء البادية هداهم الله من المنتسبين للمدرسة العسكريّة

من إلزامهم بالصّلاة في المسجد وحبسهم على تفريطهم في ذلك، بأن كَمَنوا للوالد والأخ في طريقهما إلى درسٍ دينيٍّ في منزل الشيخ عبد الله أبوبطين حفيد العلّامة عبد الله بن عبد الرّحمن أبوبطين رحمهم الله جميعًا ومعهم قِطَع من الحديد (رِيَش سِسَت سيارات) وكانَ الظّلام دامسًا، وكان والدي يتّقي الضّرب على رأسه بمهفّة خوص (مِرْوَحَة يدويّة)، ولم يكن مع أخي ما يقي به رأسه، وكان أضعف جسمًا من الوالد رحمهما الله، كان وزنه (٣٨) كيلًا، أمّا الوالد فاستطاع المشي إلى البيت، وأمّا الأخ ابراهيم فحُمِل إلى البيت بين الحياة والموت.

وكان الأخ صالح رحمه الله في الرّياض يستعدّ للسّفر إلى مصر عام١٣٧٧، فلمّا علم بالمصيبة ذهب إلى الشيخ عمر بن حسن رمز الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر في المنطقة الوسطى من المملكة المباركة.

فنقل الشيخ الخبر للملك سعود رحمه الله فأرسل عدّة أطبّاء في طائرة خاصّة، وكان الطيران جديدًا على المنطقة فلم يهتدوا إلى مطار شقراء التّرابي الصّغير، وعادت الطّائرة إلى الرّياض، فطلب الأخ صالح سيّارة من والدة عبد الرحمن السّبيعي رحمهما الله إذ لا توجد سيارات أجرة في ذلك الوقت وقدم الأخ صالح بمجموعة الأطباء وأبرزهم د. الشافعي من مصر، وفي الطّريق قدّم لهم الطعام ولكنّه

نسي شراء أوعية الطعام مع الطّعام، فقام السّائق (وهو من رقيق السّبيعي) بفكّ أغطية عجلات السّيارة وغسلها وقدّم فيها الطعام، ولما حاول الأطباء خياطة جراح الوالد تبيّن أنّهم نسوا ما هو أهمّ من أوعية الطعام: البنج (المخدّر)، فكان الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ (مع قوّة تحمّله وصبره) يردّد: رفقًا بالشيخ الضّعيف، والأخ إبراهيم يكاد يطير فَرَقًا: إذا كان هذا حال الوالد فكيف بي؟ ولكنّ الله أعانهما فتحمّلا نتيجة الإهمال العربي، وجاءت الطائرة فحملتهما ونحن معهما إلى مستشفى الشميسي بالرّياض، وخُصِّص لكلّ منهما جناح كبير أقمنا فيه جميعًا قريبًا من ثلاثة أشهر للعلاج وكان المتّهمون محبوسون في انتظار شفائهما وحضورهما المحاكمة، وكان القاضي هو الشيخ سليمان العبيد رَحِمَهُ اللَّهُ، وبعد جلوسهم دقائق ـ وكانت أول وآخر مرّة يدخل أيّ المحكمة ـ فاجأ الوالد القاضي بالعفو عنهم، عوّض الله الوالد والأخ عن حقّهما بالفردوس.

وكان الوالد يأمرنا منذ الصِّغَر بالصّلاة في المسجد، ولكنّه لم يحتج إلى ضربنا عليها، وكان الطّريق إليها في البيت وخارجه مظلمًا وموحشًا وكان يخيّل لي رؤية حيوانات لم أرها من قبل ولكن الله حفظنا بمنّه وكرمه.

ولما كان كثير من الأهل سبقوا إلى الإقامة في المدينة النّبويّة فقد ألحّوا على الوالد بالانتقال إليها، ثم عُيِّن الأخ إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ

مديرًا للامتحانات بالجامعة الإسلاميّة بطلب من الشيخ ابن باز (رئيسها) رَحِمَهُ اللَّهُ، فقَويَ عزم الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ على الانتقال عام ١٣٨٠، والأخ إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ خير من خَدَم الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في شقراء، ولم يفارقه منذ عرفت نفسي وعرفتهما، وما كان للوالد رَحِمَهُ اللَّهُ أن يحول بين إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ ووظيفته التي ما كان يحلم بها، وأهمّ من ذلك ما كان للوالد رَحِمَهُ اللَّهُ أن يحرمه من خدمة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ وبالتّالي: خدمة الإسلام والمسلمين تطوّعًا في المدينة النّبويّة، ثمّ انتدابًا إلى أيّ مكان يذهب إليه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، وامتدّت خدمته للشيخ ابن باز أربع سنوات في المدينة وربع قرن في الرّياض، ونَعُدُّها من نِعَم الله العظيمة عليه وعلينا جميعًا.

وأَصِف والدي رَحِمَهُ اللَّهُ بأنّه كان كتاب رياض الصّالحين يمشي على الأرض في دينه وخُلُقه وسَمْته بميزان الابن الذي لا يُسْتَبْعَد تحيّزه، ولكن أثنى عليه قَبْلي الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل والشيخ ابن باز والشيخ عبد الله البسّام والشيخ د. محمد الشويعر وغيرهم، جمعهم الله جميعًا في الفردوس من الجنّة.

لم أسمع والدي مرّة واحدة يصخب أو يقهقه أو يرفع صوته لأيّ سبب، ولا أعرف أنّه ضرب أحدًا من أولاده إلّا نادرًا لسبب موجب، وكانت وسيلته الغالبة للتّربيّة: الدّعوة والدّعاء.

وكان يمشي الهوينا فلا تسمع لخطواته صوتًا، بل لا تحسّ

بقُرْبِه منك إلّا بقراءته القرآن بين الجهر والمخافتة كما أمر الله نبيّه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومتّبعي سنّته وسلّم: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقد أنعم الله عليه بحفظ القرآن وتلاوته عن ظهر قلب نحو سبعين سنة، ولا يرجع إلى مصحفه إلّا قليلًا، يقرأ وهو يمشي وقائمًا وقاعدًا وعلى جنبه، وعندما تفرّغ للعبادة في المدينة النّبويّة في السّتّ سنوات الأخيرة من حياته صار يختم القرآن كلّ ثلاثة أيّام، لا أقلّ من ذلك لنهيه ﷺ عن الأقلّ.

وكان قلبه منذ عرفته معلقًا بالمسجد، وفي المدينة النّبويّة كان عبد العزيز بن صالح رحمه الله (إمام المسجد النّبويّ) يراه كلّ يوم خَلْفَه في صلاة الفريضة إلّا مرّة واحدة في حياته حين توفّاه الله على باب المسجد الذي أحبّه في الله وفي رسوله ﷺ.

وكان يمشي يوم السّبت من كلّ أسبوع على قدميه إلى مسجد قباء ويعود راكبًا تأوّلًا لما ورد عن النّبي ﷺ، وآخرها يوم السّبت الذي توفّاه الله في آخره.

وكان إذا ازدحم المسجد النّبويّ بالحجّاج أو المعتمرين زوّار المسجد يصلّي في غرفة في الطّرف الغربي من المسجد تُخَصَّص لكبار الضيوف، وكان مرّة يصلّي في هذه الغرفة وبجانبه أبو بكر بليوه رئيس وزراء الاتّحاد النّيجيري رحمه الله فأعجبه انصرافه للعبادة

فوضع مائة ريال تحت مصلَّاه ولمّا انصرف والدي من صلاته أعادها إليه ودعا له وقال بالإشارة: إنّ الله قد رزقه أكثر من حاجته، وعاد إلى صلاته فوضع أبوبكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ مائة وخمسين تحت مصلّاه وانصرف، ولعلّ أبوبكر ظنّ أنّ والدي في حاجة لما رأى من زهده في المظهر فقد كانت والدتي تخيط ثوبه حتى توفّاه الله، وعلى هذا مات ابن باز والأخ إبراهيم رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، فلم يدخل أحد منهم دكّان خيّاط أبدًا، ولم أفعل ذلك تأسّيًا بهم ولم أدخل دكّان حلّاق منذ (٤٥) سنة، أمّا الثياب فتخاط في الصّين تسخيرًا من الله ويتراوح ثمن الثّوب بين (١٠و١٤) ريال، وأَحْلق نفسي ومن رغب من أهلي، ولا يزال عمر جمجوم زميل الدّراسة في لوس أنجلس يعرفني بأنّي الزّميل الذي يحلق نفسه وأولاده(قَرْعة) يوم كانت (القرعة) مستنكرة هناك قبل (برايز) و(جُورْدَنْ).

وهدوء والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مشيه ولفظه أوقع الأخ صالح رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرّة في الحرج، وكان يستحيي من الوالد رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ ولا يكاد يتكلّم في حضوره كما يفعل آل سعود أعزّهم الله: لا يتكلّم ولا يتقدّم أحدهم بين يدي من هو أكبر سنًّا ولو بيوم أو يومين.

(في ساعة تجلّي كما يقول الصّوفيّة كفى الله الإسلام والمسلمين شرّهم) كان الأخ صالح رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتفقّد نفسه في المرآة فقال: (الحمد لله عِنْقِي كأنّه عِنْق تكروني) ولم يحسّ بدخول الوالد

تلك اللحظة فسلّم الوالد وقال: (تِنْغِبِط)، ولعلّ صالح رَحِمَهُ ٱللَّهُ قضى شهرًا لا يتكلّم حياءً وحرجًا.

لم أكتب عن أحد من أهلي خشية المحاباة، ولكنّ الشيخ د. محمد الفريح، وابن أخي إبراهيم: إسحق، وعبد الرحمن عيروض (أبو الزبير) طلبوا منّي هذه الأسطر عن الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وطلب ابن أخي صالح كتابة أسطر عن والده رَحِمَهُ ٱللَّهُ ففعلت، جزاهم الله خير الجزاء.

وصلى الله وسلّم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه ومتّبعي سنّته.

كتبه

سعد بن عبد الرحمن الحصيّن عفا الله عنه

١٨/٤/١٤٣٥هـ

أخي في الدّين والوطن والنسب
صالح الحصيّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ

لا أكاد أستحضر صورة والدنا الأخ/ صالح رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلّا وهو يقرأ أو يصلّي أو يذكر الله تعالى، ولا أذكر مرّة واحدة أنّه شارك الصّغار أو الكبار في لهوهم أو لعبهم أو نافسهم في جِدِّهم أو هزلهم، مرّة واحدة أخذ حجرًا تقليدًا لطفل في سنّه ورماه فأصاب ـ من غير قصد ـ واحدًا من شباب الأسواق الغلاظ الشِّداد فكاد أن يبطش به، ولكنّ الله كفاه شرّه، فاكتفى بتهديده أنّه: (لولا أنّ أبوك يحبّني ما تركتك)، وسألنا الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ هل يحبّه؟ فأجاب: ما أنام الليل من حبِّه.

ولم يلتفت والدنا صالح رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الفنون ولا الرّياضة الخاصّة أو العامّة إلا أنّنا كنّا في مصر نشاهد الأفلام الأمريكيّة المختارة كلّ يوم فلم يكن رَحِمَهُ ٱللَّهُ مثل كثير من العوامّ وطلاب العلم بل العلماء يتعبّد لله احتياطًا بتحريم ما لم يحرِّمه الله، بل أذكر أنّه اتفق مع د. عبد العزيز الخويطر على استعمال الفِدْيُو ـ يوم كان منكرًا أكثر من الشّرك الأكبر ـ لعلّ الأطفال يكتفون بمشاهدة الأفلام المختارة عِوَضًا عن مسلسلات التّلفزيون الرّديئة غالبًا،

واقتبست من فقهه فاستدركتُ على الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في برنامج نور على الدّرب ـ ظنَّه أنّ التقاط الصُّوَر آليًّا يشمله لفظ التّصوير وحُكْمه في الحديث ولعن فاعله؛ لخطأ تسميته تصويرًا.

وصالح ـ مثل كثير من العلماء السّابقين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ ـ لا يضيِّق ما وسّع الله تعالى على عباده، ولكنّه يخالف ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مثل توسعته على أهل نَجْد في اعتيادهم في هذا القرن الاجتماع في بيت الميّت للعزاء لحديث جرير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنّهم كانوا يعدّونه من النّياحة.

وكانت القراءة أهمّ ما يشغل والدنا الأخ صالح في يومه، أمّا ليله فهو يحرص على النّوم بعد صلاة العشاء وبلفظه: يبدأ في فكِّ أزرار ثوبه عند خروجه من المسجد، وعرفته منذ عشرات السّنين يقوم آخر الليل ويطيل القراءة ويجهر بها، وانشغل بدراسته في مصر قبل(٥٥) سنة فخشي أن يتفلّت عليه حفظ القرآن، وكان قد حفظه وعمره نحو (١٢) سنة على الشيخ إسحاق كردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، سعوديّ من أصلٍ كرديّ من ديار بكر، توفّاه الله ولم يتخلّص من عُجْمته الكرديّة، وهو مَنْ علّمنا الخطّ، وكنت أجده في المسجد النّبويّ يقرأ القرآن في المصحف فيقول لي: هذا كُحْلُ عيني، رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأصلح مَنْ بعده، وتدارك الأخ صالح حِفْظه مع عامل يامِيٍّ في الحرم.

كان كتاب البداية والنّهاية لابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحد الكتب في مكتبة الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ فكان من أوّل ما قرأ، وكان يتدارسه مع زميل له

في الابتدائية لعل اسمه: محمد بن سليمان بن دويهس رَحِمَهُ اللَّهُ (وقد يكون الاسم الأخير لقبًا، فلم أره منذ سبعين سنة).

وأتذكّر من كتب الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: زاد المعاد لابن القيّم ورياض الصالحين للنووي، وتفسير ابن جُزَيّ، واستعاره أخ عزيز فأكلت بقرته جزءًا منه فاستفادت منه أكثر منّي، وأهدينا المخطوطات لمكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة.

لا أذكر أنّ والدنا الأخ صالح رَحِمَهُ اللَّهُ شارك في أيّ تسلية غير القراءة إلّا أنّنا ذهبنا مرّة معًا لصيد الجراد بعد صلاة الفجر، ومرّة لرؤية السَّيل حين يصبّ وادي الغدير في قليب الحميضيّة، ولم تُنْسِينه إقامتي أيامًا عند شلّالات نياكرا في كندا، ومثلها في أمريكا بعد ثلاثين سنة، ولكن تَمَتُّعنا بمشاهدة شلّال الحميضيّة ـ وادي الغدير انتهى بمصيبته؛ فقد تركنا أخي عبد العزيز (٧-٨سنين) يصرخ في البيت ورفضنا اصطحابه لمشاهدة السّيل، إمّا لصغر سنّه وإمّا لمرضه (اختلفت الرّوايات) ولم يقمْ من فراش قَهْره أو مرضه، وتحمّل الوالدان مصيبتهما بصبر وصمت، عوّضهما الله عنه وعوّضه عن حياته بالفردوس من الجنّة.

وكنت ألهث وراء أخي بسنتين من الزّمن وبسنوات عديدة من حسن الخلق والصّبر والتّحمّل والحلم والزّهد في الدّنيا، فلم أدركه في مدرسة ابن حنطي رَحِمَهُ اللَّهُ (١٣٥٩)، وأدركته في الابتدائيّة

(٦٢و١٣٦٣) و(١٣٦٨) في دار التّوحيد في الطّائف، ولم أدركه في كلّيّة الشّريعة إذ طلبه الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ للتّدريس في المعهد العلمي (الدّيني) في الرّياض.

وفاجأني في سنتي الثّانية في الكليّة (١٣٧٤) بعرض مرافقتي له في السّفر إلى مصر ثالثًا له ولأحد زملائه في كلّيّة الشّريعة بمكّة المباركة، ولعلّه لم ينس عاقبة ترك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وراءه، ولعلّه رغب في التّعرّف على طريق الدّراسة في مصر، ولكن الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يرفض طلبه في كلّ مرّة، فذهب مُغاضبًا ولم يحصل على حقّ الموظّف في الابتعاث بنصف راتبه، وقُبِل في البعثة براتب طالب، ولما ظهر لمعهد الدّراسات العليا (الذي يدرس فيه) تميّزه صُرِفَت له مكافأة شهريّة من المعهد فلم يُرْض بعض الإداريّين في البعثة حصوله على مكافأتين فقرّروا نقص مرتّبه بقدر مكافأة المعهد، ولم ينتقم ممّن ظلمه إلا بوصفه: (قْطِيْو).

ومع وقوف الشيخ محمد بن إبراهيم في طريق دراسة والدنا الأخ/ صالح رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ كان الشيخ أحَدَ الذين يميّزهم بالثّناء وأذكر منهم الأمير/ مساعد بن عبد الرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعبد العزيز القريشي رئيس مؤسّسة النّقد السّابق ود. أحمد بن محمد علي رئيس بنك التّنمية في جدّة وفقهما الله، ويجمع بين الثلاثة في رأيه حسن الخلق (المعاملة) والصبر والحلم والجِدّ والأمانة.

كانت درجة الماجستير في القانون أو غيره يكفيها في المعهد(٣)سنوات، وأضاف سنتين ليتمكّن من قراءة ما يحتاج إلى قراءته في مكتبات مصر، ولن يجد أكثرها في مكتبات المملكة المباركة (ما يتعلّق بدراسته بخاصّة) كان د. محمد بن أحمد علي مديرًا لمعهد البيحاني في عدن على نفقة السّعوديّة، ولكنّ حاجة المعهد من الكتب الدّينيّة وما دونها لا يحصل عليها إلّا من مصر مهما كثُرتْ وبدون مقابل، وهذا في عهد جمال عبد النّاصر رَحِمَهُ اللَّهُ الذي جعلته دعاية حزب الإخوان شيوعيًّا مُلْحِدًا في رأي الأكثرين حتى اليوم.

وعندما عاد والدنا الأخ صالح رَحِمَهُ اللَّهُ من مصر طُلِب للعمل مديرًا للإدارة القانونيّة في وزارة الماليّة، وعمل فيها حتى عُيِّن (١٣٩١) وزيرًا للدّولة عضوًا في مجلس الوزراء في عهد الملك فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ ليؤسِّس ويرأس هيئة التّأديب.

وقال محرّر جريدة السّياسة الكويتيّة: إنّ تعيين مثل صالح الحصيّن جدير بأن يرفع أسهم الملك فيصل في الدّاخل والخارج، وأشهد لله شهادة حقّ لا تحيُّز فيها أنّه أهل لذلك وأكثر، ولكنّه حييٌّ كريم، وأحبّ ما إليه أن يُتْرك وحده مع كتاب يقرؤه للفائدة أو للتّسلية وهي فائدة، وأَعْجَبَه أنّه ذهب مرّة مع زميله الأستاذ عبد الوهّاب عبد الواسع وزير الأوقاف والحجّ رَحِمَهُ اللَّهُ برفقة سموّ الأمير متعب لزيارة الملك فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ.

ولما انتهت زيارتهم وانفرد عبد الوهاب بالأخ صالح قال له: صدق من قال: (السّعيد من لا يعرفنا ولا نعرفه)، وإذا كان عبد الوهّاب صديق الملك فهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرافق الأمير متعب لزيارة الملك فيصل، ويرى السّعادة في البُعْد عن تكاليف الزّيارة الرّسميّة؛ فكيف بالأخ صالح؟ لقد قضى ثلاث سنوات يحاول التّخلّص من هذه الوظيفة التي يتمنّاها الأكثرون ولمّا مرّت سنتان ولم يأذن الله بالفرج طلب إعفاءه من حضور الحفلات الرّسميّة وواجبات الاستقبال والتّوديع، ولعلّه أوّل مَنْ طالب ومن أعْفِي.

ثم أُطْلق سراحه بعد السّنة الثالثة ١٣٩٤بشفاعة الأمير/ مساعد بن عبد الرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ وانْفَكَّ مما يصعب عليه تحمّله من مظاهر الوظيفة الوزارية، واستمرّ في تقديم أيّ جهد يطلبه ولاة الأمر للمصلحة العامّة تطوّعًا، وأمر الملك فهد في أوّل عهده مع الملك خالد رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ بتخصيص مكتب له في مجلس الوزراء، ولم يستعمله يومًا واحدًا، كان يفضّل العمل في البيت والكتابة على ركبتيه كما فعل الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكما أَفْعَلُ حتى اليوم تشبّهًا بهما وبمن قبلهما من أهلي.

وجرت محاولات لعودته للعمل الحكومي، ولكنّه كان يعتذر بعجزه عن ذلك.

ولكنّ الملك عبد الله لم يقبل هذا العذر فهو يعرفه منذ عشرات السّنين ويعرف تميّزه في العلم والعمل والزّهد في المال

والشّهرة فألحّ عليه إلحاحًا شديدًا عام١٤٢٤ ليقبل العمل رئيسًا لشؤون المسجد الحرام والمسجد النّبويّ ولو لمدّة سنتين وامتدّت إلى (١٢)سنة حتى أعجزه مرض الموت عن مباشرة العمل، وأسند إليه العمل رئيسًا (لا أقول كرئيس) لمركز الحوار الوطني، ثمّ عيّن عضوًا في هيئة كبار العلماء أثناء قيامه برئاسة شؤون الحرمين.

ومن الأعمال الجانبيّة التي تولّاها من قبل: عضويّة المجلس الأعلى للجامعات، وعضوية مجالس عدد من الجامعات والإشراف على لجنة الخبراء بمجلس الوزراء.

ومن أعماله التّطوّعيّة غير الرّسميّة: نائب رئيس الهيئة الخيريّة العالميّة في الكويت، وعضويّة اللجنة الشرعيّة في مصرف الراجحي وهو يعرف أنّه اختير للأخيرتين لاجتذاب التّبرّعات والمستفيد الأول وربما الأخير من نفقاتهما الخيريّة: حزب الإخوان المسلمين، ولكنّه يسرّه أن يستفيد منه أيّ مسلم، فردٌ أو جماعة، ولعلّه ينفّذ ما يُرْوى من الأثر: بأنّ (من خدعنا بالله انخدعنا له)، وقد شهدت ثلاثة من المخدوعين بفكر حزب الإخوان يطلبون منه تزكية لمرشحهم للأمانة العامّة للنّدوة العالميّة للشباب الإسلامي.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ واسع الاطلاع في كلّ علم وفنّ وكلّ خبرة تهمّه إلّا ما شاء الله، ويوظّف عقله فيما يدرسه مما لم تحدّه حدود الشّريعة.

وكان برًّا بوالدتي رحمهما الله يتبعها حيث ذهبت، وفاز بخدمتها أكثر منّا حتى توفاها الله لم ينافسه منّا في متابعتها وخدمتها غير زوجته أمّ عبد الله ابن صالح منذ تزوّجها عام (١٣٦٨) حتى توفّى الله الوالدة عام (١٤١٧) لم يفترقا في حضر ولا سفر حتى آن السّفر الأخير من الدّنيا، أثابهم الله الفردوس من الجنّة.

أمّا الوالد فقد فاز بخدمته أخونا الأكبر سنًّا: عبد الله وإبراهيم من زوجته الأولى رحمهم الله وأثابهم رؤيته في الآخرة.

وعندما توفّي الوالد ثم الوالدة وبينهما والدنا الأخ إبراهيم وغيره من الأهل لم نتكلّف سفرًا ولا (فَتْح بيت للعزاء حسب التّقليد المبتدع)، وكان والدنا الأخ صالح رحمه الله أكثر حِرْصًا على تجنّب ذلك، بل إنّ أخي عبد الله لما اضطرّ إلى استقبال المعزّين في الأخ صالح، اتّصل بي بعدها لتذكيري بأن نوصي بتجنّب مثل ذلك في المستقبل لما عاناه المعزَّى والمعزِّي من تكلُّف لم يكتبه الله على عباده، بل تجنّبه وكرهه خير هذه الأمّة وعَدُّوه من النياحة، وقد وصفها النبيّ ﷺ بالكفر (أي: العملي)، وكان والدنا الأخ صالح رحمه الله لا يهتمّ أبدًا للمال ولا لنتائجه الشكليّة بخاصّة، فلم يشتر ساعة ولا سيّارة ولا ما بينهما من الآلات المستوردة ممن يوصفون بأعداء الإسلام والمسلمين بلا ضرورة، ثم يحثّ الحركيّون غيرهم على (مقاطعة بضائع الكفّار)، ولم يشرع الله مقاطعة بضائع الكفّار، بل مقاطعة الإسراف.

وأشرَكَنا رَحِمَهُ اللَّهُ في المال، والرّزق يأتيه دون أن يتكلّف طلبًا له، واشترط ألّا نأخذ منه إلّا بقدر الحاجة (دون إسراف ولا مخيلة)، ويجتهد في صرف الفائض للمحتاجين إليه (في الخارج بخاصّة)، بحيث لا توجد حاجة لحساب الزكاة، ولا للأسى على ما فاتنا أو خَسِرْنا أو أُخِذَ خديعة أو سرقة من مال الله عندنا.

وأعطاه الله من محبّة عباده وثقتهم وتقديرهم ـ رعاةً ورعيّة ـ ما أرجو الله أن يكون من عاجل بشرى الله لعبده المؤمن.

ولا أعرف أحدًا بعد ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ جمع الله له العلم والعمل وحسن الخُلُق والزّهد في الدّنيا والعبادة ودوام الذّكر والشكر لله والاعتماد عليه غير والدي الأخ صالح غفر الله لهما وأسكنهما الفردوس من الجنة.

وقد فقدت جزءًا من نفسي بفقده رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد عشت في ظلّه منذ عرفت نفسي ـ دينًا ودنيا ـ منذ كنّا نعيش في غرفة واحدة في شقراء ثم في دار التّوحيد ثم في مصر للدّراسة ثم في الرّياض للعمل ثم في مكة المباركة، ويخفّف من فقدي له مع جزء من حياتي أنّي غير بعيد من اللحاق به في واسع رحمته بفضله ومنّه وعفوه.

كتبه

سعد بن عبد الرحمن الحصيّن

بمكة المباركة في ١٤٣٥/٤/٧هـ

جدّي (العمّ) عبد العزيز
تلميذ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله

طلب مني أخي في الدين والدعوة على منهاج النّبوّة/ أبو الزبير عبد الرحمن عيروض تسجيل أهمّ ما أعرفه عن جدّي العمّ عبد العزيز بن عبد الله الحصيّن، ويجمعني به جدّي السّادس: عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد (الملقب الحصيّن) بن ماجد النّاصري العمري التّميمي، فشكرت أخي أبا الزبير وسرّني تنفيذ طلبه:

أ ـ اختاره شيخه محمد بن عبد الوهاب والإمام عبد العزيز بن محمد مرّتين رسولًا إلى أمراء مكة وكان أوّل وثاني رسول إليهم يبيّن لهم حقيقة الدعوة التي اصطفى الله لها الشيخ محمد والأمير محمد بن سعود وذرّيّتهما منذ عام ١٣٥٧هـ حتى يومنا هذا.

١) قال العلامة حسين بن غنّام[١] (وهو مؤرخ المرحلة الأولى من مراحل دعوة ودولة التّجديد السّعوديّة):

(١) في كتابه (تاريخ نجد) تحرير وتحقيق د. ناصر الدّين الأسد، ط ٢ دار الشروق ١٤٠٥ ص ١٣٥-١٣٦.

وفي هذه السّنة [١٠٨٥هـ] أرسل الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير عبد العزيز [بن محمد بن سعود] إلى والي مكة أحمد بن سعيد هدايا، وكان قد كاتبهما وطلب منهما أن يرسلا إليه عالمًا فقيهًا يبيّن حقيقة ما يدعون إليه ويناظر علماء مكة، فأرسلوا إليه الشيخ عبد العزيز الحصيّن ومعه رسالة منهما جاء فيها:

(إلى حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد، أعزّه الله في الدارين وأعزّ به دين جدّه سيّد الثقلين. إن الكتاب لما وصل إلى الخادم وتأمّل ما فيه من الكلام الحسن رفع يديه بالدعاء إلى الله بتأييد الشريف لما كان قصده نصر الشريعة المحمّديّة ومن تبعها وعداوة من خرج عنها، وهذا هو الواجب على ولاة الأمور. ولمّا طلبتم من ناحيتنا طالب علم امتثلنا الأمر، وهو واصل إليكم، ويحضر في مجلس الشريف أعزّه الله تعالى هو وعلماء مكة؛ فإن اجتمعوا فالحمد لله على ذلك، وإن اختلفوا أحضر الشريف كتبهم وكتب الحنابلة، والواجب على كلٍّ منّا ومنهم أن يقصد بعلمه وجه الله ونصر رسوله، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عِمرَان: ٨١]؛ وأمة محمد ﷺ أوْلى بالإيمان به ونصرته، وأولاهم بذلك أهل البيت الذين بعثه الله منهم وشرّفهم على أهل الأرض).

فلما وصل الشيخ عبد العزيز الحصيّن نزل على الشريف واجتمع مع بعض علماء مكة عنده، وتفاوضوا في ثلاث مسائل:

الأولى: ما نُسِب إلينا من التّكفير بالعموم.

الثانية: هدم القباب التي على القبور.

الثالثة: دعاء أموات الصّالحين للشّفاعة.

فذكر لهم الشيخ عبد العزيز أنّ نسبة التكفير بالعموم إلينا زور وبهتان. وأمّا هدم القباب التي على القبور فهو الحقّ والصّواب، وليس لدى العلماء فيه شكّ.

وأمّا دعاء أموات الصالحين وطلب الشّفاعة منهم والاستغاثة بهم في النّوازل فقد قرّر أئمة العلماء أنّه من الشرك الذي فعله القدماء، ولا يدّعي جوازه إلا مُلْحِد أو جاهل.

فأحضروا كتب الحنابلة فوجدوا أن الأمر على ما ذكر، واقتنعوا واعترفوا أنّ هذا دين الله، وهو مذهب الإمام المعظّم.

وانصرف عنهم الشيخ عبد العزيز مبجّلًا معزّزا.

٢) وقال العلامة المؤرخ ابن غنام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]:

وفي هذه السّنة (١٢٠٤) أرسل غالب شريف مكة كتابًا إلى عبد العزيز بأنه يريد رجلًا عارفًا من أهل الدّين يعرّفه حقيقة هذا

(١) ص ١٧٣-١٧٥.

الأمر ليكون فيه على بصيرة، فأرسل إليه عبد العزيز الحصيّن، وكتب معه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رسالة للعلماء في مكة يبيّن فيها دعوته، وفيها: (من محمد بن عبد الوهاب إلى العلماء الأعلام في البلد الحرام، نصر الله بهم سنّة سيّد الأنام ﷺ وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسان. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد جرى علينا من الفتنة ما بلغكم وبلغ غيركم، وسببه هدم بنيان في أرضنا على قبور الصالحين، ونَهْيِنا عن دعاء أموات الصّالحين، وأمْرِنا بإخلاص الدّعاء لله؛ فكَبُر على العامّة، وعاضدهم بعض من يدّعي العلم لأسباب مختلفة أعظمها: اتّباع الهوى.

فأشاعوا عنّا أنّا نسبّ الصّالحين وأنّا على غير جادّة العلماء.

ونحن ولله الحمد متّبعون لا مبتدعون على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وأنتم تعلمون رحمكم الله أن في ولاية الشريف أحمد بن سعيد وصل إليكم الشيخ عبد العزيز الحصيّن وأشرفتم على ما عندنا، فلمّا طلب منّا الشريف غالب أعزّه الله ونصره امتثلنا وهو واصل إن شاء الله، فإن كانت المسألة إجماعًا فلا كلام، وإن كانت مسألة اجتهاد فلا إنكار في مسائل الاجتهاد، فمن عمل بمذهبه في محل ولايته لا يُنْكر عليه.

وإني أشهد الله وملائكته وأشهدكم أني على دين الله ورسوله، وأني متّبع لأهل العلم. والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

فقدم عبد العزيز الحصيّن مكّة المشرّفة فأكرمه غالب واجتمع معه مرّات وعرض عليه رسالة الشيخ فعرف ما بها من الحقّ والهدى فأذعن لذلك وأقرّ به، ولكنّه بعد ذلك نكص على عقبيه وتمسّك بقديم سنّته. فطلب منه عبد العزيز الحصيّن أن يحضر العلماء ليقف على كلامهم ويناظرهم في أصول التوحيد، فأبوا وقالوا له: هؤلاء الجماعة ليس عندهم بضاعة إلا إزالة نهج آبائك وأجدادك، ورفع يديك عما يصل إليك من خير بلادك؛ فطار لبّه وأصرّ على ما كان عليه. اهـ.

ب ـ ذكر الزّركلي في «الأعلام» أنّ الجدّ العمّ ولد عام١١٥٤هـ وأنّه توفّي عام ١٢٣٧هـ.

وأيّد العلامة ابن بشر سنة وفاته في كتابه (عنوان المجد في تاريخ نجد)[(١)] فقال عنه:

(وفي هذه السّنة [١٢٣٧] ١٢رجب توفّي الشيخ العالم الزاهد القاضي في ناحية الوشم زمن عبد العزيز بن محمد بن سعود وابنه

(١) تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ط ٤ دارة الملك عبد العزيز ص٤٦٤-٤٦٨.

سعود وابنه عبد الله بن سعود رحمهم الله تعالى: عبد العزيز بن عبد الله الحصيّن النّاصري الحنبلي قدّس الله روحه. كان رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى عالمًا عاملًا زاهدًا وَرِعًا حليمًا لا ينتصر لنفسه، محبّبًا إلى النّاس، وليس للدّنيا عنده قدر، ولا يركن إليها ولا يتعاطاها، بل قطع دهره في كتب العلم وطلبه وبذله، وكان إذا دخل عليه ـ وقت الثمرة ـ قُوتُ سنة من البرّ والتّمر من بيت المال، وبقي عنده منه شيء وقت الثمرة الثانية أعطاهم إياه ولا يترك شيئًا. وكان رَحِمَهُ اللَّهُ فاضلًا مهيبًا فقيهًا، وجعل الله في علمه البركة للنّاس وانتفع بها رجال كثيرون في جميع النواحي ممن ولي القضاء وغيرهم.

وكان يحب طالب العلم محبّة عظيمة كأنّه ولده بالتّودّد إليه وتعليمه وإدخال السّرور عليه والقيام بما ينوبه من بيت المال. وكانت كلمته مسموعة وقوله نافذ عند الرؤساء ومن دونهم. وكان عنده حلقة كبيرة في التّدريس من أهل شقراء وأهل الوشم وغيرهم.

وكان مجلسه للتّدريس في الفقه وقت طلوع الشمس إلى ارتفاع النّهار، وكان إذا فرغ من الدّرس رفع يديه ورفع الطلبة أيديهم، ثمّ دعا فأكثر الدّعاء والطّلبة يؤمّنون على دعائه.

وله مجالس في التّدريس للعامّة وقت الظهر والعصر وبين العشاءين.

أخذ الفقه في صغره عن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل

قاضي بلد القراين في الوشم، ثمّ تفقه، وقرأ على شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، أقام مدّة سنتين يقرأ عليه، وكان يكرمه ويعظّمه وهو الذي استعمله قاضيًا في الوشم، وأخذ عنه العلم عدد من قضاة المسلمين، انتهى النقل.

وعدّ ابن بشر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ممن أخذ العلم عن الجدّ العمّ من كبار القضاة بضعة عشر، أشهرهم العلّامة/ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين قاضي الحجاز زمن الإمام سعود بن عبد العزيز الأول، ثم قاضي عُمَان زمن الإمام عبد الله بن سعود، ثم قاضي الوشم وسدير زمن الإمام تركي، ثم قاضي الوشم والقصيم زمن الإمام فيصل بن تركي.

وذكر ابن بشر ممن أخذ العلم عن الجدّ العمّ عبد العزيز أخاه الجدّ العمّ محمد بن عبد الله الحصيّن القاضي بمنطقة الوشم في عهد الإمامين سعود وابنه عبد الله رحمهم الله جميعًا.

قال ابن بشر: وأخذ عنه [الجدّ العمّ عبد العزيز] من العلماء ممن لم يَلِ القضاء الجمّ الغفير، رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعفا عنه. انتهى النقل.

ج - وكان أخي في الدّين الشيخ إسماعيل بن عتيق وفقه الله قد رأى لي استخراج رسالة للجدّ العمّ عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ من: الدّرر السّنية في الأجوبة النّجديّة التي حقّقها العلّامة عبد الرّحمن بن قاسم جامع فتاوى ابن تيمية رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ ونشْرها مستقلّة؛ فاستجبت شاكرًا

له، وهذّبتها وطبعتها في الأردن عام١٤١٧ بعنوان: (حقّ الله وحقّ أنبيائه وحقّ أوليائه) ط. دار البشير ـ عمان. وهي مثل رسائل الدّرر السّنيّة ـ في الرّدّ على مناوئي دعوة التوحيد والسّنّة.

وأكثرها اقتباس من فقه ابن القيم الجوزيّة رَحِمَهُ اللَّهُ على منوال الفقهاء الأُوَل عندما كان العلم الشرعي مشاعًا بين المسلمين لم يدنّسه الشّحّ فلم تحجّره حقوق التّأليف الأوروبّية.

و ـ ومع أنّ الجدّ العمّ عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ كان في خدمة الدّعوة التجديديّة في مرحلتها الأولى أوّل يوم غزتها جيوش البغي العثماني فقد سَلِم من القتل والنّفي الذي ابتلي به علماء وأمراء الدّولة التجديدية.

أما النّفي فقد خصّ به آل سعود وآل الشيخ رحمهم الله، وأمّا القتل فخصّ به غالبًا المدافعون عن الدّرعيّة وغيرها من مدن وقرى نجد ومنهم (٢١) من آل سعود[١]، قال: ذكرت عددهم وأسماءهم ليعرف صِدْقَهم ومباشرتهم القتال بأنفسهم.

قلت: واستمرّ الغزو من بدايته إلى نهايته نحو سبع سنوات، والحمد لله على كلّ حال.

وكان الجدّ العمّ رَحِمَهُ اللَّهُ مريضًا في شقراء مرض الشيخوخة

(١) كما ذكر ابن بشرص٤١٨ج١.

(وعمره نحو الثمانين) عندما عزم إبراهيم باشا على تدميرها واستباحتها كما فعل ببعض المدن والقرى بتهمة نقضهم العهد وعزمهم على محاربته.

ولكنّ الله رحم شقراء وأهلها فطلب الباشا أكبر ولاة الأمر فيها، فجيء بالجدّ العمّ عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ محمولًا على فراشه، ولأنه ـ مثلي ـ لا يأبه للألقاب سلّم عند الدّخول على الباشا بكلمتين: (سلام يا إبراهيم) وحجب الرحمة عن والي مصر حامي وثنيّة المقامات والمزارات والأضرحة.

لم يطرب الباشا للسّلام المقتضب ولكنّه اكتفى بترديد الكلمتين استهزاء بقائلهما، ثم سأل: ما رأيك فينا؟ وجاءه الجواب: غاشية من عذاب الله، وكأنّه أعجبه أن يكون كذلك، فسأل: وما رأيك في نقض جماعتك العهد؟ وكان الجواب: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشّورىٰ: ٤٠]، قال الباشا: عفونا يا عجوزه، وخرج من شقراء قائلًا: أردنا شقراء وأراد الله ضرما، فذهب قوله مثلا.

هـ ـ ويطيب لي أن أتذكّر وأذكّر غيري أنّ الله قدّر لي شرعًا وكونًا أن أسير على خطى الجدّ العمّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فأختار الدعوة إلى إفراد الله بالدعاء وغيره من العبادات والنّهي عن إشراك المخلوق مع الخالق في ذلك، وقدّر الله لي أن يكون مقرّ عملي مملكة

الهاشميّين الوحيدة الباقية، وأقام الجدّ العمّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وفادته إلى مكّة المباركة عشرين يومًا وأقمت في عمّان وما حولها من بلاد الشام أكثر من عشرين سنة، وكثير عليّ أن تكون سنتي بيومه في علمه وتعليمه وخلقه أسكنه الله الفردوس من الجنّة.

كتبه

سعد بن عبد الرحمن الحصين عفا الله عنه

مكة المباركة ١٤٣٥/١٠/٢٦هـ

الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ
رمز الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر

أ ـ لازَمَ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر دولة التّجديد والتّوحيد السّعوديّة منذ أوّل يوم من تأسيسها في القرن الثاني عشر من الهجرة (١١٥٨) حتّى اليوم بفضل الله ومنّته وتمييزه، ولا عجب فالأمر والنّهي الشّرعي جزء لا ينفصل وسياج ثابت لقيام دولة تحْكُم بشرع الله تعالى في الاعتقاد أوّلًا فلا تأذن بدعاء غير الله ولا الاستغاثة بغيره ولا النّذر لغيره من أوثان المقامات والمزارات والمشاهد والمراقد والأضرحة أو لمن سُمِّيَتْ هذه الأوثان بأسمائهم من الأنبياء والصّالحين حقًّا أو باطلًا، ثم في العبادات الفعليّة بالصّلاة والصّوم والحجّ والزكاة كما شرع الله وسنّ رسوله، ثم في المعاملات؛ بهذا التّرتيب الشرعي حسب أهمّيتها.

ب ـ ومنذ الدّولة العبّاسيّة (غير عهد المتوكل رَحِمَهُ اللَّهُ) أي منذ ألف سنة (حتى جدّد الله دينه بالدّولة السّعوديّة) لم تقم دولة للتّوحيد ولا للسّنّة ولا للأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر غير هذه الدّولة المباركة.

ج ـ ولا تزال دولة التّجديد السّعوديّة (وحدها منذ ألف سنة)

تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر فلا يوجد فيها وثن من المقامات والأضرحة ولا زاوية صوفيّة ولا يباع فيها خمر علنًا، ولا يؤذن بتجارة ولا لهو ولا مطعم حتى تقضى الصّلاة، ولا سحر ولا شعوذة، ولا تعطى جنسيّتها لغير مسلم، ولا يبنى فيها على قبر، ولا تنكّس رايتها لموت أحد.

د ـ وكان الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر احتسابًا، حتى ولّى الله المُلْك المجدِّد سعود بن عبد العزيز آل سعود (رحمه الله ورحم آل سعود ورفع ذكرهم في الصّالحين) فأنشأ لهذا الأمر العظيم من أمور الدّين مؤسّسة مستقلة مثل أمور الدّين والدّنيا الأخرى.

هـ ـ وبرز على رأس الآمرين بالمعروف والنّاهين عن المنكر احتسابًا في عهد الملك عبد العزيز وانتظامًا في عهد الملك سعود بن عبد العزيز: الشيخ العلامة عمر بن حسن آل الشيخ رحمهم الله وأسكنهم الفردوس من الجنّة. كان رجلًا مهيبًا: يُرْوى عن أحد أكبر ولاة الأمر اليوم قوله: إنّ والدي الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يخوِّفنا بالشيخ عمر بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ممّن آتاه الله بسطة في العلم والجسم والجاه وحُسْن الخلق والمنطق، وكان جلُّ وقته مصروفًا للأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، يذرع الرياض شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا حتى

الثّانية بعد منتصف الليل، قبل أن يُعَيَّن رئيسًا عامًّا لهيئات الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر في المنطقة الوسطى، لا ينام أكثر من ساعتين فيما يروى عنه.

وبعد تعيينه رئيسًا عامًّا جمع بين العمل الإداري نهارًا، والعَسعَس ليلًا احتسابًا (وهو الطّواف بالليل تفقّدا للبلاد والعباد حذرًا من الإفساد في الأرض، وهو مأثور عن بعض الخلفاء الرّاشدين).

عرفته رَحِمَهُ اللَّهُ بعد تخرجي من كلّية الشّريعة بمكة وانتقالي للرّياض وكنت صغير السّنّ قليل العلم والعمل والخبرة، ولكنّه رَحِمَهُ اللَّهُ كان يعاملني كما لو كنت ندًّا له، وكانت له صلة صداقة متينة بوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ إضافة إلى أنّ والدي كان يعمل ضمن ولايته رئيسًا لهيئة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر في شقراء، وأدعو له كلّ ليلة مع أصدقاء والدي ومع علماء عصري ومنهم الشيخ العلّامة محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ وكان مسجده معهدًا لطلاب العلم الشرعي قبل أن توجد المعاهد والكليّات، ومنهم الشيخ العلّامة عبد الله بن حسن آل الشيخ الذي ولّاه الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ جميع الأمور الدّينيّة في مكة والمدينة وما حولهما، وكان أمّةً وأهلًا لها.

و - لم تمنع المهابة والعلم والعمل والجاه الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من اللين في القول والعمل بل حبّ المرح

بين حين وحين (ولو على حسابه في اللغة العصرية)، حكى لي مرافقه سنين عديدة: محمد بن عمّار (رئيس الهيئة في شقراء بعد وفاة الشيخ عمر رحمهما الله)، أنه حضر مجلسًا للشيخ عمر في آخر حياته وعددٍ من كبار آل الشيخ فتذاكروا التّعاون الموفّق بين آل سعود وآل الشيخ وتقاسمهم الأمر: لآل سعود السّيف ولآل الشيخ الكتاب منذ العهد بين الإمامين المحمَّدين منتصف القرن الثاني عشر، وكان أعلاهم صوتًا وأكثرهم كلامًا في هذا الأمر أقلّهم علماً وعملًا تجاوز الله عنه فالتفت الشيخ عمر إلى مرافقه المَرِح ابن عمّار وسأله عن رأيه، فقال: صدق الشيخ وأشهد أنّ آل سعود حافظوا على السّيف بتوفيق الله لهم، ولعل الله أن يوفق خلف آل الشيخ للمحافظة على الكتاب مثل سلفهم.

ز ـ ومع أن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تنازل عن الإدارة الدّينيّة وضمّها إلى الإدارة الدّنيويّة في ولاية تلميذه الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود عام ١١٨٧ هـ قبل وفاته بنحو (١٩) سنة فقد حرص الإمام عبد العزيز ألّا يبتّ في أمر دون استشارته[١]. واليوم نجد جُلَّ الإدارات الدّينيّة قد اختار لها ولاة الأمر من آل سعود أثابهم الله من رأوه أهلًا لها من آل الشيخ وفقهم الله لنصرة دينه وسنّة نبيّه. وهذه الرئاسة العامّة لهيئات الأمر

(١) تاريخ ابن غنام، تحرير د. نصر الدّين الأسد، ص ٨٩ ط ٢.

بالمعروف والنّهي عن المنكر قد ولِّيَ عليها اليوم معالي الشيخ د. عبد اللطيف بن عبد العزيز آل الشيخ، وكانت أحوج ما تكون إلى مثله حزمًا وعزمًا وإدارة ومنهاجًا ليطهّرها من الحزبيّين والحركيّين الذين احتلّوها سنين عددًا يفسدون فيها أكثر ممّا يصلحون، ويقدّمون المهمّ على الأهمّ من الدّين، ومصلحة الحزب على المصلحة العامّة.

فحرص الرّئيس السّلفي القويّ الأمين على إعادتها إلى النّهج السّلفي الذي أسِّسَت عليه الدّولة المباركة والدّعوة المباركة من أوّل يوم في كلّ مرحلة من مراحلها الثلاث، بالتركيز على أوّل أمر أرسل الله به رسله: الأمر بإفراد الله بالدّعاء وغيره من العبادة والنّهي عن الشرك بالله في دعائه وعبادته ثم العبادات الفعليّة ثم المعاملات الشرعية، لا العكس، والحمد لله.

كتبه

سعد بن عبد الرحمن الحصين

تعاونًا على البر والتقوى

مكة المباركة ـ الأربعاء ـ ١٤٣٥/١١/٨هـ

الملك سعود
رحمه الله حين وحيث تطلع الشمس

أ ـ كتب الأستاذ د. محمد بن عبد العزيز الفيصل وفقه الله في الجزيرة يوم١٤٣٥/ ١٠/ ١٠ بعنوان: (الملك سعود والمشراق) تذكيرًا ببعض ما تفضّل الله به على الملك سعود، وبعض فضل الله بالملك سعود على هذه البلاد والدّولة المباركة، ومنها:

١) كرمه النّادر مثاله.

٢) كان اليد اليمنى لوالده العظيم رحمه الله في جهاده لتكون كلمة الله هي العليا وتوحيد المملكة المباركة على التّوحيد والسّنّة، فأوفده والده الملك عبد العزيز رحمهما الله إلى قَطَر وعمره (١٣) سنة في مهمّة لإصلاح ذات البين بين البلدين الشقيقين، واشترك في معركة جراب وعمره (١٤) لما ظهر لوالده من نبوغه المبكر وأهليّته لتحمّل المسئوليّة.

٣) وكان اليد اليمنى لوالده العظيم في تحويل شعب المملكة المباركة من الجهل إلى العلم، ومن الفقر إلى الغنى، ومن الخوف إلى الأمن جزاءً من الله تعالى على هدم أوثان الأضرحة

والمزارات، وإزالة المنكرات والبدع وزوايا التّصوّف، والأمر بإفراد الله بالعبادة والتزام السّنّة والنهي عن الشرك وما دونه من الابتداع.

٤) افتدى بنفسه والده العظيم فتلقّى طعنات الخناجر اليمنيّة الغادرة وهما يطوفان ببيت الله.

٥) بناؤه الدّولة السّعوديّة الحديثة بعد تولّيه الملك بنظمها ومبانيها وأدواتها ووسائلها ومؤسّساتها الثابتة حتى اليوم مذكّرة بعهده المتميّز.

ب ـ وأحسن د. محمد عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام التي وضع الملك سعود لَبِنَاتِهَا الأولى بتأسيس كلّيّة الشريعة واللغة العربيّة عام١٣٧٣ بعد تولّيه الملك، وكان قد أنشأ معاهدها العلميّة التي تجاوزت اليوم السّتّين عددًا سنة١٣٧١ أثناء تولّيه مقاليد الحكم الإداري قبل وفاة والده العظيم بخمس سنين (انظر سوانح الذّكريات لحمد الجاسر رَحِمَهُ اللَّهُ)؛ أحسن باختياره لفظ (المِشْرَاق) فتاريخ الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ لا يليق به لفظ الغروب (نهاية اليوم) بل الشروق (بدايته)، ولبعض آثار الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ قُبْلة الشمس الشّارقة الأولى: مدينة الملك سعود الطّبّية (الشميسي)، مباني الوزارات في طريق المطار القديم، أوّل توسعة للحرمين، أوّل طريق من شرق المملكة المباركة في اتّجاه مكّة المباركة، وأول

إسكان في الملز، ولا يكاد العدد ينتهي، فقد وضع الله فيها البركة عددًا ونفعًا ودوامًا في وقت قصير لم يزد فيه إنتاج النّفط عن مليون برميل ولم يزد سعر البرميل عن دولارين.

ج - ولكنّ د. محمّد نسي أهمّ إنجاز للملك سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١) الجامعة الإسلاميّة بالمدينة النّبويّة التي أنشأها الملك سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ عام ١٣٨٠ وأهداها (٢٨) بيتًا من بيوت قصره حرصًا على التّعجيل بالاستفادة منها، وهذه إحدى فضائله التي ميّزه الله بها؛ فقد أهدى ثلاثة من بيوته في مكّة المباركة للتعليم ودرسْتُ في كلّيّة الشريعة (الأولى في مكّة) في أحدها بين عام ١٣٧٣ و١٣٧٦، كما أهدى سبعة من بيوته في جدّة للتعليم فسمّيت (مدينة الملك سعود العلمية).

٢) تشجيع وتمويل محاولة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وابنه جَمْع فتاوى ابن تيميّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وطبعها الملك سعود للمرّة الأولى فكانت هديّتنا عند تخرجنا عام ١٣٧٦هـ.

٣) خَفْض جناح الذّل، ليس لوالديه وحدهما بل لعلماء الأمّة فلم أعرف من ولاة الأمر أكثر منه احترامًا للعلماء وخضوعًا لهم، واذْكُر كيف كان ثلاثة من ولاة العبّاسيين تجاوز الله عنهم ومنهم المعتصم (وامعتصماه) الذي جعلته أساطير الحزبيّين والحركيّين والمفكرين الجاهلين قدوة، يسجنون العلماء ويقتلونهم ويجلدونهم

بضع عشرة سنة ومنهم الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليلزموهم بفكر المعتزلة الضّال.

بل كان الملك سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ يخفض جناح الذّلّ لعامّة شعبه:

زار الملك سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ شقراء فجاءه أحد أهلها ويعمل نجّارًا يحمل ابنه المشلول طالبًا عونه، فطلب الملك منه نقله إلى الرّياض، فوصل بعد صلاة العشاء إلى قصر النّاصريّة، وأُدْخِل إلى جناح الملك من القصر، وكان يستعدّ للنّوم، فخرج إليه بالبيجامة وعليه نظّارة، فظنّه الطفل طبيبًا وبكى، فهوّن عليه والده الأمر بقوله: هذا عمّك الملك سعود ما هو بالدّكتور، وأعطاه الملك من جيبه (٥,٠٠٠ ريال) تساوي اليوم ما بين (٥٠,٠٠٠ إلى١٠٠,٠٠٠ ريال) رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغفر له.

٤) وكان أكبر همّ الملك سعود: التّعليم، فكان يحثّ حمد الجاسر (معتمد المعارف) على فتح المدارس (في نجد بخاصّة) لأنّها كانت معوزة منها، فلم ندرس المتوسّط والثانوي إلا في الطّائف إذ كانت الرّياض فضلًا عن القرى لا توجد فيها متوسّطة ولا ثانوية، والمدارس الابتدائية قليلة جدًّا.

وكان حمد الجاسر يعتذر بعدم وجود مدرّسين، وعندما تكرّر اعتذاره قال الملك: افتح في كلّ قرية مدرسة: مديرها ومدرّسها

إمام المسجد وخادمها ومراقبها: مؤذّن المسجد، ثم نصبر حتى تنمو بمشيئة الله مع الزّمن.

جزى الله الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ بقصر في الفردوس من الجنة، وجزى د. محمد الفيصل خير جزائه لتذكير الأمّة ببعض فضائله ومميّزاته.

وجزى الله المجدّدين من آل سعود وآل الشيخ خير ما يجزي به المجدّدين لدينه والدّعاة إليه على منهاج النبوّة (بعد ألف سنة من الغفلة عن ذلك بين دول المسلمين بعد القرون الخيّرة.)

وإنّي لَأَعُدّ الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ المجدّد السّابع في هذه الدّولة العظيمة المباركة بما طَبَع من مراجع دينيّة للمرّة الأولى في التّاريخ، وبما أنشأ من معاهد وكلّيات وجامعات ومدارس للعلوم الشرعيّة، وبرفعه شأن العلماء، والحكم بشرع الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والله الموفّق.

كتبه

سعد بن عبد الرّحمن الحصيّن عفا الله عنه

في مكّة المباركة ـ ١٧/١٠/١٤٣٥هـ

أمير العلماء وعالم الأمراء
أبو خيرَيْن/ الملك سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ

من سعد الحصين إلى فضيلة/ الأمين العام لدارة الملك عبد العزيز بالرّياض وفقهم الله لطاعته وخدمة دينه.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أمّا بعد: فقد علمتُ أن خادم الحرمين حفظه الله قدوة صالحة قد أمر بإقامة ندوة عن الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأنّه شرّفكم بتنفيذها، فأحببت التّذكير ببعض فضائله:

أ ـ كما كان الإمام محمد بن سعود وولي عهده الإمام عبد العزيز وولي عهده الإمام سعود أوّل من حمل راية تَجْدِيد الدّين منذ القرون المفضّلة الإمام محمد بن عبد الوهّاب رحمهم الله جميعًا ونَشْر التّوحيد والسّنّة ومحاربة الشرك والبدعة وهَدْم أوثان المقامات والمزارات من العراق إلى بحر العرب ومن الخليج إلى البحر الأحمر (١١٥٨ ـ ١٢٢٩)؛ وكما كان تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود (١٢٣٥ ـ ١٢٤٩) مجدِّد الدّين والدّعوة بعد عدوان الدّولة العثمانية ومرتزقتها على الدّولة والدّعوة عام ١٢٣٤،

(العدوان الذي شَبَّهَه د. صالح العبود رئيس الجامعة الإسلامية بالحرب الصّليبيّة في مقدِّمته لكتاب الدعوة إلى الله في جزيرة العرب للكاتب، بل العدوان الذي وَصَفه بالحرب الصّليبيّة: د. زكريا بيّومي أستاذ التّاريخ الحديث في جامعة المنصورة بمصر في مجلة المنار الجديد المصريّة عدد ١٨ في محرّم١٤٢٣ لأنه عدوان على الدّين الحقّ).

فإنّ الملك عبد العزيز وولي عهده سعود (١٣١٩ ـ ١٣٨٤) رحمهما الله جَدَّدا الدّين والدّعوة والدّولة ونَشَرا التّوحيد والسّنّة وحارَبَا الشرك والبدعة ووَضَعا أسس الدّولة السّعودية الحديثة.

ب ـ وممن أدرك اعتماد الملك عبد العزيز ـ بعد الله ـ على نجله وولي عهده سعود رحمهما الله في نشر الدّين والدّعوة:

شيخ الدّعوة في مصر إلى التّوحيد والسّنّة ومحاربة الشرك والابتداع في الدّين (محمد حامد الفقي) إذ وصف سعودًا رحمه الله (أمير العلماء وعالم الأمراء) في مقدّمته للطّبعة الأولى من (جامع الأصول)، وهو أوّل ما طبَعَتْه دولة التّوحيد والسّنّة من أمّهات كتب الحديث، وكانت هي الطّبعة الأولى للكتاب في تاريخ الإسلام.

ج ـ وثابَرَتْ دولة الدعوة على منهاج النبوة في عهد الملك عبد العزيز وولي عهده سعود رحمهما الله على طبع مئات المُجَلَّدات من

المراجع الشرعيّة لأوّل مرّة في تاريخ الإسلام، ومنها: تفسير ابن كثير والمغني والشّرح الكبير والإنصاف وغيرها كثير.

و ـ ووفق الله الملك سعود للثبات على نهج والده المُجَدِّد في خدمة علوم الشّريعة من الكتاب والسّنة وفقه الأئمّة الأُوَل، والدّعوة إلى شرع الله، وتحكيمه في الاعتقاد والعبادات والمعاملات دون تغيير ولا تبديل ولا انحراف، ومن أهمّ ذلك:

١) وَضْع أساس جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة في أوّل سنة من ولايته المباركة بافتتاح كليّة الشريعة بالرّياض سنة١٣٧٣، وهي أقدم كلّيّات الجامعة ومعها المعاهد.

٢) الاستمرار في رعاية كلّيّة الشريعة بمكّة المباركة وإيوائها في قصره بالزّاهر، ووضعها تحت إدارة شيخ الدّعوة إلى التّوحيد والسّنّة بمكّة (عبد الله خيّاط) وهي أوّل كلّية للشريعة أو غيرها في جزيرة العرب، وقد أنشأها سعود عام ١٣٦٩.

٣) تمويل ورعاية جمع وطبع فتاوى ابن تيمية لأوّل مرّة في٣٧ مجلّدًا خدمة عظيمة منه للإسلام والمسلمين لم يُسْبَق إليها.

٤) إنشاء الجامعة الإسلاميّة بالمدينة النّبويّة لطلاب العلم الشرعي من أقطار الأرض (٨٥٪ غير سعوديين)، وآثرها بـ ٢٨ بيتًا من قصره في المدينة،

ولا يزال قصره ومسجده أهمّ مباني الجامعة ومركزها الرئيسي.

٥) تطوير أعمال الحسبة (هيئة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر) في مؤسّسة حكوميّة مستقلّة لا تقلّ في ميزانيتها وفروعها وعدد موظفيها عن بعض الوزارات ولكنّها تفوقها جميعًا في ارتباطها بالكتاب والسّنّة والفقه في الدّين والتميّز على العالم.

هـ ـ ووفّق الله الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ إلى الانتقال بالدّولة والمجتمع إلى مرحلة جديدة من الحضارة والإدارة العصريّة لم يكن لها مثيل في المنطقة من قبل، ومن أهم مظاهرها:

١) إنشاء أوّل جامعة في جزيرة العرب: (جامعة الملك سعود بالرّياض).

٢) توسعة المسجد الحرام (والمسجد النّبوي) لأوّل مرّة بعد العمارة العبّاسيّة.

٣) سفلتة الطريق بين الدّمام والرّياض باتّجاه مكّة والمدينة.

٤) زيادة عدد الوزارات لتشمل أهمّ الخدمات العصريّة.

٥) إسناد الجديد من الوزارات لوزراء من خيرة المثقفين من الشباب.

٦) تخطيط وتنفيذ مباني الوزارات جميعًا على طريق المطار.

٧) إنشاء أوّل إسكان حديث لموظّفي الدّولة بالرّياض الملزّ.

٨) تنفيذ عدد من مشروعات المياه في الخرج والأفلاج وتيماء والأحساء وغيرها لأوّل مرّة في التّاريخ.

٩) إنشاء عدد من المشروعات الطّبّية من أهمّها المستشفى المركزي بالشميسي في الرّياض ولا تزال له الصّدارة في المملكة المباركة.

١٠) إصدار النّظم الإداريّة التي تحتاجها الدّولة الحديثة ولا يزال العمل الحكومي ينفّذ بموجبها حتى اليوم.

١١) وكان الملك سعود ساعد والده الأمين رَحِمَهُ اللَّهُ في إنشاء وتطوير الأجهزة الأمنيّة العسكريّة المختلفة.

١٢) وكان ساعد والده الأمين (رَحِمَهُمَا اللَّهُ) في إنشاء وتطوير الطّيران المدني السّعودي، والخطّ الحديدي بين المنطقة الشرقيّة والرّياض، بل عهد إليه والده بالتنفيذ منذ ١٣٦٨.

١٣) وكان الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ أوّل من استعمل المقاطعة التّجاريّة في صالح العرب فأوقف بيع البترول عن المشاركين في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦.

١٤) وفي هذا السّبيل وللغرض نفسه فتح الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ مطارات المملكة العسكريّة ملاذًا للطّائرات المصريّة أثناء العدوان الثلاثي غير ملتفت للخطر العسكري الأوروبي والإسرائيلي على السّعوديّة.

١٥) وتشجيعًا للعلم والعلماء أمر رَحِمَهُ اللَّهُ بتمويل مدارس الشيخ/ عبد الله القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في جيزان وما حولها.

١٦) وكان الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ يعطي في الدّاخل والخارج عطاء من لا يخشى الفقر فسُمِّي بحقّ: (أبو خَيْرَيْن).

زار تيماء فنال كلّ رجل وامرأة وطفل من أهلهما عطاءه.

وزار تبوك فذُكِر له حال جزيرة صغيرة في البحر الأحمر يعيش أهلها على صيد السّمك ليس فيهم موظّف فأمر بصرف راتب شهري لكلّ عائلة في الجزيرة، واقترحت جهة مختصّة أن يكون الراتب الشهري ٣٠ ريالًا، فزادها أحد الكتاب ـ عمدًا أو سهوًا ـ صفرًا من اليمين، وجاءت موافقة الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ على صرف٣٠٠ ريال شهريًّا لكلّ عائلة، ولما روجع في ذلك (إذ كان راتب أمير المنطقة ١٢٠٠ريال) قال رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا عطاء الله فأمْضُوه.

١٧) وزرته رَحِمَهُ اللَّهُ مرّة واحدة في الحويّة ضمن وفد معلّمي وطلاب دار التّوحيد بالطّائف، وتحدّث الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع رَحِمَهُ اللَّهُ، وتحدّث ممثل المعلّمين، وتحدّث ممثّل الطّلاب، ثم تحدّث الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ فتميّز حديثه (على الجميع) بالأمر بطاعة الله ورسوله والنّهي عن معصية الله ورسوله وخصّ أحد الأحكام الشّرعيّة بنصيب أكبر من الحديث، وختم حديثه بأهمّية العلم والعمل الشرعي في حياة الفرد والجماعة، ولأن الوفد وفد

العلم الشرعي في المنطقة فقد أَخْبَرَنَا بأنّه أثابه الله أمر بتخصيص طائرة لنقل الطّلّاب بعد انتهاء العام الدّراسي وإسكانهم في ضيافته بالرّياض ثمّ نَقْل كلّ منهم إلى بلده، وركبت مع زملائي الطّائرة لأوّل مرّة في حياتنا وكان السّفر بالطّائرة لا يزال نادرًا، ونزلنا في ضيافة أمّ قبيس بالرّياض حتى تمّ نقْلُ كلٍّ منّا إلى قريته وأهله.

١٨) وقد بنى الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ ما بنى، وأنجز ما أنجز، وانفق ما أنفق للدّين والدّنيا وللعلم والعمل في وقت لم يتجاوز فيه إنتاج المملكة من النّفط (المصدر الوحيد للدّخل): مليون برميل في اليوم، ولم يتجاوز سعر البرميل: دولارًا و٨٠ سنتًا.

١٩) وكان للملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ طموحات عظيمة في العلم والعمل في الإدارة والاقتصاد والسّياسة تحقق كثير منها وعَجِزَت الميزانية والإدارة التّنفيذيّة الناشئة عن تحقيق بعضها.

٢٠) وكان للعرب يومها يهيمون ـ كعادتهم اليوم ـ في أوهام القوميّة والاشتراكيّة فلم يعوا فضل الله بالملك سعود ولا فضل الله عليه، ولكن الله لا يضيع أجر المصلحين، اللهم ارفع درجاته في الصّالحين.

وفقكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتبه

سعد بن عبد الرحمن الحصين عفا الله عنه

في ١٤٢٧/٥/٧هـ

ترجمة العلّامة
عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

الشيخ/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي ولد عام **١٣١٢** في قرية (البير) شمال الرّياض وتوفاه الله عام **١٣٩٢**هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

جدّ في طلب العلم على علماء نجد، وأشهرهم: عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ وإبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ وحمد بن فارس وسعد بن عتيق وعبد الله العنقري ومحمد بن إبراهيم آل الشيخ ومحمد بن نافع رحمهم الله جميعًا.

ونفع الله بحسن خطّه وسرعته في الكتابة فنسخ بقلمه كثيرًا من كتب العلوم الشرعيّة قبل أن تتيسّر الطباعة في المملكة المباركة، وكان أبرزها في البداية: جمع أجوبة علماء نجد على أسئلة الأحكام الشرعيّة منذ عهد المجدِّد الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصر ابن قاسم أسكنهما الله الفردوس من الجنة، بعنوان: (الدّرر السّنية في الأجوبة النّجديّة) في (١١) مجلّدًا، وأكملها بالمجلّد (١٢) في تراجم العلماء الذين سجّل أجوبتهم جزاه الله رفقة رسوله ﷺ وصحابته.

وله بضعة عشر مؤلفًا في الاعتقاد والفقه والحديث والتفسير والفرائض واللغة وتَوَّجها بجمع فتاوى ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في (٣٥) مجلّدًا، حثه على إنجازها الشيخ محمد بن إبراهيم وموّل وشجَّع جَمْعَها وطَبْعها الملك سعود رَحِمَهُمَا اللَّهُ، وساعد الشيْخَ في جمعها وإعدادها للطبع ابْنُه محمد رَحِمَهُ اللَّهُ وخلفه على أهله بصلاحهم.

وعمل الشيخ في الدّولة السّعوديّة السّلفيّة أكثر من (٣٠) سنة في العلم والعمل الشرعي (رعاية ونشر الكتب والمراجع الدّينيّة بخاصّة)، وطلب التّقاعد قبل وفاته ببضع سنين ليتطوّع لما ميّزه الله به: جمع ونشر العلوم الشرعيّة.

رحمه الله وأسكنه فسيح جنّاته وخلفه في عقبه، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير ما يجزي الله الدّعاة إلى سبيله على بصيرة.

كتبه

سعد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصيّن

في ١٤٣٥/٥/٤هـ

الشيخ صالح الفوزان
خليفة ابن باز أسكنهما الله الفردوس

لقي الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ ربّه العليّ العظيم بعد نحو(٨٠)سنة في العلم والعمل الشّرعي، وفي خدمة الإسلام والمسلمين بما لم أره أو أسمع به أو أعرفه عن غيره منذ القرون الخيّرة؛ علمًا وعملًا وعبادة وثباتًا على منهاج النّبوّة والصّحبة والأتباع، وكَرَمًا بوقته وماله ونفسه وحُسْنَ خلق في معاملته للجميع، وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر ودعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، وإلى أحكام شرع الله تعالى في الاعتقاد ثم العبادات ثم المعاملات الشرعيّة.

وتلفَّتُّ بعد وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ لعل أحد كبار السّلفيّين من العلماء أو الأمراء يقوم مقامه في صِفَة واحدة من صفاته: الصّلة بين الرّاعي والرّعيّة، واعتَذَرَ اثنان ممّن كنت أحسبهم أهلًا لخلافته في بعض صفاته بما لم أره عذرًا شرعيًّا ولا عقليًّا، وانحرف الثّالث (عفا الله عنّي وعنهم جميعًا) عن منهاج السّنّة في النّصيحة للرّاعي ـ خُفْيَةً ـ إلى منهاج الحركيّين في الفضيحة علنًا، وهو ما كان ينكره عليهم وَفْقًا لشرع الله تعالى.

ووجدت أنّ خير خليفة للشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في العلم والعمل ونشر صحيح الاعتقاد والعبادة والمعاملة ومكافحة الابتداع في الدّين والثبات على منهاج النّبوّة في الدّين والدّعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى معالي الشيخ د. صالح الفوزان عضو هيئة كبار العلماء واللجنة الدّائمة للبحوث والافتاء.

فمنذ عرفته عام١٣٩٧هـ، وهو يؤمّ المصلّين في مسجد الأمير متعب بن عبد العزيز وفقه الله ويخطب يوم الجمعة ويدرّس فيه أيام الأسبوع من السبت إلى الثلاثاء بين المغرب والعشاء ثم ضمّ إليها دروسًا في مسجد حماد السّلامة أثابه الله في حي الفيحاء شرق الرياض يوم الاثنين والثلاثاء بعد صلاة الفجر إضافة إلى دروسه منذ عشرات السّنين في برنامج (نور على الدّرب) في إذاعة القرآن بالرّياض، ودروسه في القناة الأولى ـ تلفزيون القناة المملكة المباركة ـ، ودروسه في مساجد أخرى في الرياض وفي مكة لتوعية الحجاج في موسم الحج.

وتتميّز دروسه أثابه الله باختياره لها من المؤلّفات الميسّرة التي يراعي فيها أن تكون على مستوى صغار طلاب وطالبات العلم من العرب وغير العرب أكثر، ويشرحها بأسلوبه السهل الممتنع ليفهمها الجميع على مختلف مستوياتهم بمن فيهم العَوَامّ، إضافة إلى عمله الحكومي في رئاسة إدارات البحوث والإفتاء وقبلها في

المعهد العالي للقضاء من جامعة الامام محمد بن سعود بالرّياض، ودخَلْتُ بيته أكثر من مرّة فكان أوّل ما أراه فيه مراجع البحث في العلوم الشّرعيّة.

وكان في هذا مثل ابن باز أثابهما الله دائم البحث، ولم يكونا مثل أكثر علماء العصر (وأطبّائه ومهندسيّه) وغيرهم من أهل الفنون والمهن ينتهي عهدهم بالبحث فور حصولهم على شهادة التّخرج التي تفرضهم عالةً على الأمّة التي لا تحصل منهم ولا على الشكر اللفظي أو مجرّد كفّ الأذى، هدانا الله وإياهم لأقرب من هذا رشدا.

وبارك الله تعالى في وقته فأضاف إلى أعماله الشرعيّة الحكوميّة وأعماله الشرعيّة التّطوّعيّة: التأليف في العلوم الشرعيّة طُبِع له منها نحو (١٠٠)، منها: نحو(٢٠) مجلّدًا في المعتقد الصّحيح الذي يتجنّب التّأليف فيه أكثر العلماء والدّعاة وكلّ مبتدعي الفِرَق والجماعات والأحزاب الموصوفة بالإسلاميّة والمتعصّبين لهم؛ وأخصُّهم: مؤسِّس وأتباع حزب الإخوان الضّالّ فقد سنّ لهم حسن البنّا رَحِمَهُ اللَّهُ (وهو خيرهم وأوّلهم ومتبوعهم) سنّ لهم سنّة سيّئة لعلّ الله أن يعذره بجهله فيجنّبه «**وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**»؛ فنفى من كلّ تعاليمه العمليّة أيَّ إشارة إلى إفراد الله بالدّعاء وغيره من العبادات وأيّ إشارة إلى نفي التّعبّد بشيء من

ذلك لغير الله تعالى، وقد وُلِدَ ومات رَحِمَهُ اللَّهُ بين أوثان الأضرحة والمقامات والمزارات وطلب المدد ممّن سُمِّيَتْ بأسمائهم، بل أعلن خليفته الثالث عمر التّلمساني رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه (شهيد المحراب) أنّه لا داعي للإنكار على هؤلاء فلجوؤهم إلى أضرحة الأولياء عند الشدائد مسألة ذوق[1]. وضع حسن البنّا رَحِمَهُ اللَّهُ (٣٨) واجبًا على المبايعين ابتداعًا لحزبه منها: عدم الإكثار من شرب الشاي والقهوة والمشروبات المنبّهة، و(١٠)أركان للبيعة الاخوانيّة المبتدعة، و(٥٠) مطلبًا من ولاة الأمور، و(١٠) منجيات، و(١٠) مهلكات، و(١٠) موبقات، و(١٠) وصايا، حذف منها أيّ كلمة عن إفراد الله بالعبادة والنّهي عن الإشراك بالله في العبادة، مع أنّ الله أرسل كلّ رسله بذلك على اختلاف المكان والزمان والحال، ومع أنّه طالب الولاة بتوحيد الزّيّ وتنظيم المصايف، ومع أنّ أول الموبقات في الوحي: النّهي عن الشرك، ومع أنّ أوّل وثاني الوصايا العشر عند اليهود والنّصارى اليوم:

١) لا تعبد إلهًا غيري.

٢) لا تصنع تمثالًا فتسجد له، فقد أخذ تجاوز الله عنه منهم العدد المبتدع وترك الوصايا المشروعة بالنّهي عن الشرك في العبادة إضافة إلى النّهي عن القتل والزّنى والسّرقة وشهادة الزّور... إلخ.

---

(١) انظر ص١٩٧-٢٠٢.

وميّز الله شيخنا صالحًا بالتّأنّي والثّبات عند الفتن، وعدم الأخذ بالإشاعات والدّعايات الحزبيّة الثّوريّة كفانا الله شرّها، وإذا سأله سائل من أوزاغ الفتنة: ما رأيك في فلان أو هل فلان كافر؟ أو فلان يقول كذا، لم يتابعه على ما يريد الشيطان أن يشغل به السّائل والمسئول عن العلم والعمل الشرعي كما يفعل أكثر طلاب العلم والدّعاة بمن فيهم خيرهم (السّلفيّون) فيزيدوا فتنة التّهارش والمراء وتبادل السّباب اشتعالًا، بل يكون جواب الشيخ: لن يسألك الله عن غيرك، اهتمّ بتعلّم أحكام دينك والعمل بها والدّعوة إليها، ولا تفتح بابًا للشّر على نفسك ولا على غيرك.

وليت إخواننا السّلفيّين (فمن دونهم) يقتدون بشيخنا وشيخهم فيتّقون الله فيما خوّلهم من نِعَمِه بالدّين والدّنيا ويشكرون الله على ما آتاهم من وقت وعلم فيحافظوا عليه وينفقوا كما ينفق ذا المال من ماله في سبيل الله، ولا يهدره في ما يضرّهم ولا ينفعهم.

وتميّز طلاب العلم الشرعي من دروس الشيخ صالح (بارك الله له في العلم والعمل والمال والأهل) باختيار دروس الأحكام الشرعيّة في الاعتقاد والعبادات والمعاملات بينما يختار أكثر المسلمين (الشباب بخاصّة) دروس القصّاص المزوّقة بالخيال والفكاهة والشعر، تحلّيها النّفس الأمّارة بالسّوء، ويحلّيها الشيطان لأنّ نتيجتها ضياع الوقت والدّين باسم الدّين والدّعوة.

وأكثر طلاب دروس الشيخ د. صالح الفوزان أثابه الله من خارج المملكة المباركة وبقية بلاد العرب، فجلّهم من روسيا وأمريكا، وألبانيا، والجمهوريات المستقلّة من الاتّحاد السوفياتي وبقية أوروبا.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمَّد: ٣٨].

حفظ الله شيخنا قدوة صالحة وذخرًا وجزاه خير ما يجزي به الدّعاة إلى سبيله.

كتبه

سعد بن عبد الرحمن الحصيّن

في ١٤٣٥/٤/٢٨هـ

العلامة محمد العبودي
مثل بارز للإنتاج العلمي والعملي

١) كما هي عادتي القاصرة في ضرب الأمثال القدوة التي عرفتها في حياتي مثل آل الجميح الذين أوصلوا مياه الشرب لكلّ منزل في شقراء في زمنٍ تعوّد فيه المواطنون الأخذ لا العطاء، وقريبًا من ذلك أو خيرًا منه صرفهم رواتب أكثر دعاة الشيخ ابن باز أثابه الله وأثابهم في آسيا وفي تركيا ومصر، إضافة إلى أكثر من (٨٠) ممن اخترتهم حسب رغبتهم من الدّعاة إلى صحيح الاعتقاد وصحيح العبادات والمعاملات، ومثل الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي جمع الله له من العلم والعمل والخُلُق الشّرعي ما لا أعلم أنّه اجتمع لغيره؛ يسُرُّني في هذه الأسطر أن أضرب مثلًا بارزًا للسّعودي المتميّز بجدّه وهمّته وسيرته العلميّة والعمليّة: معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي (الإداري التّربوي اللغوي المؤرخ...) وقد عرفه أكثر المواطنين بما يذاع من سيرته في السَّفَر تعرُّفًا وتعريفًا بكلّ بلد على وجه الأرض تحتاج مؤسّسات الدّعوة إلى الله التي عمل فيها إلى معرفة أحوال مواطنيها من المسلمين ولو كانوا قلّة لا تكاد تذكر.

ومعالي الشيخ العبودي عالم من الطّراز الأول؛ ضليع في العلوم الشرعيّة وضليع في علوم آلتها، وبوتقة ربّانيّة جمع الله فيها العلم والعمل والمواهب.

طلب العلم على فحول العلماء مثل الشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ عمر بن سليم والشيخ عبد الله بن حميد والشيخ صالح الخريصي رحمهم الله جميعًا.

٢) كان أوّل أعماله: إدارة مكتبة جامع بريدة، ثمّ التّدريس في أوّل مدرسة عصريّة في بريدة، وكانت إحدى (٩) مدارس أمر الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بافتتاحها في نجد، وكانت مدرسَتِي في شقراء إحداها ولكن تأخّر افتتاحها مع مدرسة الرّياض بضعة أعوام، ولعلّ الخير في ذلك فقد رحّب الأهالي بقدومها بينما ضاق بها أهل بريدة خوفًا من سوء تأثيرها على أولادهم، وزاد خوفهم باستيراد إداريّين ومدرّسين من أهل الحجاز وفيهم الحليق والمدخّن وهو مالم يُعْرف في بريدة من قَبْل.

٣) وكانت وظيفته الثالثة مديرًا للمدرسة الثانية في بريدة.

٤) ولما منّ الله على الملك سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ بفتح المعهد العلمي (الدّيني) في الرّياض عام ١٣٧٠ (وكان وليًّا للعهد ولكن والده الملك عبد العزيز رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ قد سلّمه دفّة الحكم قبل وفاته بخمس سنين في رواية حمد الجاسر وثلاث سنين في رواية عبد الله فلبي)، ثمّ

فَتْح المعهد العلمي ببريدة واختار الشيخ محمد بن إبراهيم تلميذه الشيخ محمد بن ناصر العبودي لإدارته، وزاد عدد هذه المعاهد المباركة على (٦٠) معهدًا في الدّاخل والخارج.

٥) وفي عام ١٣٨٠ منّ الله على الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ بإنشاء الجامعة الاسلاميّة بالمدينة برئاسة الشيخ محمد بن إبراهيم لتعليم المسلمين من خارج المملكة المباركة الاعتقاد الصّحيح والعبادات والمعاملات الصحيحة كما كانت على عهد النّبيّ صلى الله على وسلّم وأصحابه، وأهداها (٢٨) بيتًا من بيوت قصره كانت أوّل مأوى لها، واختار الشيخ محمد بن إبراهيم تلميذه محمد بن ناصر العبودي مديرًا لها مع الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ نائبًا للرّئيس في أعلى مرتبتين بالجامعة، وبدأت رحلات العلّامة الشيخ محمد العبودي إلى أدنى الأرض وأقصاها.

٦) ولما أنشئت الهيئة العليا للدعوة برئاسة الأمير سلطان رَحِمَهُ اللَّهُ اختار الأمير سلطان العلّامة العبودي ليكون يده اليمنى في الهيئة.

٧) ثمّ اختاره ولاة الأمر أمينًا عامًّا مساعدًا لرابطة العالم الإسلامي فواصل رَحَلاته العلميّة الدعويّة إلى بقيّة أقطار الأرض، حتى ناهز السّنة التّسعين من عمره المقصور على العلم والتّعلّم والتّعليم.

٨) وتعلّم من مشايخه ـ زيادةً على مسائل الاعتقاد والعبادات والمعاملات، وزيادةً على لغة القرآن والسّنّة وعلوم القرآن وأصول الفقه ومصطلح الحديث والتّاريخ والسِّيَر ـ أخلاق العلماء بشرع الله في حركاته وسكناته وسَمْتِه وحديثه، ومع حُبِّه للمرح فلم أره زاد على الابتسام عند روايته أو إنصاته لرواية غيره طُرْفة تعجبه، ولم أسمعه رفع صوته غضبًا من قول أو عمل لا يرضيه، ولعلّه أخذ من شيخه العلّامة عبد الله بن حميد رَحِمَهُ اللَّهُ ـ بخاصّة ـ المرح والتّسامح ولِيْن الجانب للجميع؛ من يوافقه منهم ومن يخالفه.

٩) ظلمه بعض الكتّاب الجهلة بشرع الله فلزّوه في قَرَنٍ مع ابن بطوطة المغربي، ولا سواء، فإنّ جُلَّ رحلات العلّامة العبودي كانت في خدمة دولة التجديد والتّوحيد والسّنّة والدّعوة إلى ذلك بينما كانت رحلة ابن بطوطة لإرضاء شهوة في نفسه، ويُرْوى أنّ ابن بطّوطة قضى بضعةً وعشرين عامًا في التِّرحال على الدّوابّ والسّفن الشراعيّة فله ما لاقى من عنت، وعليه أن أكثر وقته ضاع قبل الوصول إلى غايته في آسيا وأفريقيا، والبرتغال بحثًا عن بحر الظّلمات، وأملى ما ادّعاه من رحلته على محمد بن محمد بن جُزَيّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ في مجلّد واحد، وشكّ الباحثون في وصوله إلى الصّين بل إلى صنعاء مثلًا، ولعلّه خلط بين ما رأى وما رُوِيَ له عن مثل سدّ يأجوج ومأجوج، وأوثق دليل على ذلك كذِبه على ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أنه رآه يخطب الجمعة ويقول: إنّ الله ينزل إلى السّماء

الدّنيا مثل نزولي درج هذا المنبر، وابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ لا يُشَبِّه صفات الخالق ﷻ بصفات المخلوق أبدًا بل يُنْكِر على المشبِّهة أشدّ الانكار، ولم يصل ابن بطّوطة دمشق في روايته إلا بعد سجن ابن تيمية الذي مات فيه، عوّضه الله بمقعد صدق عند مليك مقتدر.

أمّا شيخنا العلّامة العبودي زاده الله من فضله فكانت أسفاره كلّها بالطّائرة، فيصِل إلى غايته في كلّ أقطار الأرض في ساعات معدودة.

واستمرّت رحلاته نحو نصف قرن، وكتب عنها ـ عوضًا عن كتاب ابن بطّوطة (تحفة النّظّار) الذي خطّه ابن جُزِيّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ ـ نحوًا من (١٣٦) كتابًا ـ طبع منها أكثر من (١٠٠) كتاب ـ إضافة إلى (١٦) في الدّعوة و(٣٠) في اللغة والأدب وغيرها.

ولعلّ أوّل كتاب له طُبِع له: (الأمثال العامّية في نجد ـ ٥ مجلّدات) وأكبرها موسوعته عن بلاد القصيم وعن أُسَر القصيم.

١٠) وهو ـ مع سَمْته وعلمه ووظائف عمله الحكومي التي منحه الله أكبرها منذ عام ١٣٨٠ ونصف قرن بعده ـ يأخذ بنهج الرّعيل الأول ممن جمعوا بين العلم والعمل الشرعي والجدّ في الإنجاز وبين مراعاة الفسحة والسّعة في الدّين ما اجتُنِبَت المحرّمات وأُدِّيت الواجبات كما قال عنهم عَلَم شقراء العلّامة أبو عبد الرحمن بن عقيل زاده الله من فضله.

ولكنّه كان يصبر على حنبليّتي (أَوِيْ) ـ باللفظ المصري ـ عندما كنت أردُّ جميله ـ بإهدائي مؤلّفاته المتميّزة ـ بإلحاحي على أن تكون الأوّليّة والأغلبيّة لنشر إفراد الله بالدّعاء وغيره من العبادة والنّهي عن صرف ذلك لغير الله، نسأ الله في أثره.

كتبه

سعد بن عبد الرحمن الحصيّن عفا الله عنه

تعاونًا على البر والتقوى

بمكة المباركة في ١٤٣٥/٣/١٢هـ

يوسف البرقاوي
أوّل دعاة التّوحيد والسّنّة في الأردن

عرفت الشيخ يوسف البرقاوي رَحِمَهُ اللَّهُ منذ وصولي الأردن مع بداية هذا القرن الخامس عشر ممثلًا لرئاسة البحوث والإفتاء في الإشراف على دعاتها في بلاد الشام، وكان قد سبقني عائدًا إليها بعد غياب طويل في بلاد التوحيد والسنة دارسًا في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ثم معلمًا في مدارسها.

ولأن الجامعة الإسلامية بالمدينة تُعِدُّ طلابها للدعوة في بلادهم على منهاج النبوة بالحكمة والموعظة الحسنة، فقد اختار ترك العمل في المملكة العربية السعودية المباركة والعودة إلى بلاد الشام المباركة وفاء بعقده مع جامعته؛ مضحيًا بوظيفته التعليمية وبعيشه الهنيء وصلته المباشرة بالشيخ ابن باز في الرياض وبشيخ العشيرة ابن مشيط في أبها، وكان الاثنان من أصدق أصدقائه وأبر الناس به رحمهم الله جميعًا.

واستمر على صلته بالاثنين بين حين وآخر، بل كان ابن مشيط يزوره في الأردن سنويًّا ويقيم معه في بيته الذي أعانه على بنائه حتى أعجزه الكِبَر، بنى الله لكل منهم بيتًا في الجنة عنده.

وكان الشيخ يوسف البرقاوي رَحِمَهُ اللَّهُ وفيًّا للجامعة الإسلامية في أمر أهم لا يوفق له أكثر الدعاة من خريجيها وغيرهم: التركيز على الأمر بإفراد الله بالعبادة (وما دون ذلك من الأحكام الشرعية) والنهي عن إشراك أحد غير الله معه في عبادته (وما دون ذلك من الابتداع في الدين).

واستنكر ذلك عدد ممن يوصفون بالدين والعلم والدعوة (على غير منهاج النبوة) بحجة أنه يكره أولياء الله (الذين سميت بأسمائهم أوثان المقامات والمزارات والأضرحة)، بل بحجة أنه يكره النبي ﷺ (لمنعه اطراءه ووصفه بغير ما وصفه الله به ووصفه به أصحابه وتابعوهم في القرون المفضلة، ومنعه الاستغاثة والاستعانة به بعد موته).

ووفقه الله لتحكيم أحد ولاة الأمر في وزارة الأوقاف الأردنية فيما شجر بينه وبين مخالفيه مبينًا أنه يعتقد يقينًا أن من يكره النبي ﷺ فهو كافر خارج عن ملة الإسلام، وأن من الولاء لله ولكتابه محبة أوليائه الذين شهد لهم وحي الله في كتابه أو سنة رسوله بالولاية، ولكنه يعتقد ـ يقينًا ـ كذلك أنه لا يجوز أن يصرف لملك مقرب ولا لنبي مرسل ولا لولي ـ دونهما ـ شيء مما اختص الله به نفسه من دعاء أو علم غيب أو تصرف في الكون، وأنه لا يجوز الاستغاثة أو الاستعانة بميت ولا غائب ولا بمخلوق حي

فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ ووفق الله الحَكَم لمعرفة الحق والعدل به، فسكت عنه المبتدعة على مضض.

واستمر نحو ثلاثين سنة يصدع بالدعوة على المنهج الذي ارتضاه الله لجميع رسله لا يخرج عن أحكام الشريعة في الاعتقاد والعبادة والمعاملة، وينكر المبتدعات المحدثة في الدين والدعوة إليه.

وأعانه الله وشد عضده بأحد الدعاة الموحدين الشيخ عبد الرؤوف العبوشي رَحِمَهُ اللَّهُ وإن كان دونه في الالتزام بالفقه الأول والمنهاج الأول. وكان من حسناته ـ بفضل الله ـ أن لازمه أحد ضباط الجيش العربي الأردني الشيخ يوسف الغويري بضع عشرة سنة حتى صار ينافسه في العلم والعمل، وقد أعلن لمشيعي الشيخ البرقاوي (وهم ألوف مؤلفة غص بهم أكبر مساجد الزرقاء والساحات والطرق المحيطة به) أنه يشهد لله شهادة حق بأنه لم يعرف التوحيد والسنة حق المعرفة إلا من دروسه وخطبه في مساجد الزرقاء وما حولها، والشيخ يوسف الغويري اليوم من خير من عرفت في أرض الشام المباركة علمًا ومنهجًا ودعوةً، وقد استعنت بالله ثم به؛ فهو خير من أعانني على مراجعة وتصحيح أكثر منشوراتنا (بين ٦٠ و٧٠ من الكتب والرسائل).

وأثناء فتنة حزب البعث العراقي وطاغوته صدام حسين في الخليج واحتلاله الكويت ركض الشيوعيون والعلمانيون والحزبيون

الموصوفون زورًا بالإسلاميين في ركب الشيطان تأييدًا للشر، ووقف الشيخ يوسف البرقاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في وجه الظلم والظالم وأعلن (وحده فيما أعلم) رأيه في مقال من عدة صفحات في مجلة رابطة العالم الإسلامي وهو يعلم أن الأكثرين (الأقلين في شرع الله) سيعادونه؛ كما صدع بالحق في الدعوة إلى التوحيد والسنة والتحذير من الشرك وما دونه من البدع وهو يعلم أن الأكثرين (الأقلين) ضد له. وكان من أنصاره في الدعوة على منهاج النبوة وفي إنكار احتلال الكويت وتأييد السعودية في التصدي له: الشيخ محمد نسيب الرفاعي شيخ الدعوة إلى التوحيد والسنة في حلب من الأرض المباركة؛ كلاهما عاش للدعوة ومات داعيًا إلى الله على بصيرة في الأردن. غفر الله لهم جميعًا ورحمهم وأثابهم الفردوس من الجنة والنظر إلى وجهه الكريم، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه ومتبعي سنته.

كتبه

سعد بن عبد الرحمن الحصين عفا الله عنه

١٤٣٥هـ.

عن حياة عبد الله الطريقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ
برواية صحفيّة إنكليزيّة

أ ـ في البداية لا بدّ من التّذكير بأنّ الرّوايات الصّحفيّة تقوم على الإشاعة أكثر مما تقوم على التّحقيق والتّوثيق، وإن كانت الصّحافة الغَرْبِيَّة الأصل أوثق ـ عندي ـ من الصّحافة المقلّدة، بعد متابعتي لهما سنين عددًا، ثمّ انصرافي عنهما عشرات السّنين.

ب ـ والصّحفيّة: لِنْدا بْلانْدْفُرْد من صحيفة الأُبزيرفر اللندنية زارت المنطقة زمن الطّفْرة الاقتصاديّة الأولى في عهد الملك خالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ آخر عام ١٣٩٥.

ج ـ وعبد الله بن حمود الطريقي أوّل وزير للبترول بل خير وزير للبترول على الاطلاق في بلاد العرب والمسلمين؛ فقد غيّر طريقة التعامل بين هذه البلاد وبين شركات البترول الغربيّة إلى درجة أقرب إلى العقل والعدل.

د ـ وكانت أوّل مقابلة بين الطريقي والصّحفيّة في نادي الصّيد والفروسيّة في الكويت، قالت: دخل النّادي عصر ذلك اليوم

رجل يظهر أنّه ليس من الأمراء ولا من كبار الكويتيّين، ولكن كلّ من في النّادي من الأمراء والكبراء يحرص على السّلام عليه.

وبعد تبادل التّحيّة وقليل من الكلام والابتسام ذهب الرّجل إلى الإصطبل وامتطى فرسه وانطلق بها وحيدًا منفردًا عن الجميع وَفْقًا لِطَبْعِه.

من هو؟ إنه يحمل أربعة جوازات سفر من الكويت والجزائر وسوريا والأردن، وفوقها جواز سفر من وطنه: (السّعوديّة).

إنّه الرّجل الذي رأى ـ قبل غيره ـ وسعى ـ أكثر من غيره ـ لإنشاء (أُبِك، منظّمة الدّول المصدّرة للبترول) لتَمْنَع شركات البترول الغَرْبِيّة من الانفراد بالقرار والأسعار، إنّه عبد الله الطريقي.

لقد بلغ تأثيره في مستقبل إنتاج وبيع البترول درجة صارت قصّة البترول في الشرق الأوسط هي قصّة حياته، إلّا أنّه لم يكن مستعدًّا للمساومة، وكان رجلًا أمينًا صادقًا حازما.

كان أبوه يملك قافلة جِمَال يسيِّرها (بين الزّلفي شمال نجد وبين الكويت) يوم وُلِد عبد الله عام ١٣٣٨هـ، وعندما بلغ السّادسة وضعه أبوه في (خِرْج) على أحد الجمال في إحدى رحلاته للكويت ليقيم مع أخ له من أبيه ويدرس معه في إحدى مدارسها، وكان عليه أن يتولّى كَنْسَ البيت أوّل النّهار، وإعادة الغنم من المرعى آخره.

وعندما بلغ الحادية عشر من عمره أرسله أبوه وحيدًا على سفينة بخاريّة إلى الهند ليعمل عند تاجر أُمِّيٍّ كاتبًا وحاسبًا.

ثمّ عمل عند تاجر آخر أُعْجِبَ به فأرسله بخطاب تعريف إلى عبد الله السّليمان وزير المالية السّعودي فعادت به السّفينة إلى الكويت وأكمل سفره إلى مكّة على ظهر بعير.

أرسله عبد الله السّليمان الوزير الوحيد في حكومة الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ يومها إلى القاهرة للدّراسة على نفقة الدّولة المباركة.

وكان همّه الأوّل: أن يتخرّج مهندسًا رغم ضعفه في الكيمياء.

وتعرّف على ضابط مصري قال له: إنّ الله خلق الانسان وخلق معه رزقه، ولكن على الانسان أن يبحث عن رزقه، وأخبره أنّه عندما عمل في تركيا رأى الجيولوجيّين يبحثون عن المعادن في الجبال، فأعجبه ذلك.

وعندما أنهى الثانوية ألحِق بالبعثة السّعوديّة في جامعة القاهرة ثم بالبعثة السّعوديّة في تِكْسَس ـ أمريكا لدراسة الماجستير في الجيولوجيا.

وتعرّف على أمريكيّة تزوّجها وولدت له ابنه الأوّل (صخر).

بعد عودته من أمريكا أوّل سعودي مؤهّل في الجيولوجيا عُيِّن في عهد الملك سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ مراقبًا على (أرامكو) ثمّ مديرًا عامًا ثم وزيرًا للبترول والمعادن.

لم يُغْرم الطريقي بأمريكا أثناء دراسته، ولم يُغْرم به الأمريكيّون في أرامكو بعد عودته مراقبًا عليهم.

١) كان أوّل عربيّ يرفض السّكن في القسم العربي من قريتها في الظّهران، ويصرّ على السّكن في القسم الأمريكي، ورضخت الشركة لطلبه بعد تردّد.

٢) وَجَد الطريقي أخطاء في حسابات أرامكو فأجبرها على تعويض الدّولة المباركة بمبلغ (١٤٥) مليون دولار، (بلايين بحساب اليوم).

٣) جعل الطريقي أكبر همّه أن يزيد نصيب الدّولة عن (٥٠٪) المتّفق عليه مع شركات الزّيت العاملة في المنطقة، وقضى سنة كاملة في مفاوضته مع شركة يابانيّة لتحصل الدّولة على (٥٦٪) في اتّفاق معها على انتاج البترول في الخفجي (المنطقة المحايدة مع الكويت).

٤) كانت أرامكو تخصّ بعض شركات البترول الأمريكيّة (الشركات الأمّ) بتخفيضات في أسعار البترول الخام دون إذن أو معرفة دُوَل الإنتاج.

فأقنع الطريقي ممثلي دول المنطقة المنتجة بإيقاف هذا التّعدّي على حقوقهم، واقترح إنشاء (أُبِك) لأخذ نصيبها في السّيطرة على حجم الإنتاج ـ وبالتّالي ـ على الأسعار.

٥) ولم تجد (أرامكو) راحة من هِمَّة الطّريقي في التّفكير وهِمَّتِه في العمل لصالح دولته حتى استقال الطّريقي من منصبه وخَلَفَه دُمْيَة للإعلام الأمريكي لا يحتاج للتّفكير، فهو لا يَنْظِم خيطًا في إبرة حتى يتّصل بأحد ولاة الأمر، ووطّن زملاؤه في (أُبِك) أنفسهم على انتظار نتيجة المكالمة.

هـ ـ وبعد أن ترك الطريقي منصبه (أول مدير عام ثم أول وزير للبترول) تسابقت أربع دول بتروليّة عربيّة على الاستفادة من خبرته وفكره وأصالته، أمّا خَلَفُه فبقي دُمْيَةً إعلاميّة بين حين وآخر، يَجْتَرّ ذكرياته الفارغة من أيّ محتوى غير التّهريج.

و ـ ترك الطريقي العمل الحكومي خشية ألّا يُوْلى الثقة التي أولاه إيّاها الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ، وثبت على ولائه لدولة التّوحيد والسّنّة، أمّا خَلَفُه الدُّمْيَة فجعل من همّه الإساءة للدّولة التي ميّزها الله في دينها ودنياها، فعجز أن يكون مثل الكلب الذي لا يعضّ يدًا أطْعَمَتْه.

ز ـ **قلت**: وممّا ميّز الله به عبد الله الطريقي قدرته على

الاستفادة من تجاربه وتجارب غيره، فبعد أن أُخِذَ بمصطلحات: القوميّة العربيّة، والتّأميم، وبترول العرب للعرب، وجد أنّ البلاد التي تحوّلت من الملكيّة إلى الجمهوريّة ومن التّجارة الحرّة إلى الاشتراكيّة لم تحقّق في الواقع غير تأميم الفقر والخوف والظلم.

ح ـ وكنت أرجو الله الذي ميّزه بالإصلاح الدّنيويّ أن يميّزه بالإصلاح الدّيني، ولم يخيّب الله رجائي فكانت لا تفوته صلاة الجماعة في مكتبه الخاصّ بإحدى المباني المعروفة بالرّياض، ولما تقدّمت به السّنّ صار يسبق جيران بيته إلى المسجد ويفوز بالدّعوة التّامّة (الأذان) إذا غاب المؤذّن.

ط ـ وكان أمراء الكويت يَعُدُّونه منهم لسابق إقامته ودراسته في الكويت ولاحِقِ عمله الاستشاري لدولتها، كما كان أمراء البحرين يَعُدّون غازي القصيبي منهم لسابق إقامته ودراسته فيها ثم عودته إليها سفيرًا لبلاده ودولته العربيّة السّعوديّة.

رحم الله عبد الله الطّريقي وغازي القصيبي وجزاهما خير الجزاء على ما قدّما لوطنهما المميّز من الله في الدّين والدّنيا وخلفهما في أهلهما وفي السّعودية رعاتها ورعيتها بصلاح الجميع.

وليتهما وأمثالهما من القلّة المصلحين الدّينيّين والدّنيويّين

السّعوديّين علماء وأمراء وأفراد يُقَدَّمون قدوة صالحة للنشء في مناهج وزارة التربية والتّعليم (الصّفّيّة أو غير الصّفّيّة) وعلى رأسهم ابن باز من العلماء والملك سعود من الأمراء وأمثالهم ممن لم يُوْفَوا حقّهم. وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه ومتبعيه.

كتبه

سعد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين

عفا الله عنه

مكة المباركة ـ ٦/١١/١٤٣٥هـ

قدوات دينية
وقدوات دنيوية

من سعد الحصين إلى أخي في الدّين/ رئيس تحرير المجلة العربية وفقه الله لطاعته.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد: ففي العدد الأخير في المجلة كتب أحد الإخوة عن عالم من أهل الشام كان يدرّس في المملكة وعاش بقية حياته ودفن فيها رحمهما الله ورحمنا جميعًا، كان الكاتب يأسف لأنه لم يكتب عنه أحد بعد وفاته رحمه الله.

وتذكّرت أمرًا كنت أحب بحثه واستثارة الهمم له قريبًا من هذا: نشر الخير والاعتراف بالفضل لأهله ولكن في حياتهم، أما بعد الممات فخير ما نقدّم لهم ولأنفسنا الدّعاء، لن تنفعهم المراثي ولا التّأبين ولا مؤلفات الذّكرى، «**إلا من ثلاث**»: أحدها الدّعاء.

المتميّزون في بلادنا التي ميّزها الله بخير نعم الدّين والدّنيا قلائل، الأغلبيّة، ومنهم أكثر طلاب العلم والعلماء والمثقفين:

أذهبوا طيّباتهم في حياتهم الدّنيا واستمتعوا بها، نستغفر الله لهم ولنا ولكل مسلم.

مجتمعنا في حاجة إلى تقديم أمثلة للقدوة: داخلة لا خارجة، أحياء غير أموات، وقد تكون (المجلة العربية) وعاءً أفضل لتنفيذ ذلك، ولي أمل في الله ثم فيكم أن تحاولوا القيام به شكرًا لله على منّته بالدّين والدّنيا والمجتمع والدّولة.

وإليكم بعض الأمثلة:

١) الشيخ عبد العزيز بن باز؛ الذي شغل نفسه منذ سبعين سنة بالعلم والتعليم والفتوى والنصيحة لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، ليس في وقته متّسع للهو والتجارة، ولا للقيل والقال، ولا للبحث عن الجاه والشرف، كريم بنفسه ووقته وماله يبذلها للجميع: الفقير والغني، الموافق والمخالف، الذكر والأنثى، الصغير والكبير، يقضي وقته في مصالح المسلم طيلة سنيّ حياته ما يعجز عنه السّاعون للمنصب والشهرة والثّروة.

٢) الشيخ/ محمد ابن عثيمين؛ لازم حلق العلم والذّكر حتى أهّله الله لخلافة شيخه ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ منذ عشرات السّنين بين حلقة الدّرس في المسجد والفتوى في المسجد والمنزل وما بينهما، بين المحاضرات في الجامعات، وبين الدّروس في كلّ مكان في المملكة أو يدعى إليه، ومثل الشيخ ابن باز لم ير حاجة لتغيير

لباسه أو نمط حياته، حتى بيت الطّين لازمه كل منهما حتى أخرجتهما المصلحة الغالبة.

٣) الشيخ/ صالح الفوزان؛ مع موقعه في الدّراسة الأكاديمية لم يغيّر ولم يبدّل في المنهج ولا في الأسلوب، في المخبر ولا في المظهر، لم ينح مع الأغلبيّة من زملائه في المؤسسة الأكاديميّة منحى الفكر الإسلامي المعرّض للضّلال، ولم يَعْشُ بصره من بريقه، ولكنّه عضّ بالنّواجذ على علوم الوحي ومنهج النّبوّة، جلّ وقته مصروف للبحث والكتابة والرّدود إجابة على سؤال أو تنبيهًا إلى ضلال.

الدّعوة إلى الله على بصيرة وظيفته الأولى، يحملها على بقيّة وظائفه وأنماط حياته.

٤) الوزير/ عبد العزيز الخويطر ممثّل الاقتصاد في جوّ الإسراف.

كُتِب عنه في أول تقرير عن طلاب البعثات: (أما عبد العزيز الخويطر فلا يحتاج إلى مراقب ولا مشرف؛ مثاليّ في خلته، مثاليّ في جدّه واجتهاده، ومثاليّ في نتائجه، أحيى الله الرقيب الدّاخلي في نفسه فكفاه غيره، عاش فريدًا في انضباطه وحرصه على المال العام والمصلحة العامّة، وكان وسطًا عدلًا في أداء ما وُكِل إليه، وإن تعوّد الأغلبيّة على الإفراط والتفريط).

٥) السّفير/ غازي القصيبي، حالفه النجاح ـ بفضل الله عليه وعلى المجتمع ـ في كلّ أحواله؛ في دراسته وتدريسه في الجامعة والمعهد، وفي وزارة الصّحّة وهو غير مختصّ فيها، وفي وزارة الصّناعة والكهرباء، وليست من صلب اختصاصه الدراسي كذلك، وقدّم لهذا المجتمع المتميّز بنعم الله الدّينيّة والدّنيويّة خدمات عظيمة وحفظ لها من المصالح ما لم يجمعه الله لغيره، وفي فتنة العراق الأخيرة لا أعادها الله على المسلمين استعمل قلمه المميّز سلاحًا يشفي به الله صدور المؤمنين من أهله، ويدحر به كيد عدوّه. وأخيرًا تميّز في وظيفته الحالية سفيرًا لا يبارى في ثقافته الدّينيّة والدّنيويّة أهلًا لتمثيل هذا البلد المبارك القدوة.

٦) الأمين العام/ عمر قاضي، عرفته في دراسته العليا من خير بني وطنه دينًا وخلقًا وعقلًا، اختاره الله لخدمة المدينة النّبويّة فأظهر من الحرص على المصلحة والحزم والبتّ في التنفيذ والاستجابة لدواعي الخير ما ميّزه الله به، ثم اصطفاه الله لرعاية خير بقعة على وجه الأرض تهوي إليها الأفئدة ويسير إليها الناس من كلّ فجّ عميق، وكان أهلًا لهذا الاصطفاء وبخاصّة في هذا الوقت وفي هذا المكان.

هؤلاء السّتة من نبات هذا البلد الطيّب المبارك، وإن اختصّ ثلاثة منهم بعلوم الشريعة وأعمالها؛ تجمعهم صفات الحرص على

أداء حقوق الله وحقوق خلقه بما تستطيعه أجسامهم وقلوبهم من همّ وجدّ وتضحية وتواضع وكريم خلق، يستحقّ كلّ منهم دراسة مستقلّة تظهر أن الناس لا زالوا بخير، وأن أمثلة القدوة الصالحة موجودة وإن قلّت، وعلى مستويات أخرى ستجدون: المدرّس القدوة؛ والإداري القدوة، والداعي إلى الله القدوة...الخ ممن يتوفر فيهم الدّين والخلق والعمل للمصلحة العامّة.

وأمر آخر أتمنّى محاولتكم إبرازه: اللغة العربيّة كما جاء بها القرآن والحديث الصحيح: قاعدةً وأسلوبًا وإملاءً.

لقد كتبت لوزارة المعارف ثم للوالد الشيخ/ عبد العزيز بن باز مقترحًا سنة أو أكثر من الدّراسة الابتدائية للتّعوّد على لغة القرآن: الطريقة التي أنتجت كلّ علمائنا وأئمتنا في الماضي والحاضر، ثمّ حوّلتنا الطرق الجديدة للتعليم إلى عوام يحملون شهادات دراسيّة لا يكاد أحدنا يعرف معاني القرآن دون ترجمة.

وفقكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتبه

سعد بن عبد الرحمن الحصيّن عفا الله عنه

الرسالة رقم١٠٢ في ١٤١٦/٥/١هـ

الأستاذ عثمان الصالح
يضرب مثلاً

١) كتبت مرة في إحدى الصحف عن تميز ثلاثة ممن هداهم الله للإصلاح الديني: (ابن باز وابن عثيمين) رحمهما الله (وابن فوزان) حفظه الله، وعن تميز ثلاثة ممن هداهم للإصلاح الدنيوي: (عبد العزيز الخويطر، وغازي القصيبي، وعمر قاضي).

٢) وكتبت مرة عن (الجميح وابن سليمان وأبا حسين) في سبقهم إلى إيصال الماء إلى بيوت قراهم في زمن ينتظر الناس من الدولة أن تعطيهم كل شيء، وليتهم ماثلوا من قال الله فيهم: ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨] فإن أكثر المتأخرين منهم يُعْطَون ويسخطون، مع أنهم وآباءهم أعطوا من خير الدين والدنيا ما لم يعطه أجدادهم منذ القرون الأولى؛ أما من الدين: فقد جدد الله بدولتهم الدين ثلاث مرات في القرون الثلاثة الأخيرة فطهر الله بلادهم من أوثان المقامات والمزارات والأضرحة والمشاهد، ومن الزوايا الصوفية وما أحدثته من لوثات البدع في الدين (الشرك الأكبر دعاءً وذبحًا ونذرًا لغير الله وطوافًا بغير بينة وما دون ذلك من أنساك الهوى والضلال)، وأما من

الدنيا: فقد نقلهم الله من حال الجوع والفقر والخوف والجهل (بظاهر الحياة الدنيا) ومطاردة الحطب والعشب والضب والأرنب إلى حال الشبع والأمن والغنى والعلم، كانوا يمنون أنفسهم بالسفر في طلب الرزق إلى الهند: (إذا نفد ما عندك فالهند هندك) وإلى بلاد الشام: (إذا ما الزمان ضامك فالشام شامك).

وكان القليل النادر منهم من يتيسر له الرحيل للغوص في الخليج أو التجارة في مصر وفلسطين؛ فصار الناس يرحلون إلى بلادهم من أقصى الأرض للعلم والعمل والدين والدنيا، ولكن أكثرهم يجهلون أو يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها، وقال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبإ: ١٣]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١].

٣) وكتبت مرة عن تميز (عبد الرحمن الشثري) بالسعي لتوفير أجهزة غسيل الكلى في كل مكان من هذه البلاد المباركة المترامية الأطراف.

٤) بل كتبت عن تميز (آيرلندا) بتعاون أهلها على انتشالها من درك الانهيار الاقتصادي، والصبر والجهد والتضحية لتحقيق ذلك.

٥) وكتبت عن تميز أهل (عُمان) على جميع العرب بل والعجم خُلُقًا وطاعة لولاة أمرهم، ومحافظة على التنظيم لمصلحة الجميع. وقد مدحهم النبي ﷺ.

٦) وكتبت عن تميز (محمد يونس البنكالي) بابتكار نوع من الإغاثة لم يسبق إليه: الإقراض للإنتاج (قبل الاستهلاك) والاكتفاء الذاتي.

٧) وكتبت عن عشرات من الأغنياء ومن دونهم (في أوروبا وأمريكا) تميزوا بابتكار أهداف دنيوية تتجاوز المتاع الدنيوي الذاتي إلى تحقيق مصلحة الغير (فردًا أو جماعة) في بلادهم وخارجها.

٨) ونوهت مرات عديدة بتميز (شركة عبد العزيز ومحمد العبد الله الجميح ـ شركة الجميح القابضة) على جميع الشركات والأفراد في بلاد التوحيد والسنة بكفالة عشرات من دعاة المنهج النبوي التابعين لمكتب الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (في حياته وبعد مماته) وعشرات منهم خصني الله بخدمتهم، وبلغ عددهم نحو مئة وخمسين، بينما توقف التمويل من الشركات الأخرى، واختص بعضها بتمويل الحزبيين والحركيين والخارجين على الأمة والأئمة، وقبل عشر سنوات ذكر أحد قادة الإخوان الضّال (سعودي من أصل عراقي) أن رئيس شركة مصرفيّة في المملكة المباركة وعدهم ذلك العام بإعانة قدرها مائتي مليون دولار.

٩) وكتبت مرة عن تميز (أشيقر) على جميع مدن وقرى الأرض المباركة (جزيرة العرب) بالعلم والعمل والخُلق ومشاركة الدولة في الإصلاح.

١٠) وشرق الأكثرون بهذا الاعتراف بالجميل، وبهذا الثناء على من يستحقه، وبهذا التنويه بصفات وأخلاق وأعمال الخير في الناس والبلاد وولاة الأمر (أمراء وعلماء)، وعذرهم المشؤوم أنهم ألفوا النظر إلى السوءات والسيئات، فإن لم يجدوها اختلقوها وأشاعوها، وإنما ذلك عدوى من شيطان الجن الذي يخوف أولياءه ويعدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء، ومن شياطين الإنس الذين يحبون أن تشيع الفاحشة والفحش من القول والعمل في الذين آمنوا ومن دونهم. ولقوا جزاءهم من الله في الدنيا حقدًا وغلًا وحسدًا يملأ قلوبهم فلا تفتأ تتقد نارًا أشعلوها باختيارهم كمثل الذين ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الحَشر: ٢]، وجعلوا أكبر همهم تأجيجها فلا تخبو حتى يلفظوا آخر أنفاسهم.

وصدق رسول الله ﷺ: «**من رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط**»، أو «**من جزع فله الجزع**»، وليس بينهم وبين نبذ هذا المرض الاختياري إلا أن يَلْفِتُوا أسماعهم وأبصارهم وأفئدتهم للجوانب المرغوبة فيما حولهم ومن حولهم ليألفوا النظر إلى ما حباهم به الله وما أمد الله به غيرهم من نعم الدين والدنيا وما أكثرها: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]؛ ولن يفقدوا إلا السخط والجزع والبغضاء والحقد والغل والحسد الذي يأكل قلوبهم وينغص عليهم حياتهم،

ولن يكسبوا إلا الرضا والسكينة والطمأنينة وفوق ذلك شكر الله وشكر خلقه على عظيم فضله عليهم وبهم.

١١) وإنما تميز الأستاذ عثمان الصالح رَحِمَهُ اللَّهُ بما يعيبه به أكثر من عَرَفه: اختياره النظر إلى الحسنات أكثر من السيئات والمدح أكثر من الذم؛ تمامًا عكس التيار العام سواء وصف بالإسلامي أو العلماني أو الحزبي أو الحركي أو الفكري أو الخارجي، فقد جمع الشيطان والهوى أكثر الناس اليوم على مخالفة الشرع والعقل في دينهم وأخلاقهم، وأحكامهم على قدر الله وتصريفه وتدبيره، بل كراهتهم أمر الله وقدره واختياره.

وقد عرفت الأستاذ عثمان الصالح معلمًا بارزًا أثناء عمله مديرًا لمعهد العاصمة النموذجي بالرياض وعملي بوزارة المعارف، وإن شكاني إلى نفسي وإلى عدد من الإخوة في منزله (أذكر منهم الأستاذ محمد بن علي الفايز والأستاذ عبد الله البراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ) بأني كتبتُ إليه انتقد منهجه في التعليم، فبينت له أني كتبت إلى أكثر العاملين في الوزارة وإدارات التعليم والمدارس الثانوية (بخاصة) أنتقد المنهاج التعليمي (بعامة) لا أنتقد الأفراد؛ والأستاذ عثمان الصالح معدود من السابقين الأولين في التعليم العصري بل من أبرزهم إن لم يكن أبرزهم على الإطلاق، ولا يحصي إلا الله كم أنتجت مؤسسته التعليمية من ولاة الأمر وكبار الموظفين ورجال

الأعمال والأدباء والمهنيين، ولا أظن أحدًا ينافسه في مرتبته غير الشيخ عبد الله خياط رَحِمَهُ ٱللَّهُ مدير مدرسة أبناء الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثم مدير كلية الشريعة بمكة المباركة (الأولى بالمملكة المباركة) ثم عضو هيئة كبار العلماء. وكان الأستاذ عثمان الصالح رَحِمَهُ ٱللَّهُ كاتبًا بارزًا يتميز على أكثر الكتاب بالترفع عن السفه والطيش الصحفي المفسد، واختياره الخير على الشر والمدح على الذم أهّلاه للأجر من الله ـ بإذنه ـ على حسن ظنه بأخيه المسلم وإحسانه إليه، وجنّباه نقيصة ومعيبة اغتياب أخيه المسلم أو بهتانه، وأهّله سمته ورزانته وخبرته وسعة اطلاعه وكثرة تجاربه ومعارفه لنيل ثقة ولاة الأمر وعهدهم إليه بكثير من المسؤوليات خارج نطاق اختصاصه وتميزه التربوي والأدبي، تغمده الله بواسع رحمته وخلفه في أهله وولده بصلاحهم. وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه ومتبعيه.

كتبه

سعد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين

عفا الله عنه

١٤٣٥/١٠/٣٠هـ

المنفلوطي أبرز كتّاب مصر يبكي على التوحيد

كنت أظن أن الأستاذ محمد بهجت الأثري العراقي عضو المجامع العربية رَحِمَهُ اللَّهُ هو الكاتب العربي الوحيد الذي ميزه الله تعالى بمعرفة أهم ما أمر الله ورسله به (إفراد الله بالعبادة) وأهم ما نهى الله ورسله عنه (إشراك غير الله معه في عبادته) والإحاطة بما وصل إليه حال أغلب المسلمين ـ عربًا وعجمًا ـ من الجهل بصحيح المعتقد (أساس الدين وركنه الأعظم) والوقوع في أبرز مظاهر الشرك الأكبر منذ قوم نوح حتى قيام الساعة (تقديس الأضرحة والمقامات والمزارات والمشاهد، ودعاء أصحابها وطلب المدد منهم، والاستغاثة والاستعانة بهم، والنذر والذبح لها والطواف بها ونحو ذلك).

ولا زلت أعتقد أنه خير الكتاب العرب علمًا، وأصحهم معتقدًا، وأجودهم همة ودعوة، فيما ظهر لي من مقالاته التي لم يستثن منها حتى مجلة مؤسسة الفكر العربي (على بعدها عن هذه القمة التي اصطفى الله لها خير رسله وخير الدعاة إليه)، وعلى رأس ذلك كله رسالة كتبها لندوة جامعة الإمام محمد بن سعود رَحِمَهُ اللَّهُ

عن الدعوة التجديدية في منتصف القرن الثاني عشر وأول القرن الثالث عشر من الهجرة وكانت الندوة المباركة حسنة من حسنات معالي الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وفضلًا من فضل الله به وعليه. وكان عنوان الرسالة: (محمد بن عبد الوهاب داعية التوحيد والتجديد) بين فيها أن ما قامت به وقامت عليه الدعوة المحمدية والدولة السعودية لم يسبق له مثيل منذ نحو ألف سنة من حيث العودة بالدين إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وهدم أوثان المقامات والمزارات ومحاربة البدع التي أحدثها الناس منذ الفاطميين. وقد نوهت بهذا التميز في أكثر من مقال.

وثبت على هذا حتى تجاوز التسعين. وقد وضع اثنان من إخواني في الدين والدعوة على منهاج النبوة بين يديَّ (الشيخان يوسف الغويري من مملكة الأردن، وعبد الحق التركماني من مملكة السويد) مقالًا عظيمًا للكاتب المصري الذي تتلمذ على مقالاته أكثر كتاب الأجيال الأخيرة من العرب (الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي) رحمه الله يرقى به إلى صف الأثري في حسرته على المسلمين اليوم، وإن عرفه الناس بالفكر والأدب العربي ولم يعرفوه بما هو أعظم: قال رحمه الله[1]: (كتب إلي أحد علماء الهند عن مؤلف ظهر بلغة التاميل (لغة أهل ناقور وملحقاتها جنوب

(١) في كتابه (النظرات ج ٢ ط ٥ المطبعة الرحمانية بالحرنفش ـ مصر).

مدراس بالهند) موضوعه سيرة عبد القادر الجيلاني وما يروى عن مناقبه وكراماته وما يوصف به من صفات لا تليق إلا بالله تعالى مثل: (سيد السموات والأرض، المتصرف في الأكوان، المطلع على أسرار الخليقة، محيي الموتى، ماحي الذنوب، دافع البلاء). وفي الكتاب بيان لما يجب على زائر قبره: (يتوضأ وضوءً سابغًا، ثم يصلي ركعتين بخشوع واستحضار، ثم يتوجه إلى تلك الكعبة المشرفة؛ وبعد السلام على صاحب الضريح المعظم يقول: يا صاحب الثقلين، أغثني وأمدني بقضاء حاجتي وتفريج كربتي. أغثني يا محيي الدين عبد القادر، أغثني يا ولي عبد القادر، أغثني يا سلطان عبد القادر، يا حضرة الغوث الصمداني، يا سيدي عبدالقادر الجيلاني، عبدك ومريدك مظلوم عاجز محتاج إليك في جميع الأمور في الدين والدنيا والآخرة).

ويقول الكاتب: (أن في (ناقور) في الهند قبرًا يسمى (شاه الحميد)، أحد أولاد عبد القادر ـ كما يزعمون ـ وأن الهنود يسجدون بين يدي ذلك القبر سجودهم بين يدي الله، وأن في كل بلد وقرية مزارًا لعبد القادر، هو القبلة التي يتوجه إليها المسلمون والملجأ الذي يلجؤون إليه في حاجاتهم وشدائدهم، وينفقون الأموال العظيمة على سدنته وموالده وحضراته).

يقول المنفلوطي رَحِمَهُ اللَّهُ: (يعلم الله أني ما أتممت قراءة رسالته

حتى دارت بي الأرض، وأظلمت الدنيا في عيني، حزنًا وأسفًا على ما آلت إليه حالة الإسلام بين أقوام أنكروه بعدما عرفوه، وذهبوا به مذاهب لا يعرفها، ولا شأن له بها. أي عين يجمل بها أن تستبقي في محاجرها قطرة واحدة من الدمع، فلا تريقها أمام منظر أولئك المسلمين المحزن، وهم ركع سجد على أعتاب قبر. أي قلبٍ يستطيع أن يستقر بين جنبي صاحبه ساعة واحدة، فلا يطير جزعًا حينما يرى المسلمين [المنتمين] إلى دين التوحيد أكثر من المشركين إشراكًا؛ وأوسعهم دائرة في تعدد الآلهة؛ وكثرة المعبودات. لم ينقم المسلمون التثليث من المسيحيين؟ ولم يحملوا في صدورهم لهم تلك الموجدة وذلك الضغن؟ وعلام يحاربونهم؟ وهم لم يبلغوا من الشرك بالله مبلغهم، ولم يغرقوا فيه إغراقهم؟ يدين المسيحيون بآلهة ثلاثة، ولكنهم يشعرون بغرابة هذا التعدد وبُعده عن العقل، فيتأولون فيه، ويقولون: إن الثلاثة في حكم الواحد.

أما المسلمون فيدينون بآلاف من الآلهة، أكثرها جذوع أشجار، وجثث أموات، وقطع أحجار، من حيث لا يشعرون.

جاء الإسلام بعقيدة التوحيد ليرفع نفوس المسلمين وليعتق رقابهم من رق العبودية [لغير الله]، وقد ترك الإسلام بفضل عقيدة التوحيد ذلك الأثر العظيم في نفوس المسلمين في العصور الأولى فكانوا ذوي أنفة وعزة وإباء وغيرة، أما اليوم وقد داخل عقيدتهم

ما داخلها من الشرك الباطن والظاهر فقد ذلت رقابهم وفترت حميتهم فوجد أعداؤهم [من شياطين الجن والإنس] السبيل إليهم فغلبوهم على أمرهم، [من أمر الدين والدنيا].

والله، لن يسترجع المسلمون سالف مجدهم، إلا إذا استرجعوا قبل ذلك ما أضاعوه من عقيدة التوحيد. وإن طلوع الشمس من مغربها، أقرب من رجوع الإسلام إلى سالف مجده، ما دام المسلمون يقفون بين يدي الجيلاني كما يقفون بين يدي الله؛ فإذا نزلت بهم جائحة أو ألمت بهم ملمة ذكروا الحجر والجذع [والميت ودعوه] قبل أن يذكروا ويدعوا [الحي الذي لا يموت ولا يعجزه شيء].

[ومن يؤمل فيه إنكار هذا المنكر]؟ علماء مصر وهم الذين يتهافتون على (يوم الكنسة) تهافت الذباب على الشراب [للتبرك بكنس تراب ضريح الإمام الشافعي]؟ أم علماء الآستانة [بقيادة] أبي الهدى الصيادي شيخ الطريقة الرفاعية؟ أم علماء العجم الذين يحجون إلى قبر الإمام كما يحجون إلى البيت الحرام؟

يا قادة الأمة [وعلماءها] لو عذرنا العامة في إشراكها، وفساد عقيدتها، وعجزها عن تصور الألوهية إلا ممثلة في النصب، والمزارات، والأضرحة؛ فما عذركم وأنتم تتلون في كتاب الله: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]، ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعراف: ١٨٨]، ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ

جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجنّ]، ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ [الجنّ: ٢٢]؟

وما عذركم وأنتم تعلمون أن السلف الصالح لم يرفعوا قبرًا، ولا توسلوا بضريح، ولم يقف أحد منهم عند قبر النبي ﷺ، أو أحد من أصحابه أو آل بيته، يسأله قضاء حاجة، أو تفريج كربة، وتعلمون أن الرفاعي والدسوقي والجيلاني والبدوي ليسوا أكرم عند الله من نبيه وآل بيته وصحبه، وأنه لا فرق بين الأضرحة والمقامات وبين أوثان الجاهلية الأولى ما دام تقديسها يفسد عقيدة التوحيد؟ والله، ما جهلتم شيئًا من هذا، ولكنكم آثرتم الحياة الدنيا على الآخرة، فعاقبكم الله على ذلك بسلب نعمتكم، وانتقاض أمركم، وسلط عليكم أعداءكم).

قلت: رحمك الله يا مصطفى المنفلوطي، قليل من أمثالك من تمعر وجهه (أو لسانه أو قلبه أو قلمه) مما يرى بصره وتسمع أذنه من هذه الوثنية التي تقرب بها واستشفع المشركون الجاهليون، والمسلمون إلى الله منذ عاث الفاطميّون في الأرض فسادًا. ولعل أوثانهم في المشرق العربي كان أولها المسمى بالحسين بجوار الأزهر فقد بُني هذا الوثن في القرن السادس الهجري، ويلقى من تعظيم العلماء والعوام ما لا تكاد تلقاه الكعبة، فلا عجب من ضلال مسلمي العجم وقد سبقهم العرب إليه.

وتعظيم الوثن المسمى بالشافعي لا يقف عن حد التبرك بالكنسة؛ فلقد شاهدت العمائم الأزهرية أكثر من مرة تطوف حول هذا القبر في سكينة وخشوع لا أجده عند طواف كثيرين منهم بالكعبة.

ويقول السيوطي في تاريخ الخلفاء: إن الذي بناه صلاح الدين الأيوبي، تجاوز الله عنهما، يمدحه بذلك، فتجمع على الشرك أو الدعوة إليه أو على السكوت عنه المجاهدون والعلماء والعوام في القرن السادس إلى القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر وإلى هذا اليوم. وباستثناء الشيخ محمد حامد الفقي ود. عبد الرحمن الوكيل ود. جميل غازي رؤساء جمعية أنصار السّنّة المحمدية لا أعرف أحدًا في مصر جاهد في الله حق جهاده فجعل أكبر همِّه: الدعوة إلى إفراد الله بالعبادة واتباع السنة والتحذير من شرك الأضرحة والمقامات وما دونه من البدع. وتقول مجلة التوحيد التي تصدرها جماعة أنصار السنة في مصر (وهي مستثناة أيضًا) إن نذور وثن البدوي تقسم ثلاثًا بين وزارة الأوقاف (وكان على رأسها ثلاثة من أساتذتي: محمد متولي الشعراوي ومحمد حسين الذهبي ومحمد عبد المنعم النمر تجاوز الله عنهم)، وبين مصالح الضريح، وبين سدنته.

وفي تاريخ جماعة الإخوان المسلمين وحزب التحرير وحزب الجهاد وجماعة التبليغ وأمثالهم من الأحزاب المبتدعة لم يعرف

أحد من قادتهم ولا أفرادهم بالدعوة إلى ما دعا إليه كل الرسل، هدانا الله وإياهم لأقرب من هذا رشدًا.

ولكن أخوي (الغويري والتركماني) قدما إليَّ أيضًا فتاوى للشيخ عبد المجيد سليم مفتي مصر ثم شيخ الأزهر رَحِمَهُ اللَّهُ، وفيها:

(أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه لا يجوز أن يدفن في المسجد ميت لا صغير ولا كبير ولا جليل ولا غيره).

(لا يجوز دفن ميت في مسجد؛ فإن كان المسجد قبل الدفن غُيِّر إما بتسوية القبر، أو نبشه إن كان جديدًا، وذلك لأن في الدفن في المسجد إخراج لجزء من المسجد عما جعل له من صلاة المكتوبات والذكر والعلم وذلك غير جائز شرعًا، ولأن الدفن في المسجد يؤدي للصلاة إلى القبر أو عنده)[(١)].

(قال ابن تيمية: لا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر، بل أيهما طرأ على الآخر مُنِع منه وكان الحكم للسابق، ذكره ابن القيم في زاد المعاد).

---

(١) وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تواترت بالنهي عن الصلاة عند القبور مطلقًا واتخاذها مساجد أو بناء المساجد عليها، ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص ١٥٨) وقد هذّبت ونشرت مجموعة من فتاوى شيوخ الأزهر ومفتيها تحذّر من هذه الموبقة الكبرى.

قال الإمام النووي: (اتفقت نصوص الشافعي والأصحاب على كراهة بناء مسجد على القبر)[١].

[في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال في مرض موته: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذر ما صنعوا].

(نص الحنفية على كراهة صلاة الجنائز في المسجد. وإذا كانت صلاة الجنازة مكروهة كراهة تحريم كما في إحدى الرواتين وهي التي اختارها العلامة قاسم وغيره كان الدفن في المسجد أولى بالحظر)[٢].

وقال الشيخ عبد المجيد سليم رحمه الله عن التصوف: (الصواب أنه اسم أعجمي قديم كان ولا يزال عند وثنيي الهند، وأصله عند قدماء اليونان [الوثنيين]: ثيو صوفي، ومعناه: المتجرد لطلب الحقيقة الأولى التي انبثق عنها الوجود، وهي عندهم: الحقيقة الإلهية أو نحو ذلك، ولهذا كانت الصوفية دينًا آخر غير الإسلام، دخيل عليه)[٣].

---

(١) شرح المهذب ص ٣١٦.

(٢) المصدر: فتاوى الأزهر المنشورة على الموقع الرسمي للأزهر.

(٣) المصدر: تحقيق الشيخ عبد المجيد سليم رحمه الله لكتاب التسهيل للبعلي، ص ٦١١.

وأفتى مفتي الأردن الشيخ د. عز الدين الخطيب بتحريم البناء على القبور. فلا تخلوا الأرض من طائفة على الحق وإن كانوا الأقل عددًا كما في قول الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سَبَإ: ١٣]، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [صَ: ٢٤].

ولكني لا أعرف في هذا العصر من جاهد في الله حق جهاده لمحاربة وثنية المساجد على القبور (بعد المجددين من علماء وأمراء جزيرة العرب) أكثر من د. عبد الرحمن الوكيل رئيس جماعة أنصار السنة ود. جميل غازي رئيس جماعة أنصار السنة أيضًا (في مصر) وسليم شراب (في غزة من فلسطين) ويوسف البرقاوي (في الأردن) والألباني ومحمد نسيب الرفاعي في سوريا، رحمهم الله جميعًا وأسكنهم الفردوس.

ولا زالت أوثان المقامات والمزارات والمشاهد والأضرحة تملأ الرحب في بلاد المسلمين العرب والعجم عدا جزيرة العرب (بين اليمن والأردن، وبين الخليج والبحر الأحمر) هدى الله الجميع لأقرب من هذا رشدًا، وأعاذهم من نزعات شياطين الجن والإنس ومن تسويل النفس الأمارة بالسوء ومن غلبة الهوى والتقليد الفاسد.

كتبه

سعد بن عبد الرحمن الحصين عفا الله عنه

١٤٣٠هـ

الشعراوي كما عرفته
تجاوز الله عنه

الأستاذ محمد متولي شعراوي كان أحد أساتذتي أربع سنوات بكليّة الشّريعة بمكة وهي أوّل كُلِّيّة للتعليم العالي في جزيرة العرب، قبل أن تتحول قبل عشرين سنة إلى (جُزْئية) من جزئيات جامعة الملك عبد العزيز شطر مكة، ثم إلى جزئية من جزئيّات جامعة أم القرى بمكة المباركة.

وكان تجاوز الله عنه خفيف الظّل مؤهّل للخطابة وللوعظ القصصي المبتدع.

وكان يدرّسنا البلاغة منذ عام ١٣٧٣هـ، ويمزج درسه ببعض ما قرأه عن الفنون العصرية، وكأنّما كان يحرص على الابتعاد عمّا كان يعرفه النّاس عن الأزهريّين من الاقتصار على العلوم الشّرعيّة.

أذكر مرّة في درس البلاغة الفنّ الوحيد الذي تخصّص في تدريسه أنّه ترك البلاغة بلا سبب ظاهر وأخذ يشرح لنا بالقول والرّسم كيف تطير الطائرة وعلاقة ذلك بالرّيح وّالمراوح (لم يكن للنّفّاثات وجود يومها)، كانت معلوماته كثيرة ومتناثرة وذاكرته قويّة

ولكنّه لم يكن يفرِّق بين الحديث الصّحيح والضّعيف والموضوع، ولا بين السّنّة والبدعة، ولا بين التّوحيد (دعاء الله وحده) والشّرك الأكبر (دعاء غير الله)، ولا بين التّفسير الشرعي للقرآن بالمأثور عن النّبي ﷺ وهو المكلّف ببيانه: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النّحل: ٤٤]، وعن صحابته والتّابعين لهم بإحسان في القرون الخيِّرة، وبين التّفسير البدْعي المبنيّ على الفكر (في القرن الماضي بخاصة) بل كان أكثر اعتماده (إن لم يكن كلّه) على هذا النّهج الضالّ عمّا كان عليه النبيّ ﷺ وأصحابه وتابعوهم ﷺ وأرضاهم:

١) مما أذكره من خروجه عن نهج السّلف: تفسير كلمة (ذرّة) في مثل قول الله تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ [سَبَإ: ٣] بما وُصِف حديثًا بأنّه أصغر جزء في التّفاعل الكيميائي (atom)، وهذا بلا شكّ مخالف لبيان النّبيّ ﷺ وفهْم أصحابه وتابعيهم الذين نزل القرآن بلغتهم ﷺ وأرضاهم ولا يجوز تفسير القرآن بغيرها، أمّا تفسير الشعراوي لهذه الكلمة فهو تفسير لليقين بالظّنّ، وقولٌ على الله بغير علم.

٢) ويقول الشعراوي تجاوز الله عنه: أنّه يمكن الوصول إلى الجنّة بأحد طريقين: الطريق المعروف (أن تعبد الله تعالى طمعًا في جنّته وخوفًا من ناره) وطريق رابعة العدويّة التي تقول: اللهم إن كنت أعبدك طمعًا في جنّتك فاحرمني منها، وإن كنت أعبدك خوفًا

من نارك فأدخلني فيها. والله تعالى يقول لعباده: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعرَاف: ٥٦].

٣) ولم أره مرّة أنكر ما عليه أكثر المبتدعة من الشرك الأكبر بصرف شيء من العبادة لغير الله، وعندما يمرّ على آية تأمر بإفراد الله بالعبادة وتنهى عن دعاء غير الله معه: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجـنّ: ١٨] ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأحقاف: ٥] ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعرَاف: ٥٩] لا يكاد يذكر شيئًا عن أوّل ما أمر الله ورسله به ولا عن أوّل ما نهى الله ورسله عنه، مع كثرة استطراداته وشطحاته.

بل كان يدرّس عدد سنين في وثن باسم الحسين رضي الله عنه فلا ينهى من يطوف بالوثن ويطلب المدد، وعندما نبّهه أحد الدّعاة إلى الله قال: إنّ الذي يطوف ويدعوا لا يقصد إلا الله وإنّما يتقرّب بالحسين إلى الله، وهذه حجّة المشركين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣]، بل سمعته يسخر تجاوز الله عنه ممن يعمل بأحاديث الصحيحين في النّهي عن اتّخاذ القبور مساجد (في مثل الأوثان المبنية على ما يسمّى قبر الحسين والسّيدة زينب في القاهرة ودمشق ومئات بل آلاف من مثلها في بلاد المسلمين العرب والعجم) بدليل قول الله تعالى عمن غلبوا على أصحاب الكهف:

﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١]، قال: ولم يقل الله أنّهم أخطأوا، وبدليل لغويّ من اختراعه: أنّ البناء على الضّريح في المسجد يسمّى (مقصورة)، [فالبناء مقصور على القبر ومفصول عن المسجد]، وأعجب كيف أقام في مكّة المباركة بضع عشرة سنة ولم يصحح فكره عن التّوحيد والشرك، ولكنّه وجد في مكّة من الوافدين إليها من يزيده ثباتًا على خطئه، ومن يضلل الله فلا هادي له، وأرجو الله أن يعذرهم بجهلهم.

٤) ومنذ عرفناه لم نثق بما يقول في التّوحيد ولا في التّفسير ولا في الحديث ولا في الفقه ولا في أيّ علم أو فنٍّ غير البلاغة، فهو مثل كلّ أو أكثر الواعظين القصّاصين يخلط بين الغثّ والسّمين والفكر والوحي واليقين والظّنّ.

٥) ومن أمثلة القول على الله بغير علم: قوله في تفسير ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]: الشمس تبعد عنّا (٨) دقائق ضوئية والثانية الضوئية تساوي (٣٠٠,٠٠٠) كيلو متر. وفي تفسير ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ [النّسَاء: ١٧١]: (ومن العجب أن العناصر المكوِّنة للإنسان هي نفسها المكوِّنة لطين التّربة الخصبة مما يدلّ على تأكيد الصّدق في أنّ الله خلقنا من طين... وأهمّ هذه العناصر الأوكسجين، الكربون، الهدروجين، النّتروجين) وعدّ ١٤ عنصرًا، وهو لا يعرف عن هذا الأمر أكثر

من: سمعت الناس يقولون شيئًا فَقُلْتُه والحقيقة أنّ كلّ من افترى على التّفسير ما سُمِّيَ: الإعجاز العلمي في القرآن من طنطاوي جوهري إلى مصطفى محمود ومن تبعهم مثل الزّنداني وزغلول النّجّار وعبد الله المصلح قاصرون في العلم الشرعي والعلوم العصريّة (النّظريّات الكونيّة)، وقد بهرهم الفكر الأوروبي فحسبوا أنّهم يحسنون صنعًا بربطهم هذا الظنّ بيقين القرآن تجاوز الله عنهم وكفى الإسلام والمسلمين شرّهم.

كتبه

سعد الحصين بن عبد الرحمن الحصين

١٤٣٤/٠٥/٠١هـ

أبو عبد المجيد..
أستاذ الأجيال

١) قبل نحو عشرين سنة كتب كاتبٌ في المجلّة العربيّة عن وافد سوريّ عمل في المملكة المباركة عدد سنين ثم مرض فأرسلته دولة التجديد والتوحيد والسّنة للعلاج في ألمانيا، وتوفّاه الله، فأعيد للدّفن في الأرض المباركة من جزيرة العرب، وظن الكاتب السّوري (أيضًا) أنه لقي ما يستحقّه من التقدير الحكومي، ولم يلق ما يستحقّه من التّقدير الشعبي، والرجل رَحِمَهُ اللَّهُ لم يكن فيما أعلم متميّزًا في العلم ولا العمل، وأمثاله كثيرون من المواطنين والوافدين.

وكتبت إلى المجلّة العربيّة بأني لا أرى من العدل الانتظار حتى الموت لنعطي ذا الحقّ حقّه، بل من العدل والحكمة والشرع والعقل أن يُنَوَّه بالمسلم الصّالح في حياته قبل مماته فَتُقَدّم للنّاس القدوة حيّة ترزق.

وبدأت بالتّنفيذ فقَدّمْتُ في المقال نفسه موجزًا عن ثلاثة من خير من أعرف في الدّين: ابن باز وابن عثيمين وصالح الفوزان، وموجزًا عن ثلاثة من خير من أعرف في الدّنيا: عبد العزيز الخويطر وغازي القصيبي وعمر قاضي، ثم ضربت أمثلة صالحة

بالجميح وابن سليمان وأبا حسين في مقالات مفردة لتوصيلهم الماء لبيوت شقراء وعنيزة وأشيقر، وفي مقال مفرد نوّهت بسعي الأستاذ عبد الرّحمن الشثري لإنشاء مراكز مرضى الكلى في كلّ مكان بالمملكة تعاونًا بين المواطنين وولاة أمرهم وبين وزارة الصّحّة، إضافة إلى ضرب الأمثلة الصّالحة بتميّز أشيقر وعُمان وآيرلندا، وتميّز عثمان الصّالح ومحمد يونس البنكالي.

٢) واليوم أضرب مثلًا صالحًا بأستاذي أستاذ الأجيال عبد الرّحمن بن عبد الله آل عبد الكريم والد د. عبد المجيد العبد الكريم الطبيب الجراح المتميّز وعدد من الأولاد والأحفاد لا يكاد يحصيهم عددًا، بارك الله في عمره ليفخر بهم ويفخرون به، أكبرهم (بَعْد، د. عبد المجيد) الأستاذ عبد الله في الدّيوان الملكي، وفقهم الله جميعًا لما يحبّه ويرضاه ونصر بهم دينه.

تجاوز التّسعين سنة ولا يزال بفضل الله عليه في درجة عالية من الصّحّة العقليّة والجسميّة، يمشي أربعة أكيال على الأقلّ كلّ يوم، ولمّا رآني ألهث لمجرّد التّفكير في صعود درج بيته العامر في الطّائف قال لي: إنّه بفضل الله يصعد الدّرج شفعًا لا وترًا، كلّ درجتين في وثبة واحدة ولا يطرأ على باله الخوف من الإصابة بالعين، وبالنّسبة لي فلا عجب، لضعفي الشامل بفضل الله بما في ذلك الرّمي بالعيْن، بارك الله له وبارك عليه وحفظه من كلّ سوء.

٣) عندما عُيِّن مدرّسًا في مدرسة شقراء الابتدائيّة كنت طفلًا في الثامنة أو التّاسعة من العمر في أوائل السّتّينيّات، وهو أوّل مدرّس في ابتدائية شقراء من أهلها، وكان راتبه (٥٠) ريالًا أثناء الحرب العالميّة الثانية، و كانت وزنة السّكر الجاوي بسبعة ريالات فضّة أي: أكثر من مائة ريال (وَرَق) اليوم، ولم يكتشف إبليس فتنة المظاهرات بَعْد.

٤) وكان بارك الله في عمره وعمله متميّزا في جسمه وعقله وهمّته، كان حادّ البصر قويّ العزيمة يسعى في مصالح القريب منه والبعيد، وكنت أحسبه الرجل المتكامل في خَلْقه وخُلُقه وفي دينه ودنياه فأطمح إلى تقليده ولو في القليل الذي أحاول أن أصل إليه، ولكن ابن خالتي الأستاذ محمد بن عبد العزيز آل عبد الكريم شفاه الله وأثابه قال لي، لا تحاول تقليد أبي عبد المجيد ـ من بين النّاس كلهم ـ فقد أعطاه الله من الهمّة والعزيمة والنّشاط والمهارة ما لا تكاد تجده عند غيره من أساتذتك وزملائك ومن حولك.

٥) وهو شاعر مطبوع كأنّه يَغْرف من بحر، بل من كل بحور الشعر، وقد طَبَعَ أربعة دواوين من شعره بخطّ يده الجميل قد يجد من يسأل عنها في مكتبة العبيكان بالرّياض حتى الآن بعض نسخ طبعاتها، وقد كَرُم فشملني بشيء من شعره ولست له بأهل، ومن آخر هذه الأبيات الجامعة بين الحِكْمَة والمُلْحَة:

يا راحلًا في شهور الصّيف متّخذًا
من التنقّل في الآفاق توجيها
لعلّ مسعاك في خيرٍ ظفرت به
عبر الممالك دانيها وقاصيا

تتلوها: ثلاثة أبيات من الحِكَم، وصلتني منه في الطّائف ٢٦/٨/١٤٢٥.

يا سائلي عن ماجد شَرُفَتْ به
عليا ثقيف من جمال خصاله
سمح سليم القلب ميمون الرؤى
شهم يجود بجاهه وبماله
قالوا له فانصاع يبغي مغنمًا
متعالي الدّرجات في ترحاله
أنْعِمْ بمشتاق الفؤاد لِعُمْرةٍ
أو راغب السّكنى بمكّة خاله[(١)]
لينال آلاف الخطى بصلاته
ويظلّ ذا أنْسٍ بعشرة آله
عبر الحياتين اللتين توالتا[(٢)]
أوْ مَدِّ ما يرجوه من آجاله

(١) كان الأخ صالح رَحِمَهُ اللَّهُ في صِغَرِه يُسَمِّي مكّة المباركة: مكّة خالي لكثرة سفر خالي عبد الرحمن بن محمد آل عبد الكريم (أبو عمّه) إلى مكّة.

(٢) يدّعي أستاذي الكبير أبو عبد المجيد أنّي تغيّبت عن المدرسة بضعة أيام أو =

وبعدها: بيتين من الحِكَم، وصلتني أول عام ١٤٢٦ في الطّائف.

٦) وكان منذ شبابه صالحًا مصلحًا سعى بنفسه وقلمه ونثره وشعره وجاهه للصّالح العام، ولا أعرف أحدًا خدم شقراء بذاته أكثر منه، وأكثر المؤسّسات والخدمات التي تتمتع بها اليوم وُجِدَت بفضل الله ثم بسعيه وجهده، ولم يقصر جهده وإنجازه على شقراء وحدها، بل هو مثل المطر، في أيّ أرض وقع نفع الله به، وأعرف له مآثر في الطّائف والرّياض وحائل.

٧) في عام ١٣٧٥ عُيِّن مديرًا للتّعليم في حائل وحرص على ألّا يبقى قرية ولا هجرة تابعة لها إلا وافتتح فيها مدرسة.

٨) وفي عام ١٣٧٧ انتقل إلى الرّياض وأسندت إليه كلّ الأعمال الإدارية بجامعة الملك سعود، ثم إدارة شؤون الموظّفين بعد تطوّر الجامعة وكثرة أعمالها، وممّن أتمّ تعيينه فيها غازي القصيبي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٩) وفي عام ١٣٨٦ انتقل للعمل في ديوان رئاسة مجلس الوزراء واستمرّ يعمل في الدّيوان الملكي حتى تقاعده قبل بضع عشرة سنة، وفَحَصَه بعض الأطبّاء فأخّروا سنّ تقاعده عشر سنين

= بضعة شهور وأني قلت: إذا سألوا عنّي فقولوا: مات، فاكتَسَبْتُ موتتين وحياتين، والأصل مرويّ عن سعد بن درويش.

بحجّة أنّ العّظْمتين في مقدّمة الرّأس لم تلتصقا بَعْدُ، وهما تلتقيان عادة في سنّ الخمسين، فطلب من ابنه الجرّاح د. عبد المجيد أن يضع بينهما حاجزًا فلا يلتقيان أبدًا، وأشهد أنّه لا يزال أهلًا لتحمّل المسئوليّة أكثر من جلّ الشباب فيصدق عليه المثل المصري:

(شباب على طول) أكثر منهم.

١٠) وعزيمته وجدّيته واهتمامه بالصّالح العام (تطوعًا) لم يجعله عبوسًا، فالمرح لا يفارقه، وكان يذَكّرني في كلّ مرّة ألقاه أو أتكلّم معه بالهاتف بميزة الموتتين والحياتين. ومرّة زرته مع أحد الإخوة الأنْبَه مني، فلما قرعنا الجرس تذكّرت أن وقت صلاة المغرب قرب بما لا يسمح بالزّيارة، وكان في مقدّمة السّيارة بطاقات باسمي هي أول وآخر ما طبعت أو استعملت، وإنما طبعتها لأكتب على الجانب الآخر:

﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فُصّلَت] لأنّها من أكثر الآيات تأثيرًا في حياتي ومعاملاتي مع النّاس ما استطعت فلم أُحَمِّل إنسانًا إثمًا في حقٍّ من حقوقي ولا دعوت عليه بالعذاب (فلا فائدة لي من عذابه) ولكنّي أدعوا الله لي وله بالهداية وأن يكفي الله الإسلام والمسلمين شرّه، أخذ مرافقي البطاقة ووضعها على الباب، وفي

اليوم الثاني جاء أستاذي ودقّ الجرس وأعاد البطاقة إلى بابنا بعد إضافة:

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فُصّلَت] ولما فتحنا الباب لم نجد غير البطاقة و غبار سيّارة أستاذ الأجيال (قبل الإسفلت) وهو يقول بلسان حاله:

(واحدة بواحدة والبادي أظلم)، وأحْسَنَ بي الظّنّ جزاه الله خيرًا لأنه لأستاذي ويعلم ضعفي عن القول والعمل وسرعة البديهة أو المكر، وقال لبعض الأقارب: لم يكن المكر من سعد بل من مرافقه.

١١) ماذا أقول عن أبي عبد المجيد، وهو أكبر من أن أوفّيه حقّه؟ ولو كان لي لسانه أو قلمه أو قلبه أو ذاكرته أو همّته لملأت صفحات كثيرة تلهج بذكره، وتقدّمه للأمة قدوة صالحة في دينه وخُلُقه ودنياه، فلْأَتْرك لمآثره في شقراء أوّلًا ثم في حائل والرّياض والطّائف وغيرها أن تلهج بذكره وشكره وفوق ذلك كلّه: ذكر الله وشكره على منّته به وبالقليل من أمثاله علينا، وقد قضى الله وقدّر أن يكون الصّالحون من عباده هم القلّة ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [صٓ: ٢٤].

١٢) وقد تمّ تكريمه في شقراء نيابة عن أهلها وأرجوا الله أنّ ما أُعِدَّ له من الكرامة أعظم من تكريم خلقه.

وأذكر أنّ منْ أوّل ما قدّم لحبيبته شقراء تولّيه مع أستاذي

زميله إبراهيم الهدلق رَحِمَهُ اللَّهُ تعبيد جزء من الطريق إلى مكة المباركة غرب شقراء ليُقنع الرّعاة والرّعيّة باستعماله حتى تستفيد شقراء من خدمات البريد والنّقل العام والخاصّ بدلًا من طريق مَرَات ـ قنيفذة.

أمّا آخر ما قدّم لها فلم يظهر لعطائه آخر، وأكبر همّه في سنّه المتقدّمة (فوق التّسعين) ـ بعد حقّ الله وحقّ أهله ـ حقّ شقراء (عاصمة منطقة الوشم) وغيرها في الخدمات العامّة.

وشقراء أهلٌ لما يقدّمه لها من برٍّ وخير، فقد برزت منذ المرحلة الأولى في دولة التّجديد السّعوديّة المباركة تأييدًا للدّعوة والدّولة وذبًّا عنها حتى كاد إبراهيم باشا أن يبطش بها ويستبيحها كما فعل بمُدُنٍ وقرى غيرها، ولكن الله ألهم جدّي العمّ عبد العزيز ابن عبد الله الحصيّن (من كبار تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهّاب رَحِمَهُمَا اللَّهُ، وأوّل رسول وثاني رسول للدّعوة والدّولة إلى مكّة لبيان حقيقة الدّعوة والدّولة عامي ١١٨٥ و١٢٠٤)، ألهمه الله بضع كلمات وألهم إبراهيم باشا قبولها فعفا عنها.

١٣) أحيا الله أستاذي الكبير حياة طيّبة يكسب فيها عملًا صالحًا وختم الله لنا وله بالعمل الصّالح والجنّة.

كتبه

سعد بن عبد الرحمن الحصين عفا الله عنه

١٤٣٤/٧/٨هـ

ابن شقراء المبارك
د. محمد بن سعد الشويعر

١) معالي الشيخ الدّكتور / محمد بن سعد الشويعر ـ كبير مستشاري الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ ثم عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ المفتي العام للمملكة السّعوديّة المباركة وفّقه الله ـ ملء السّمع والبصر، لا تكاد تفقد صوته وصورته في وسائل الإعلام المرئيّة والمسموعة والمقروءة والنّوادي الأدبية يُشَرِّفها بجدّه وعلمه فَيملأ حَيِّزًا مهمًّا من نشاطها أو فراغها الضّالّ عن هدي الوحي والفقه الذي قامت عليه من أوّل يوم دولة التّجديد والتّوحيد السّعوديّة، وهو من خير من عرفت من أهل شقراء وغيرهم أهلّية لأن يُنَصّ قدوة صالحة للمسلمين في المملكة العربية السّعوديّة المباركة بخاصّة وغيرها بعامّة وبما أنّني في الطرف الأقصى من حياتي ـ والله أعلم ـ وذلك ما أحبّه لنفسي (مع رضاي بقدر الله لي)، وبما أنّي رأيت من العدل والحكمة تقديم القدوة الصّالحة و صاحبها حيّ يرزق أولى من تأخيرها بعد الممات ليعلم النّاس أن لهم (بل عليهم) الاقتداء بالصّالحين في حياة المقتدي والمقتدى به، فقدّمت نماذج مميّزة للدّين والدّنيا أو فيهما معًا وبدأت بخير من عرفت:

الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ بعد بلوغي السّتّين، وكنت أظنّها آخر سنيّ حياتي، وبين السّتّين والثمانين قدّمت نماذج للقدوة الصّالحة من الأفراد والفِرَق والبلاد والدّول ميّزها الله على بقيّة خلقه وأرضه، وخير الدّول بعد القرون الخيّرة: دولة الدّعوة السّعوديّة، وخير البلاد ما وَلِيَتْه من جزيرة العرب (حيث لا مكان للشرك والبدع)، وخير الفِرَق: السّلفيّة، بل هي وحدها الفرقة النّاجية والطّائفة المنصورة لاتّباعها الوحي بفقه السّلف في القرون الخيّرة، ومن خير من عرفت من الأفراد: د. محمد بن سعد الشويعر.

٢) عمل عدد سنين في وزارة المعارف ثم عمل عدد سنين في الرّئاسة العامّة لتعليم البنات، ثم اختار الله له ثم اختار لنفسه العمل في رئاسة إدارات البحوث العلميّة والدّعوة والإرشاد برئاسة المفتي العام عبد العزيز بن باز وبعد وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ استمرّ في العمل برئاسة نائبه عبد العزيز آل الشيخ ولا يزال.

٣) منذ عرفته رأيته متميّزًا في دينه وخُلُقه وسمْته وهدوئه ولكنّي لم أعرفه في الحقيقة إلّا بعد انتقاله للعمل برئاسة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ انتقل إلى رئاسة إدارات البحوث ليقوم على مجلّة البحوث التي تصدرها الرّئاسة وهي مجلّة علميّة رصينة لا يسهل وجود من هو أهل للقيام عليها من السّعوديّين بل العرب بل المسلمين. وبعد أن دارت المجلّة على المراضع (وحُرِّمَتْ عليها)

وفق الله أحد الكتّاب (أحسبه عثمان الصّالح رَحِمَهُ اللَّهُ) فاقترح عرضها عليه فَقَبِل أن يُنْدب من تعليم البنات لمدّة معيّنة كافية للتّجربة، وامتدّت هذه المدّة أكثر من ربع قرن حتى هذه السّاعة، وتجد اسم د. الشويعر في ذيل قائمة المشرفين عليها تواضعًا منه، بينما أعرف أنّه يكاد أن يكون المشرف الوحيد عليها، وهو بلا شكّ المشرف الأوّل والمسئول الأوّل عمّا ينشر فيها.

ولما تبين من حديثه مع أخي إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ كثرة العمل في مكتب ابن باز وقلّة العاملين تطوّع بتحمّل ما يحال إليه منه، ودهش الأخ إبراهيم لأنّه تعوّد من الموظف الحكومي التّهرّب من بعض حمله إذا وجد إلى ذلك سبيلًا فكيف يتطوّع هذا الرّجل النّبيل بحمل مسئوليّات غيره؟ لا عجب، فهو محمد بن سعد الشويعر، وكفى.

وهكذا سخر الله للشيخ بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ من ينافس أخي إبراهيم في الصّبر على جَلَد ابن باز وسهره وكثرة أعماله الحكوميّة والتّطوّعيّة احتسابًا للأجر عند الله وخدمة ونصيحة للدّين ولولاة المسلمين وعامّتهم.

٤) في عام ١٤٠٧ صدر له كتاب فريد لم يُكْتَب مثله بعنوان: (تصحيح خطأ تاريخي حول الوهّابية) يفنّد الخلط بين الوهبيّة أو الوهّابيّة التي أنشأها عبد الوهّاب بن رستم (ت ١٩٧) في النّصف

الثاني من القرن الثاني للهجرة، وبين دعوة الإمام المجدّد محمد بن عبد الوهّاب وآل سعود في القرن الثاني عشر للهجرة ومن بعده إلى هذا اليوم. ولتركيزي بفضل الله على دعوة الرّسل التي جدّدها ابن عبد الوهّاب. وحماها الله بآل سعود رأيت في المؤلَّف والمؤلِّف تميّزًا لم أره من قبل أبدًا في غيرهما، ونبّهني إلى ما لم أكن تنبّهت له من فضل الله عليه وفضل الله به على هذه الأمّة، وتتالت طبعات الكتاب وترجماته.

٥) لا أشكّ أنّ الله بارك في وقت د. محمد بن سعد الشويعر وفي جهده وفي عمله وفي خُلُقه ليتمكّن من أداء حقّ الله عليه وحقّ أمّته وصلة رحمه وأداء أعماله الوظيفية والتّطوّعية والتّدريس والتّأليف، ولوْ زُرْتَه أو قابلته أو هاتفته لَظَنَنْتَ أنّه متفرّغ لا عمل له غير محادثتك.

ولكنّه مع ملازمته للشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ ثم الشيخ ابن الشيخ وقيامه على مجلة البحوث ودروسه في وسائل الإعلام والنّوادي الأدبيّة وزياراته الدّائبة للأرحام والأصدقاء، وفوق ذلك كلّه مواظبته على أداء فرائض العبادة حيث ينادى بها، ونوافلها في منزله رغم أدائه كلّ هذه الحقوق التي ينوء بجزء منها أمثالي، بورك له في الوقت ليخدم الشّرع والأمّة بجمع فتاوى ومقالات الإمام المجدّد ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في نحو (٦٠) مجلّدًا، وكنت أحسب أنّ جَمْع فتاوى

ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ آخر ما يصل إليه جهود البشر في هذا العصر، وجامعها وابنه رَحِمَهُمَا اللَّهُ متفرِّغان لها، ولكنّ البركة من الله تعالى لا حدّ لها ولولاها لما تيسّر لابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ وللشويعر زاده الله من فضله مثل هذا الإنتاج العظيم النّادر الذي يُحْيي به الله الإسلام والمسلمين.

٦) وقد أجلب الشيطان بخيله وحميره وبغاله ورجِلِه لعَرْقَلة هذا العمل العظيم لهذا الرّجل العظيم، واستفزّ أعوانه من القاعدين عن الخير السّاعين في الشّرّ، حتى رأى د. الشويعر من حقّ الشيخ ابن باز وحقّ العمل العظيم الذي استعمله الله فيه أن يعرض عليه ترك العمل في الرّئاسة والعودة إلى عمله قبلها: مديرًا عامًّا للتّعليم المتوسّط (للبنات) فذكّره الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ بمحاربة الشيطان وأعوانه من الإنس والجن كل إصلاح، وكلّ مصلح من الرّسل فمن دونهم وبيّن له أنّ تركه العمل في رئاسة البحوث والإفتاء تحقيق لهدف إبليس ومن يركبهم من الحركيّين الضّالّين للإفساد في الأرض، فردّ الله الحركيّين بغيظهم لم ينالوا خيرًا، واطمأنّ الشيخ الشويعر لحكمة الإمام ابن باز وثقته، وشدّ الله عضده به فلم يلتفت بعدها لوساوس ودسائس وافتراءات إبليس وجنده، وانشغل بما ميّزه الله به من خدمة الدّين وأهله، وحفظه الله ذخرًا للإسلام، وقدوة صالحة للمسلمين، وقذى في أعين المعتدين.

٧) اتّسع وقته المبارك لتأليف نحو عشرين مؤلّفًا أذكر منها :ثمانية منها في أحكام الشريعة وآدابها والذّبّ عنها، وأربعة في الآداب، وأربعة في التّاريخ، وواحد في الأعلام، ولعلّ ما خفي منها أكثر مما عرفت.

٨) وأعجب مميّزات الشيخ د. الشويعر ـ مما تقدّم ـ أنّني لم أره متبرّمًا مرّة واحدة أو شاكيًا من كثرة المسئوليّات التي قدّرها الله تعالى فقبلها شاكرًا راضيًا مرضيًّا. ولله في خَلْقه شؤون.

كتبه

سعد بن عبد الرحمن الحصين عفا الله عنه

١٤٣٤/٧/٨هـ

الشيخ محمد نسيب الرفاعي
يضرب مثلاً

عرفتُ الشيخ محمد نسيب الرِّفاعي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ منذ أن وصلتُ إلى عَمَّان عاصمة الأردن خادمًا للدعوة السعودية ودعاتها في بلاد الشام المباركة المقدسة، وكان هو أحد دعاة رئاسة البحوث والإفتاء في عهد الشيخ ابن باز ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ (خير من جمع الله له العلم والعمل والخلق في هذا العصر).

والشيخ نسيب الرفاعي لا تخطئه العين ولا الأذن؛ أعطاه الله بسطة في الجسم والعلم (مثل طالوت عَلَيْهِ السَّلَامُ) وأعطاه بسطة في اللسان وفي الجَنان، وأعطاه خيرًا من ذلك كله صحة المعتقد وصحة المنهاج، والرغبة الملحَّة في الدعوة إلى الله على بصيرة من الكتاب والسنة.

وكان قبل اختياره الإقامة في عَمَّان في خدمة الدعوة السعودية رمزًا للتدين والدعوة على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، في حلب ـ عاصمة التصوف والابتداع في سوريا ـ، وكان للمتصوفة خاصة والمبتدعة عامة صولة ومنعة قبل ولاية حزب البعث، لأن المتصوفة ينتمون إلى أهل السنة مثل

حكام وعلماء سوريا، والأغلبية منهم جميعًا بعيدون عن منهاج السنة؛ أما حزب البعث فاهتمامه عروبي (أمة عربية واحدة) ولا يذكر الدين في دستوره العَفْلقيِّ بخير ولا شرٍّ، ولذلك تنفَّس المنهج السلفي لأول مرة منذ عصر ابن تيمية وتلاميذه، وكثر عدد المنتمين للسلفية أكثر من أيِّ وقتٍ مضى (بعد الأُمويين) رغم تحريض البوطيِّ المنتمي إلى السنّة ادّعاءً وإلى الفكر واقعًا.

١) كابد الشيخ نسيب الرفاعي لجاج الخرافيين والقبوريين والمبتدعة والصوفية وصبر على أذاهم مستجيبًا لأمر الله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]، وقصَّ أكثر من قصة لم يبق في ذاكرتي منها غير أنه: صلى في مسجد كان عبد الفتاح أبو غدة (مرشد حزب الإخوان المسلمين في سوريا بعد ذلك) تجاوز الله عنه يلقي فيه درسًا، وسمعه يفتري على الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ مجدد الدين في القرن (١٢) أنه يقول: (عصاي هذه خير لي من محمد!) أي النبي ﷺ، فسأله عن عنوان الكتاب الذي قال فيه ابن عبد الوهاب ذلك؟!، فما كان من أبي غدة إلا أن أثار عليه المبتدعة بقوله: (صِرت ذنبًا للوهابية)!

ثم إن أبا غدة ـ تجاوز الله عنه ـ عمل بالمثل السوري: (غيِّر الشكْل من أجل الأكْل) فحجَّ إلى دُنْيا من سمَّاهم الوهابية لا إلى دينهم، بدليل أنه جعل من نفسه ظِهارة لبِطانة الكوثري، كما يقول

د. بكر أبو زيد ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في كشفه زيف أبي غدة والكوثري معًا في كتابه: (براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة)، وشكره ابن باز ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في مقدمته بقوله: (فضحتم المجرم الآثم محمد زاهد الكوثري بنقل ما كتبه من السَّبِّ والشَّتم والقذف لأهل العلم والإيمان واستطالته في أعراضهم، وأوضحتم أثابكم الله تعلق تلميذه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة به وولاءه له ومشاركته له في الهمز واللمز، كفى الله المسلمين شره وأمثاله).

٢) بعد أن صبر على أذى المبتدعة عدد سنين قدِم إلى الرياض يطلب عونًا على بناء أول مسجد للسلفية في تاريخ سوريا، فصحبه ابن باز إلى مجلس العلماء مع الملك سعود ـ رَحِمَهُمُ اللَّهُ جميعًا ـ.

ومما قصه عليَّ: أنه فوجئ بالشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ يفتتح المجلس بما لم يظن أن عالمًا يتجرأ عليه: (ما تخاف الله يا سعود؟!)؛ وكان الملك سعود رَحِمَهُمُ اللَّهُ من أعظم من عرفت من ولاة الأمر إكرامًا للعلماء وخضوعًا لفقههم؛ فردَّ بالدعاء أن يرزق الله الجميع خشيته في الغيب والشهادة، وتبيّن أن ما أغضب الشيخ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ كلمة في جريدة البلاد افتتحها صحفيها الجاهل: (باسم الله وباسم الملك)، فاعتذر الملك سعود ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ بأنه لم يصل من رحلته للعلاج إلا الليلة البارحة، ولم يقرأ الجريدة، وردَّ الشيخ بأن ملك البلاد راعٍ ومسؤول عن رعيته، يقول الشيخ نسيب: فرفعت

يدي طالبًا الإذن بالكلام، فأذن لي، فقلت: جميل أن ينصح العلماء الملك، وأجمل منه أن يقبل الملك نصيحتهم بمثل هذا الخلق الكريم. فانطلق الملك سعود يؤكد أن هذه الدولة بفضل الله قامت على التعاون والتشاور بين العلماء والأمراء، ولا خير في العلماء إذا لم يقدموا النصيحة، ولا خير في الأمراء إذا لم يقبلوها . . . في كلام طويل جميل.

وحصل الشيخ على الإعانة المطلوبة فصودرت في الحدود السورية، لمحاولته إدخالها بطريقة غير نظامية، ولو بني المسجد لاستولى عليه المبتدعة، ومن الخير أن يصلي السلفي في مساجد الناس ليكون قدوة بعمله وقوله وخلقه الشرعي.

٣) وابْتُلِيَ بعِرْقِ النَّسا، ولعله يصدق عليه الحديث: (إن الله إذا أحب عبدًا ابتلاه)، و: (أكثر الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل)، ولم يرده المرض والألم الشديد (كلَّما تحرَّك) عن الدعوة إلى الله على بصيرة في أيِّ مكان يستطيع الوصول إليه حتى توفاه الله فوق (٨٥) سنة. وكان يطوف مرة محمولًا على رؤوس اثنين من الأفارقة الطوال في (شبرية) فعثر أحدهما وسقط الشيخ مع (شبريته) على أرض المطاف، وفي سبيل الله (الدعوة على منهاج النبوة والحج والعمرة تطوعًا) ما لقي، عوضه الله الجنة وخلفه في أهله (وعليهم) بصلاحهم.

٤) ولما بلغ سنَّ التقاعد وتوقف صرف راتبه الشهري، طلبتُ من الشيخ ابن باز الشفاعة لدى خادم الحرمين لصرف راتبه مدى الحياة أسوة بصنيعهما مع زميله في الدعوة وابن بلده الشيخ الألباني، فكان ابن باز والملك فهد ـ رحمهما الله ـ عند حسن الظن بهما فتم ذلك.

وكان الأمير سعود بن سلمان بن محمد آل سعود جزاه الله خير جزائه قد هيأ له الإقامة في السعودية، وخصص غرفة في قصره لسكنه كلما زار الرياض، وتحمل صرف راتبه فترة انقطاعه، زاده الله من فضله.

٥) وعندما زاغت عقول أكثر العرب بمن فيهم أكثر طلاب العلم الشرعي وبعض علمائه أثناء احتلال حزب البعث العراقي الكويت واستئجار القوات الدولية للإعانة على طرده منها؛ وقف الشيخ نسيب ـ رحمه الله ـ من هذا الأمر الموقف الذي يليق بالمسلم (فضلًا عن السلفي) شرعًا وعقلًا، فأعلن بملء فمه في كل مكان تأييد السعودية وقرارها الحازم مكافحة غزو الشر والفساد البعثي العراقي (الديني والدنيوي) الذي ابتليت به العراق عشرات السنين في أسوأ حكم عرفته بعد هولاكو؛ ويريد الجهلة (من العلمانيين والشيوعيين والعروبيين والحزبيين الموصوفين زورًا بالإسلاميين) أن يمتد هذا الفساد الديني والدنيوي ليصل إلى أكثر البلاد بركة

وقداسة وبراءة من أوثان المقامات والمزارات والمشاهد والأضرحة وما دون ذلك من البدع والموبقات، وخدع الشيطان بدعايتهم الباطلة أكثر السلفيين الذين أعطاهم الله من صناعة الحديث أكثر مما أعطاهم من الفقه فيه فأنساهم الشيطان ما صحَّ من تعامل النبي ﷺ مع المشركين واليهود المحاربين ودخوله في جوار المطعم بن عدي، وقتاله هوازن مع خزاعة حلفائه يوم شركهم، ويوم أسلم كثير منهم عام الفتح، وكانوا معه في جيش الفتح، ولكنهم مثل غيرهم لم يميزوا بين معنى الولاء وبين معنى التعامل والتعاون على الحق والخير والعدل، وأكثرهم تعاونوا مع حزب البعث على الشر والظلم.

وكان الشيخ نسيب الرفاعي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ متميزًا على الجميع بعقله وبشرع الله له، لا أعرف في الأردن وسوريا من قارب خطْوهُ أو وصل إلى كعبه، وكان يخالف تيار الضلال العام بقوله: (لو لم تفعل السعودية ما فعلت لِطرد شيطان البعث من الكويت ورد كيد مؤيديه لأجرمت وضيعت إقامة الله إياها ذخرًا للإسلام وقدوة صالحة للمسلمين).

كتبه

سعد بن عبد الرحمن الحصين عفا الله عنه

١٤٣٥/١٠/٢٧هـ

أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري
قمة القمم العربية

يسرّني مشاركة أبي عبد الرّحمن في وفائه لغازي القصيبي رَحِمَهُ اللَّهُ (وهو علم آخر من الأعلام العربيّة السّعوديّة لا يبارى في الشّجاعة والأصالة والقيادة)، وفي الدّفاع عنه وتبرئته من افتراء المفترين ومن تبعهم بغير إحسان.

ولم أَرَ بَعْدُ لأبي عبد الرّحمن تعزية لغازي رَحِمَهُمَا اللَّهُ قبل لقائه ربّه الكريم الرّحيم ولا لأهله بعده خَلَفَه الله عليهم بصلاحهم، ولعلّه ـ مثلي ـ يرى من الأَوْلى: تنبيه المسلمين إلى ما تميّز به أخوهم المسلم من الخير قبل موته إشاعةً للخير وإن رغب الأكثرون الأقلّون في إشاعة الشّرّ ـ واقعًا أو افتراءً ـ، وقد تحمّل غازي رَحِمَهُ اللَّهُ كثيرًا من الافتراءات ما بين: العلمانيّة انتقامًا فاجرًا من سخريته في الوطن الكويتيّة من الخوارج على الأمّة وولاة أمرها أثناء فتنة العراق في الخليج لا أعادها الله ولا أعادهم، وبين اتّهامه بالغَزَل في المذكّر يوم حوّل سفهاء الأحلام رثاءه لأخيه نبيل رَحِمَهُمَا اللَّهُ إلى نشرٍ للفاحشة، وأقلّ ما لقي من سوء الظّن أنّه (عندما انقطعت الكهرباء عن أحد أحياء الرّياض وكان يومها وزيرًا جلس في مكتب

الاتّصالات بالوزارة يتلقى شكاوى المواطنين مع موظّفي الاتّصالات) فقال له أحد المتّصلين: قولوا لوزيركم لو لم ينشغل بالشّعر عن عمله ما انقطعت الكهرباء، ولم يَعْرف أنّ وزيرهم هو الذي تلقّى شكايته، وكثير من النّاس بمن فيهم طلاب العلم الشرعي والدّعاة والقضاة يحمّلون ولاة الأمر مسئوليّة التّنفيذيّين من الرّعيّة مستدلّين بالرّواية الحركيّة عن عمر رضي الله عنه: (لو أن دابة ببغداد عثرت . . .الخ)، ولو صحّت الرّواية فالرعيّة في عهد عمر من الصحابة لا من شياطين الحركيّين (أكثرهم).

ويسرّني مشاركة أبي عبد الرّحمن في انتقاد غازي ﷾ ورحمني يوم رثى من يسمّيهم شهداء من الانتحاريّين، وقد ثبت النّص الصّريح الصّحيح أنّهم يعذّبون بما انتحروا به يوم القيامة، وقد رسم صورة شعريّة عاطفيّة عن سناء محيدلي وآيات الأخرس وأمثالها بعيدة عن الشرع وعن الواقع ونشَرْتُ انتقادي له أوّل مرّة في جريدة الحياة التي نشَرَتْ قصيدته: (الله يشهد أنّهم شهداء) وبيّنتُ له عفا الله عنه أنّ هذا يصل إلى الافتراء على الله وعلى رسله وعلى أوليائه.

وبقيّة انتقاداتي له موجودة بين المقالات في موقع باسمي على الانترنت عن هذا الأمر وعن احتفائه ببعض الشّعراء مثل نزار قبّاني وهم لا يصلون إلى كَعْبه في الدّين والإصلاح الدّنيويّ، وعن غير ذلك.

وبين يديّ مَثَل آخر لتَميُّز العلامة أبي عبد الرّحمن أحياه الله حياة طيّبة صالحة مُصْلحة: نَقْده لقصيدة سليمان العتيق: (رسالة إلى عبد الله العصيمي) وعذرًا لأني أجترّ منشورات قديمة هي جديدة عليّ لهجري وسائل الإعلام منذ ٣٥سنة، ولكنّ أبنائي وأحفادي ألزمهم الله كلمة التّقوى وثبّتهم عليها وفّروا لي من أجهزة الاتّصالات ما يسّر لي به الله الوصول إلى ما فاتني من خيرها.

ذكّرني العلامة أبو عبد الرّحمن بأخي صالح رحمهما الله معًا وأسكنهما الفردوس من الجنّة، كان صالح يقوم على ركن ثابت بعنوان (من القرّاء وإليهم) في مجلّة اليمامة الوليدة بطلب من الأستاذ حمد الجاسر رحمه الله أول عهده بالصّحافة. ومرّة ردَّ صالح على من ظنّه ناشئ يجرّب شاعريّته ولم يَعْرف أنّه يُعَدّ من كبار الشعراء وأن الشعر بالأقدميّة لا بالجودة، وثارت ثائرة الشاعر وآله وقومه.

وصالح وأبو عبد الرّحمن من نوادر القرّاء العرب الذين يَعُون ما يقرأون وقليل ما هم.

ولعلّ أصدق ما سوّد به القصيمي صحائف الكفر والضّلال ـ بعد الهدى ـ قوله: (العرب ظاهرة صوتيّة)، وهو أولهم كما أشار شيخنا أثابه الله، ولعلّ أحد مؤيّدي القصيمي صَدَقَني في ادّعائه أنه كان يصلّي على سرير مرض موته.

ويبقى أكثر مؤيّدي ضلاله لا يهمّهم إلّا الدّعاية لضلاله بصوت هزيل المبنى والمعنى مثل شعر سليمان العتيق أو فوقه أو دونه إن كان دونه شيء، تجاوز الله عمّن مات منهم لا يشرك بالله شيئًا وإن زنى وإن سرق وقال هجْرًا.

ولا أعْرِف أحدًا جمع الله تعالى له ما جمع لأبي عبد الرّحمن من العلم الشرعي وآلته، وما دون ذلك من المعارف العربيّة والأعجميّة، والبيان السّاحر النّادر، والكرم الذي يبلغ حدّ الإسراف والتّبذير، فَيَدُه مخروقة ـ كما يقول المثل ـ مِثْل أو أكثر من الشيخ ابن باز والملك سعود رحمهما الله وأسكنهما الفردوس من الجنّة، وكلٌّ من الثلاثة أنفق أكثر مما في يده عوّض الله نفقاتهم بالدّرجات العلى من الجنّة وبالنّظر إلى وجهه يوم القيامة. ولعلّ الله أن يختم له بالتّركيز على إفراد الله بالدّعاء ونفيه عمّن سواه؛ رسالة كلّ رسله.

كتبه

سعد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين

١٤٣٤/٠٩/٠٢هـ

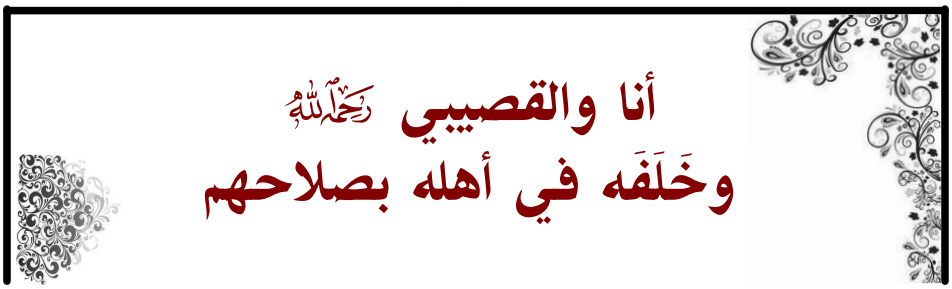

أنا والقصيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وخَلَفَه في أهله بصلاحهم

١) بدأتُ بنفسي لأني أنتمي إلى الدعوة إلى الله على منهاج النبوة وهي أعظم وظيفة اختارها الله لخير خلقه من الملائكة والناس. ولا شك أن غازي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ خيرٌ منِّي فيما اختار الله له وأسبغ عليه من نعمه بالشجاعة والجرأة والحزم والعزم، والعلم والعمل الدنيوي، مما لا أعلم له نظيرًا (في حياتي)، وبخاصة في شفائه وزارة الصحة بعد مرضها ومقاومتها الإصلاح، وفي وقفته العظيمة في وجه بغي البعث العراقي أثناء احتلاله الكويت وتهديده بقية بلاد الخليج، وفي وجه مؤيديه من خونة الرعاة والرعايا الحاقدين الحاسدين.

وأنا لا أقول: (أعوذ بالله من أنا) كما يقول الأكثرون، ومنهم غازي القصيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد شرع الله ذلك في كتابه وسنَّةُ الرسول ﷺ، وإنما نهى الرسول عن قول: (أنا) لمن استأذن فسئل: من الطارق؟ وكان رسول الله ﷺ يبدأ كتبه إلى الناس: (محمد رسول الله إلى فلان)، واتبعه المسلمون فيما قبل القرن الماضي، ثم اتبعوا سنن اليهود والنصارى وغيرهم، فرفعوا اسم

المرسَل إليه وخفضوا اسم المرسِل في ذيل الخطاب، وبقي ابن باز ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ وقلة معه على الأمر الأول في هذا وفيما هو أعظم منه من السنة الصحيحة، وأذكر أن ابن باز وأحد كبار العلماء اتفقا على مخاطبة ولي الأمر في مصلحة عامة، فاستنكر الآخر أن يسبق اسمه اسم ولي الأمر، ولما رد الشيخ ابن باز ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ بأن هذه طريقته في مخاطبة ولاة الأمر منذ الملك عبد العزيز ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ جميعًا ـ طلب الآخر حذف اسمه من الخطاب، ولم يَلق ابن باز إلا احترام الولاة.

وليس هذا المثال الوحيد لتحول المعروف منكرًا في القرن الأخير، وابن باز في قمته الدينية مثل القصيبي في قمته الدنيوية رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ.

٢) قد يكون أول اتصال بيني وبين غازي رسالة تلقيتها منه، يَرَى لي ولبقية خريجي جامعة جنوبي كليفورنيا حضور أول اجتماع دوري خاص بنا؛ فأجبته بأن الله اختار للمسلمين جميعًا الاجتماع للصلاة في المسجد خمس مرات في اليوم، ومرة في الأسبوع لحضور خطبة وصلاة الجمعة، ومرتين في العام لحضور صلاة وخطبة العيد، وهذه الاجتماعات الدينية الشرعية تُغنينا عن تكلف اجتماع دوري آخر، وأخبرني فيما بعد بموت الفكرة.

٣) ونقلت مجلة الشرق الأوسط بالإنكليزية مقابلة يرد فيها على سؤال عن استعجال المملكة (المباركة عندما كان وزيرًا

للصناعة والكهرباء) وصول الكهرباء إلى المناطق النائية وإنشاء المناطق الصناعية الضخمة في ينبع والجبيل بما فُهِم منه (أننا تَخلَّفنا ثلاثة آلاف سنة ولذلك فنحن نستعجل إزالة آثار ذلك التخلف)، فكتبتُ له أعاتبه على سوء انتقائه الألفاظ مما يفتح بابًا لسوء فهمهما. وتحقَّق ظنِّي؛ فاتهمه الحركيون بالإساءة إلى الدين، مع أن السؤال والجواب مرتبطان بالتنمية الدنيوية ولا ذكر للدين في أي منهما.

٤) وجاء احتلال حزب البعث العراقي الكويت فحرَّك الشيطان بعض طلاب الفكر الخوارج برئاسة سلمان العودة (رابع ثلاثة) يثيرون غوغاء الشباب على دولة التوحيد والسنة بأشرطتهم، محتجين باستئجارها القوات الدولية لطرد المحتل من الكويت، وأظنهم يجهلون (لا يتجاهلون) تحالف النبي ﷺ مع خزاعة وهم مشركون، وقتاله معهم هوازن لنقضها عهدهم بعد أن أسلم أكثرهم، ودخوله في جوار المطعم بن عدي وهو مشرك، واستئجاره اليهود (وهم المحاربون الأعداء) بعد هزيمتهم في خيبر.

وأزيد في حسن الظن بهم؛ فأظنهم يجهلون أن الله أيدنا بتقنية وخبرة الأمريكيين منذ منتصف القرن الماضي باكتشاف وإخراج وتسويق النفط الذي عاش وتعلم منه هؤلاء الخوارج الجاحدون، ولم يُذكر مرة واحدة أن هؤلاء الأمريكيين المقيمين

فيها عشرات السنين خالفوا ولاة الأمر (دينًا ولا دنيا عكس الخوارج) وعندما أمرهم الملك سعود ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ (١٣٧٦هـ) بقطع البترول عن كل من انكلترا وفرنسا ومن أيدهما، لَبَّوا الأمر دون تردد، بل عندما أمرهم الملك فيصل ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ بقطع البترول عن أمريكا عام (١٣٩٣هـ)، لم يتوقفوا لحظة واحدة عن التنفيذ، وزاد سعر الوقود في أمريكا من ربع دولار إلى ثلاثة دولارات للجالون، واضطرت أمريكا إلى خفض درجة الحرارة في المباني العامة، وخفض السرعة على الطرق، والاحتياط للمستقبل بتعويض مخزونات النفط في أمريكا فور انخفاض السعر.

أما شبهة الصليبية والتنصير فلا مكان لها إلا في رأس ولسان من سلبه الفكر عقله ودينه، فإن أمريكا وأوروبا علمانية تمنع تعليم الدين المنسوب للنصرانية وغيرها منذ عشرات السنين.

ولتثبيط هذه الأشرطة أمة التوحيد في زمن الحرب ونشرها في وسائل إعلام حزب البعث المحارب. وكان قلم القصيبي أثابه الله أمضى الأسلحة الفكرية في الدفاع عن الكويت (والخليج عامة، وعلى قمته بلاد ودولة التوحيد والسنة) فنشر في مجلة صوت الكويت الدولية مقالًا ساخرًا بعنوان: (يوميات كاسيت)، تُوِّج برسوم صحفية مضحكة عن (صدام الدين والدنيا قبل هلاكه، ويعلم الله وحده مآله بعده) يقول: (شعارنا كاسيت مدعوم)، ويدفع على

شكل شريط، ورجل عضلاته من الأشرطة يقول: (الليل والخيل والبيداء تعرفني... والكذب والتلفيق والتسجيل والكاستُ)؛ ورجل يرمي شريطًا في اليمِّ لينقذ به غريقًا، وقنبلة من الأشرطة، ونحوها.

٥) وأوجعت هذه السخرية عصابة سلمان فردوا بأشرطة جديدة تُعلن أن غازي القصيبي علماني، ولأن الأكثرين لا يستجيبون لأمر الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحجرات]؛ ومَنْ أفسق مِن الخوارج التكفيريين؟! فلم يكذِّب غوغاء الحركيين (والحزبيين، بل بعض طلاب العلم الشرعي) الخبر بل نشروه بكل وسيلة، وهم لا يعرفون حقيقة العلمانية.

ورد غازي باتهام عصابة سلمان بأنهم خمينيون، مع أني أرى أنهم أقرب إلى اتباع المنهج السياسي الثوري للخميني من تلبس غازي بالعلمانية كما يفهمونها؛ وكما رد عليهم غازي بأنها تعني: الكفر؛ ولأنه في رأيي خير منهم دينًا ودنيا، فقد كتبتُ له انتقده في الحكم على قلوبهم بما ظهر من قولهم وعملهم المخالف لشرع الله، كما انتقدتهم في الحكم على قلبه بالعلمانية بما ظهر من قوله شعرًا ونثرًا، فرد أنه لا يرى فيما فعل خطأ إلا مثل ما يُروى عن ركاب الأتوبيس في مصر عندما كان يسوقه عسكري أثناء إضراب

السائقين المدنيين فأخطأ مرة وأخرى، واعتبر صمت الركاب انتقادًا له، والعسكري لا ينتقد بعد الثورة، فالتفت إليهم بغضب قائلًا: يعني سُقت غلط؟! فردوا بصوت واحد: العفو يا بيه؛ يمكن احْنا اللي ركبنا غلط!

٦) وأثناء تأييد الله دول الخليج بالقوات الدولية لدحر الحِزب العَفْلقي وأنصاره من الإسلاميين والعلمانيين والملحدين، طلبتُ من غازي يوم كان سفيرًا لخادم الحرمين في البحرين تزويدي بما يمكنه من (الطريق إلى مكة) لمحمد بن أسد بالإنكليزية لتوزيعه على المعسكرات لعل الله أن يهدي به؛ فوصلني منه أعداد متتابعة ـ أثابه الله ـ وَكَلْتُ توزيعها للفريق مريع الشهراني، ووكلت أمر الهداية بها إلى الله وحده، وطلبتُ من ولاة الأمر تقديمه للجميع.

وكنتُ زرته في السفارة قبلها بأشهر فوجدته يقدم تفسير محمد أسد بالإنكليزية لضيوفه من غير المسلمين، ولكنه نبهني إلى أن محمد أسد يميل للاعتزال، وهو حريٌّ بذلك لأنه فكري (ولكنه خير من مراد هُفْمَن؛ فله كتاب ضال تروجه مكتبة العبيكان)، وأمثالها، مثل الأعراب: ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [التّوبَة: ٩٧].

وعندما ذكَّرتُ غازي في تلك الزيارة بقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ

مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ [النِّسَاء]؛ ذكر لي أنَّ الشافعي ساقه دليلًا على حجية الإجماع، وهذا ومثله من غازي دفع أبا عبد الرحمن ابن عقيل إلى الظن بأنه يحاول أن يقول: (إن بني عَمِّك فيهم رماح)، بل هي سعة الاطلاع والذكاء والمهارة.

٧) أثناء سفارته في البحرين ولندن، داعبه بعض زملائه بأنه يطمع في وظيفة أكبر بما يظهره من ولاء لدولته، ودفاع عنها، فأجاب: بأن هذا غير وارد أبدًا، لأنه حصل على أعلى ما يمكن أن يصل إليه، فكتبتُ له بأن هناك وظيفة أعلى من الوزارة والسفارة لدولة التوحيد والسنة، وأنه مؤهل لها أكثر من أكثر المنتمين إليها، ولا ينقصه غير الرغبة فيها؛ (الدعوة إلى الله على منهاج النبوة)، ولم يَرُد، ولكنه كان خير من عرفتُ من السفراء عونًا لمكتبَي الدعوة في البحرين وبريطانيا، بل يُسرف بإعطائهم أكثر من حاجتهم، لعلمه أن الدولة التي يمثلها إنما أسست على الدعوة إلى الدين الحق، ولكن الإسراف شرٌّ لا يحبه الله ولو في الخير كالوضوء.

٨) وعندما عُين وزيرًا للعمل، كتبتُ له محذِّرًا من أن تستفزه الصحافة الضالة دينًا ودنيا، فيجعل أكبر همه توظيف الخريجين دون حاجة إليهم، وأكبر مشاكل الروتين والتعقيد والخلل والعجز الإداري إنما نشأت من زيادة الموظفين عن الحاجة، وذكرته بتقرير

سابق أعدته جهة مختصة تبيِّن منه أن السعودية توظف (١٦) مقابل ما بين (١ إلى ٨) توظِّفُه تونس والأردن وسوريا (وغيرها عدا مصر) في حقل التربية والصحة، وذكرته أن الصحافة استفزته من قبل فسعى إلى زيادة الرواتب أثناء الطفرة في عهد الملك خالد ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ ولما جاءت الأزمة المالية العالمية الأولى، وانخفض سعر النفط إلى ربع ما كان عليه، كاد الدخل أن يقصر عن أداء رواتب الموظفين وحدها عدد سنين.

٩) وكتبتُ له انتقادًا لإعجابه بالمتنبي والجواهري ونزار قباني، وأن الله ميزه عنهم في الدين والدنيا، وأن الثلاثة قالوا شرًّا ولم يفعلوا خيرًا، أما هو فقال وفعل خيرًا في خدمة بلاد ودولة وجماعة الموحدين، ما لم يقله أو يفعله أكثر المواطنين فيها، والوافدين إليها.

١٠) وكتبتُ له نهيًا عن منكر مدحه لسناء المحيدلي ومثيلاتها وأمثالها ممن كفروا بنعمة الله عليهم بالحياة، وعصوا الله ورسوله باعتدائهم على أنفسهم وغيرهم بالتفجير الفاجر والقتل الغادر والانتحار.

١١) ولم ينته تجاوز الله عنَّا وعنه فجاءت طامته الكبرى في قصيدته المنشورة في جريدة الحياة: (الله نشهد إنهم شهداء)، وظن أنني تجاوزت الحد بدعواي أنه افترى على الله وأنبيائه وأوليائه،

وأنه أفتى بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، دون أن يُسْتَفْتَى، وأنه تجاوز المعصية الكبرى: القول على الله بغير علم؛ رَدَّ فتوى كبار العلماء، وعلى رأسهم المجدد ابن باز ـ رحم الله جميعهم ـ: (رُبَّ فتوى تضج منها السماء)، وأنه دعا بدعوى الجاهلية: (حين يدعو الجهاد بصمت حَبْر، ويَرَاعُ والكتب والفقهاء، حين يدعو الجهاد لا استفتاء، الفتاوى يوم الجهاد الدماء)، وترجمتُها عفا الله عني: (ارفعوا أقلام العلم الشرعي، واطووا صحفه، وكموا أفواه المستفتين والمفتين الفقهاء، ودَعُوا الحكم للهوى وحده)، وفرح بهذا الرد محرر الحياة فيما يظهر من نشره وإبرازه وابتداع عناوين للرد مثل: (الشعراء ليسوا من عدول العلم) ترجمة لقولي: (العلم بشرع الله يحمله من كل خلف عدوله، وليس منهم شعراء العواطف والظنون، فقد قال تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ [الشُّعَرَاء]، وإنما قصدتُ عدول الخلف.

١٢) وقرأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من سيرتي الذاتية (جزء ٣ عن السفر) أني الآن بعد أن تجاوزتُ السبعين في انتظار السفر الأخير إلى القبر، فكتب لي ينتقدني ويذكرني بحاجة المسلم إلى ما قُدِّر له من زيادة في العمر للعمل الصالح، فرُبَّ شفاعة منه لمحتاج يرفعه الله بها درجات، فردَدْتُ بأني رغم استعاذتي بالله من الهرم وسوء الكِبر

والرد إلى أرذل العمر؛ فإني بفضل الله لم أتوقف عن كتابة آلاف الصفحات على رُكبتي (دون مكتب ولا آلة كاتبة ولا كاتب) في الشفاعات والمقالات والتهذيب.

١٣) وكان مِسْك الختام ما وفقني الله للكتابة إلى غازي أذكِّره (قبل موته بأيام معدودة) أذكره بما وفقه الله له من عمل صالح، وما ميزه الله به على أكثر الناس من مزايا دينية ودنيوية، لعله يُغلِّبُ الرجاء في مرض موته؛ فلم يتهم بإشراك أوثان المقامات مع الله، ولا بالتصوف، ولا بما دون ذلك من الابتداع في الدين، ولا اتهم بترك الصلاة، بل يشهد له المصلون من جيرانه أنه لا يتخلَّف عن صلاة الفجر في المسجد، أما الصغائر فمن يسلم منها غير النادر؟ وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ [النّجم: ٣٢]، ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ [النّجم: ٣٢].

كتبه

سعد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين

(١٤٣٣/٣/١هـ)

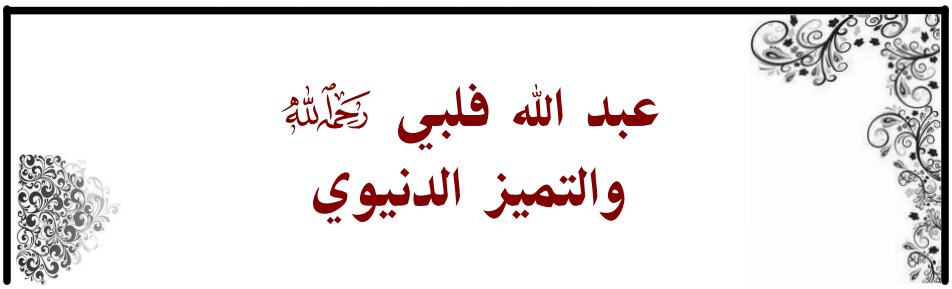

عبد الله فلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ والتميز الدنيوي

١) سألني أخ عزيز (قبل أيام) عن حقيقة إسلام (فلبي) ـ هاري سانت جون ثم عبد الله ـ، ولأن الله وحده يعلم ما يكنه قلب أي منَّا، ولأننا مأمورون بالرد إلى الله والرسول عند التنازع فقد بينت له أنه لا يجوز لنا إعلان الشك في حقيقة إسلام مسلم نطق بالشهادتين، وحج البيت الحرام سنوات عديدة متتالية (في موكب الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، وكان يصوم رمضان في سفره الفريد عبر الربع الخالي رغم معرفته بجواز الفطر في السّفر رغم فطر بعض مرافقيه من البدو، وكان يَؤُمُّ مرافقيه في الصلاة إذا لم يكن في رفقته إمام أثناء رحلاته الكثيرة في جزيرة العرب، وأوصى أن يقبر في مقابر المسلمين لو مات خارج الجزيرة (ربما لأنه يعلم بشك الكثير من المسلمين في إسلامه قبل غيرهم)، وقد غضب النبي ﷺ على حِبِّه وابن حِبِّه (أسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) لأنه شك في حقيقة إسلام مشرك كان يقاتل في صفوف المشركين ثم نطق بالشهادة (خوفًا من السيف في ظن أسامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) فقتله، فردّد النبي ﷺ: «**هلا شققتَ عن قلبه**» حتى تمنَّى أسامة أنه لم يكن أسلم بعد، ليضمن المغفرة.

٢) ويُروى عن الشاعر خالد الفرج تجاوز الله عنه أنه خلَّد شكَّه في نَظْمه (يقول ساءَلْتُ فلبي . . . فقال: سِرِّي بقلبي) وقلب كلمة (فلبي): (يَبْلِفْ) تجاوز الله عنهما (من رواية الزِّركلي رَحِمَهُ اللَّهُ)، والزركلي ممن يشك (فيما يظهر من كلامه) في (فلبي)، وهو (مثل أكثر المترجمين والمؤرخين) لا يوثق بأحكامه، فلم يضمِّن ترجمته للملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ حسنة واحدة في أعلامه، ونسي أوَّليَّاته الدنيوية رَحِمَهُ اللَّهُ، ولا تكاد تحصى مثل: أول جامعة، وأول إسكان، وأول طريق عبر الجزيرة في اتجاه مكة المباركة، وأوليَّاته الدينية أعظم (وإن لم يهتمَّ بها الزركلي) مثل: أول جامعة إسلامية عالمية، وأول كلية للشريعة في مكة (نواة جامعة أم القرى)، وأول كلية للشريعة في الرياض (نواة جامعة الإمام)، وأول نشر لفقه ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (مجموع الفتاوى)، وأول توسعة سعودية للمسجد النبوي ثم المسجد الحرام، والقائمة طويلة جدًّا.

٣) ولا شك أن ما قدمه (فلبي) للأرض والدولة المباركة خير مما قدمه الزركلي أضعافًا مضاعفة، أما الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ فيُعَدّ أحد المجددين في الدين والدنيا بعد محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود وعبد العزيز بن محمد وسعود بن عبد العزيز وتركي بن عبد الله وفيصل بن تركي وعبد العزيز بن عبد الرحمن، وليس الزركلي وأمثاله أهلًا لقدره حقَّ قدره. وعبد الله فلبي رَحِمَهُ اللَّهُ أول وأكثر من كتب عن الأرض المباركة والدولة المباركة، وهداه الله

للإسلام وهاجر إلى أرضه وأقام فيها قريبًا من أربعين سنة كما يبيِّن في كتابه (أربعون سنة في البرّيّة) على سوء ترجمته وسوء التعليق عليه فإذا ادَّعى (فلبي رَحِمَهُ اللَّهُ) أن قائد الطائرة انحرف عن الطريق الصحيح حتى أرشده إليه كتب المعلق: (كأنَّ فلبي خبير بشؤون الطيران) ص ٣٤٦، نشر مكتبة العبيكان سنة ١٤٢٤. ولقد رأيت الطيار مرة يستشير (فلبي) عندما ضلَّ عن مطار شقراء قبل أربعين سنة، ولكن بعد أن تجاوز شقراء فلم يرَ العودةَ من أجل راكب واحد (كاتب المقال)، فلا يحتاج الأمر إلى خبرة طيران بل خبرة أرض، ولا أظن سعوديًّا خبر أرضه مثل (فلبي)، والأمثلة كثيرة في هذا الكتاب وغيره تدل على تحامل الأكثرية العربية وعدم اهتمامهم بالتثبت قبل الحكم على الناس كما أمر الله، وسوء ظنهم.

٤) بل لقد رأيت كثيرًا من العرب (الإخوان المسلمين ـ الفلسطينيين منهم خاصةً) أثناء احتلال حزب البعث العراقي (لا رده الله) الكويت وتهديد دول مجلس التعاون يرجفون ويفترون على خير ولاة العرب والمسلمين (منذ القرون المفضلة) بأنهم من أصل يهودي، وقد لا يفقهون أصلهم العربي العريق، ولكن كيف يغيب عن مداركهم أن كبار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم كانوا عباد أوثان ولم يبخسهم ذلك من أجورهم شيئًا فالمهم الخاتمة، وهؤلاء الولاة وحدهم ميزهم الله في القرون الثلاثة الأخيرة بإحياء منهاجهم والثبات عليه ونشره.

وكيف لا يفقه المرجفون أنهم هم أنفسهم من أصول يهودية أو نصرانية أو مشركة وأنهم جانبوا ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه فلم يأمروا بإفراد الله بالعبادة ولا بالسنة ولا نهوا عن الشرك بالله في عبادته ولا عما دون ذلك من البدع، وهم يولدون ويعيشون ويموتون بين أوثان المقامات والمزارات وتحيط بمساجدهم وعبادتهم البدع بل يحتفي رئيس (حماس) بوثن الخميني يقرِّب له قربانًا من الزهور ويصفه بأنه أبوهم الرُّوحي، بل أخذوا من أجداده الشيعة: الثورة على الحكام فادعوا أنهم شاركوا في الثورة المصرية، واتهموا بقتل النقراشي قبلها ومحاولة اغتيال جمال عبد الناصر بعدها، وعندما اغتال ابن الوزير الإمام يحيى في اليمن واغتصب الولاية لم تؤيده دولة مسلمة ولا كافرة ولا هيئة ولا جماعة غير حزب الإخوان المسلمين أرسل وفدًا رافقه الشؤم عليه وكان مفتي فلسطين الحزبي الإخواني في ألمانيا يؤيّد النّازيّة حتى سقط الثلاثة.

٥) عبد الله فلبي رَحِمَهُ اللَّهُ (مثل محمد أسد رَحِمَهُ اللَّهُ) أحب جزيرة العرب التي لم تتغيَّر حياتها الدنيوية منذ مئات القرون، وكان الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ يعجب من اختيار محمد أسد السفر من الحجاز إلى نجد على الجمل واختيار عبد الله فلبي الانتقال من الطائف إلى مكة على البغل أو الحمار بطريق الهَدَا. وكلا الرجلين

تحول إلى الإسلام ـ الأول من اليهودية، والثاني من النصرانية ـ وكلاهما كان مقربًا عند الملك عبد العزيز ومجلس مشورته، وكلاهما لم يتخذ ذلك مهنة ولا وظيفة ولا سبيلًا لكسب معاشه كبقية من اختير من العرب لهذا الشرف عدا كبير المستشارين الأمير عبد الله بن عبد الرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ويخطئ المعلِّق على كتاب (فلبي: أربعون عامًا في البرّيّة) ص ١٩: (فلبي) يؤكد أنه لم يصرف له مرتَّب شهري أبدًا من الحكومة السعودية، والمعلق يخطِّؤه في دعواه بحجة أنه ذكر أكثر من مرة إعانة الملك عبد العزيز له رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحيانًا، وفرق بين الراتب الشهري وبين الإعانة أحيانًا التي كان يحصل عليها فلبي ومحمد أسد وغيرهما لا يحصي عددهم إلا الله.

وتمنَّى كل منهما ألا تؤثر الثروة البترولية الوليدة على استقلال البدوي (والحضري أيضًا) واكتفائه بنمط حياته الفطرية ومعيشته وثقافته وألا يطغى على كل ذلك ثقافة الغرب ونمط حياته الاستهلاكية.

وهذه أمنية عظيمة ولكنها لا تقبل التنفيذ، فأكثر الشعوب ساخطة ولو: ﴿أُعْطُواْ مِنْهَا﴾ [التوبة: ٥٨] فكيف بهم لو ﴿لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ﴾ [التوبة: ٥٨]، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبإ: ١٣]، ومن شهادة الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ لعبد الله فلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ومعه السبيعي): (أنّ

رجلين اثنين عملا معه عشرات السّنين ولم يطلبا منه أجرًا ولا منحةً: عبد الله فلبي وعبد الرحمن السّبيعي) رحمهم الله جميعًا[١].

وعندما اتّفق معه الملك عبد العزيز على بيان حدود المملكة المباركة مع اليمن سأله عبد الله بن سليمان وزير الماليّة ثم سأله الملك عبد العزيز رحمهم الله جميعًا كم يحتاج من المال للتنفيذ وكان جوابه: لا شيء، عندي ما يكفي.

٦) ولكن محمد أسد لم يَطل به المقام في الأرض المباركة ولم ينافس أحدًا في التجارة واختار التفرغ للدّعوة بما سُمِّيَ خطأ بالفكر الإسلامي، وبذلك سلم من المنافسة ووراءها المخاصمة.

وذكر لي الأمير سلمان وفقه الله أن ولاة الأمر حافظوا على صلتهم به في المغرب ثم بأهله بعد وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ يشبِّه فلبي بالمعارضة في البرلمان البريطاني، لأنّه أكثر مستشاريه معارضة له مع فرط إعجابه به.

٧) أما فلبي فكان له صفات (إضافة إلى المنافسة التجارية والسياسية) أكسبته العداوة وسوء الظن به والضيق بمقامه في كل مكان إلا قليلًا: وقف ضد الحكومة البريطانية في الحرب العالية الثانية موقفًا أحرجها (وأحرج معها الدولة السعودية التي اختار

(١) أربعون عامًا في البرّيّة ص٤٥ ترجمة ونشر العبيكان.

الهجرة إليها) واتَّهمته دولته البريطانية بالانهزامية وعدم الولاء وتجسست على خطاباته لوالدته وابنته وزوجته وعلى تحركه السياسي وقررت اعتقاله[١].

٨) ولد (فلبي) في سيلان (سريلَنكا) لوالده الانكليزي «مُزَارع شاي».

أرسله والده الثري إلى إنكلترا فدرس في جامعة كيمبرج وأظهر مهارة في دراسة اللغات، فاختير للخدمة في الهند يوم كانت درة في التاج البريطاني، ووصل إلى مرتبة مساعد المفوض البريطاني في منطقة البنجاب، ثم عين مستشارًا لوزارة الداخلية في بغداد أثناء الاحتلال البريطاني، وبعدها مندوبًا ساميًا لانكلترا في الأردن.

كان لورنس (العرب) يراهن على الهاشميين (فيصل بن الحسين خاصة) لتوحيد الجزيرة العربية، وكان (فلبي) يراهن على الملك عبد العزيز بن سعود رحمهما الله تعالى، ولم يصدِّقه الساسة في بريطانيا، وفي آخر مرة حاول إقناعهم وصفه اللورد كيرزن بالجنون، فغادر قاعة الاجتماع، وقال في نفسه: سننتظر

(١) من وثائق المخابرات البريطانية ١٩٢٩ - ١٩٤٨ التي أفرج عنها بعد مرور نصف قرن ونشرت في جريدة الشرق الأوسط بِدْءًا من ذي القعدة ١٤٢٣.

وستعلمون! ولم يلبث إلا قليلًا حتى وصلت لوزارة الخارجية البريطانية برقيات عاجلة تؤكد أن جيش ابن سعود صار كالسيل الجارف لا يقف في وجهه شيء في جزيرة العرب، فاستدعت الخارجية (فلبي) واهتم كيرزن بالحديث معه وإرساله مبعوثًا بريطانيًا يعرض على ابن سعود منحة (٦٠,٠٠٠) جنيه ولا يطلب منه في المقابل إلا السلام وضبط النفس (الوثائق المذكورة)، ومن أهمّ ما يحرص عليه الإنجليز في ذلك الوقت عدم مهاجمة العجمان الحدود العراقية والحسين أمير مكة رغم مهاجمتهما رعية ابن سعود، فصبر رَحِمَهُ اللَّهُ جازاه الله تعالى بالعز والنصر والتّمكين.

٩) يذكر (فلبي) في كتابه (أربعون عامًا في البرّيّة/ ص: ١٤٩) أنه استقال من منصب المفوض السامي في الأردن بعد الأخذ برأي (لورنس) تنصيب فيصل وعبد الله ابني الحسين بن علي رَحِمَهُمُ اللَّهُ ملكين على العراق والأردن وبذلك نقضت بريطانيا وعدها بإعطاء الشعب حريته في اختيار حكومته. وتقول الوثائق البريطانية أن ابن سعود تجاهل التحذيرات البريطانية فدخل مكة كما راهن (فلبي)، فقررت انكلترا أن الشخص الوحيد المؤهل لتمثيلها لدى الملك عبد العزيز هو (فلبي)، وفي إحدى زياراته للملك خرج من مجلسه ليبرق إلى لندن باستقالته من الخدمة، وقطع كل علاقة له بها رسميًّا.

وفي تقييم الداخلية والخارجية والمخابرات البريطانية أن

(فلبي) رجل غريب الأطوار، وأنه حرض ابن سعود على التشدد مع بريطانيا في مفاوضات عام ١٩٢٨ وحَوْل القضية الفلسطينية، وأنه فقد الولاء لبلاده، وألقي عليه القبض أثناء مروره بالهند، وأرسل إلى السجن في إنكلترا قريبًا من عام أثناء الحرب الثانية، وأشيع أنّ المخابرات البريطانيّة كلّفت ابنه (كِمْ) بالتّجسّس على أبيه، وقبيل موت فلبي التقيا في لبنان وتمّ الصّلح بينهما ومات الأب بجانب ابنه، وربما كان فلبي أوّل من شهد علانية بأن المهاجرين من أوروبا إلى فلسطين ليسوا ساميّين.

١٠) ولن يرضَى عنه العرب لأنه رأى لهم قبول التقسيم الدّولي، بل رأى قبولهم (١٥٠,٠٠٠) مهاجر يهودي بشرط وقف الهجرة عند هذا الحدِّ، ولن يرضى اليهود بذلك أيضًا، ولو عاش (فلبي) إلى هذا اليوم لقال: العرب بعد خمسين عامًا يتمنون الآن الحصول على أقل من حدود التّقسيم وأكثر من العدد الأقصى الذي اقترحه للمهاجرين، ولو عاش (السادات رَحِمَهُ اللَّهُ) لقال: إنهم يتمنون الآن الحصول على أقل مما كان يفاوض للحصول عليه من أجلهم، أما مصر فقد كسبت من مفاوضاته (سيناء) كاملة بأهميتها العظيمة.

وبعد ربع قرن حصل الفلسطينيون بمفاوضات (أوسلو) على الجزء الأصغر (في الضفة وغزة)، وتسبَّب الإخوان المسلمون في

تقسيمها ليتحقق لهم شبح دولة لا يعترف بها أحد، بعد أن لهثوا وراءها نصف قرن.

١١) أحب (فلبي) الملك عبد العزيز وأرضه كما أحبهما (محمد أسد)، وسعى (فلبي) لتعريف العالم بهما أكثر مما سعى غيره من العرب والعجم، وعرفت الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية قدر إنجازه فمنحته ميدالية الشرف.

واتهمته (صنعاء) و(حضرموت) بأنه يحاول إقناع الملك عبد العزيز بضم (حضرموت) إلى المملكة العربية السعودية لكثرة تجواله في المنطقة، ولكن النتيجة التي حققها لم تزد عن كتابه: (بنات سبأ) ولا شك في أنه كان يتمنى أن يمتد حكم الملك عبد العزيز إلى اليمن وأثناء محادثات السلام بين السعودية واليمن إثر احتلال الجيش السعودي (الحديدة)؛ وقف (فلبي) في طرف مجلس الملك عبد العزيز يبكي حزنًا على قرار الملك سحب جيشه من اليمن، وإعادة ما أخذه بالقوة إلى الدولة اليمنية بمجرد المفاوضات، لا لأنه يحب الحرب بل لأنه يرى أن الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ خير لليمن ولبقية العرب من أيّ حاكم منهم أو من غيرهم.

١٢) و(فلبي) صريح وعنيد ومشاكس، و(مثل الأغلبية) معجب برأيه إلى درجة اتهامه بالغرور، وقد أوردَتْه هذه الصفات

سيِّءَ الموارد: وضعت المخابرات البريطانية عام ١٩٤٠ في ملفه تقريرًا عن نقده واحتقاره الحكومة البريطانية حاضرًا وماضيًا وانهزاميته وعدم ولائه ومعارضته للحرب.

في ١٩٣٩ هبطت طائرة بريطانية اضطراريًا في حضرموت فقتل العرب جميع ركابها، فأيَّد فلبي ما فعله الحضارم بحجة أن الطائرة أرسلت إليهم لقتلهم.

وأعلن أنه لم يكن على الحلفاء خوض الحرب، وأنهم لن يحققوا النصر، وأن بريطانيا تحولت إلى دكتاتورية لا فرق بينها وبين ألمانيا، وأنها حاكمت (١١,٠٠٠) مواطنًا رفضوا الحرب لأسباب دينيّة، وأن نشرات الأخبار البريطانية وضيعة ومزرية، وأن الأرقام التي تذيعها عن خسائر العدو في السفن غير صحيحة.

وقام بحملة سياسية قوية لتغيير عزم حكومة العمال البريطانية على تقسيم المملكة المباركة الناشئة واحتضان معارضين للملك عبد العزيز. [قلت: وأبرز أولئك المعارضين الطامعين في الحكم وأخطرهم فيصل الدويش وكان آخر ملجأ له: العراق في حماية جيش الاحتلال الانكليزي، ويؤيد ذلك (محمد أسد) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (الطريق إلى مكة)، وكان الملك رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد كلفه التحقيق في هذا الأمر فتابع التحقيق حتى وصل إلى الكويت ورأى بأم عينه دلائل تورط فيصل الدويش وعصابته في مؤامرة الانكليز تقسيم

السعودية إلى أجزاء ودويلات ليس لها قدرة الملك عبد العزيز على تحديهم.

وأكد هذا الأمر مؤرخ تلك الحقبة: محمد العلي العبيد رَحِمَهُ اللَّهُ من مشاهداته وروايات مشاهدي الأحداث المتعلقة بعصيان الدويش وعصابته رَحِمَهُمُ اللَّهُ. وروى المؤرخ (فيلكس مانجان)[١]: أنّ فيصل الدّويش الأول جد فيصل الدويش الثاني كان من أكبر معاوني (إبراهيم باشا) بالركائب والمؤن والرجال على غزو دولة الدعوة إلى التوحيد والسنة مقابل وعد (إبراهيم باشا) له بتعيينه حاكمًا للدرعية.

ولكن إبراهيم باشا جازاه بما يستحق بعد أن تحقق له هدم الدرعية وقتل ونفي المئات من الأمراء والعلماء، وبدلًا من أن يولّيه حكم الدرعية كما وعده طلب منه دفع ضريبة عن الخمس سنوات الماضية، واستجاب فيصل الداهية ـ ظاهرًا ـ وذهب برفقة ضابطين من جيش إبراهيم باشا لإحضار المال، فلما وصلوا إلى مأمنه قال للمبعوثين: عودوا إلى سيدكم وقولوا له: إن إسهامي في هزيمة الدرعية لا يقل عن إسهام جيشه وأنه قابلني بالجحود، فإذا

(١) في كتابه (تاريخ مصر في عهد محمد علي) ترجم ما يتعلق بتاريخ الحملة التركية الألبانية على الدولة السعودية الأولى في عهد الإمام عبد الله بن سعود: أ. د محمد خير محمود البقاعي ص ١٤٠ - ١٨٨.

أراد شيئًا من شيخ مطير فليأت بنفسه ليأخذه منه في وسط قبيلته، ويقول (مانجان) بأنه كان في استطاعة فيصل الدويش هزيمة الأتراك وإنقاذ نجد ولكنه [آثر الخيانة طمعًا في الحكم كما سيفعل حفيده بعد مئة عام] رحمهما الله.

١٣) وبقى (فلبي) نحو أربعين سنة قريبًا من مجلس شورى عبد العزيز بصفة غير رسمية. ومارس التجارة في السيارات والخيام (التي سميت باسمه بشيء من التحريف: ثلبيات) ولعب الأطفال وغيرها، وأشبع هوايته الجغرافية التاريخية الآثارية.

وكان يخالف الملك عبد العزيز بصراحة أكثر من بقية مستشاريه ويتحمل وصف الملك له: مهبول أو كاذب.

وكان الملك عبد العزيز يتحمل مخالفة مستشاريه ويصبر وإن ظهر غضبه أحيانًا؛ يروي الزركلي أن أحد المستشارين (حسن الحكيم، ويسمّيه السبيعي: حسن الحكي) أثار غضب الملك بإلحاحه في المعارضة، فقال الملك: أجل أنا ما أفهم! فردَّ مستشاره: بلي يا طويل العمر أنت تفهم ولكننا نفهم كذلك! فغادر الملك المجلس قريبًا من ربع ساعة ثم عاد كأن شيئًا لم يكن.

وبعد وفاة الملك رحمه الله (بل قبل ذلك بثلاث سنوات في رواية فلبي، وخمس في رواية حمد الجاسر رحمهما الله، عندما تولى ولي العهد

سعود رحمه الله إدارة شؤون الدولة) لم يشارك فلبي المستشارين ولو بصفته غير الرسمية كما يقول. كان فلبي يضيف إلى صفات الملك عبد العزيز المعروفة وأهمها أنه (الزعيم المؤمن بنصوص القرآن ووحد عليها معظم أرض وأهل جزيرة العرب) يضيف إليها ويزيده شغفًا به وتقديرًا له أنه: (يكره الطقوس الاجتماعية، ويشمئز من التدخين ومن قيم العصر المنحلة ومظاهر الترف، ويكون في أقصى سعادته عندما يفترش الأرض بين أهله وأفراد شعبه).

ومن حبه للملك عبد العزيز وللحياة الفطرية التي يعيشها البدو (وأكثر الحضر) الذين لا يحتاجون لغذائهم أكثر من اللبن والتمر، ولا يعرفون شيئًا عن كماليات العصر الحديث، لم يعد شيء يرضيه بعده، وبدأ ينشر استياءه على الملأ وهذا أسوأ ما في الأمر.

١٤) كتب فلبي في صحيفة الشؤون الخارجية في العاصمة الأمريكية مقالًا شهر ٤ سنة ١٩٥٤ بعد أشهر من وفاة الملك عبد العزيز رحمهما الله ملأه بالتشكي والتأفف والتنبؤ بسوء المصير لعهد لم يكد يبدأ، واتهم كبار الموظفين بصرف اهتمامهم لزيادة ثرواتهم على حساب الوطن وتقديم مصالحهم الخاصة على المصلحة العامة، ولم ينس المقارنة بين شخصية الملك عبد العزيز وشخصيات خلفائه، بأسلوب تنقصه اللباقة بل ينقصه العدل.

لا شك أن شخصية الملك عبد العزيز وانجازاته متميزة ومعروفة في العالم كله، ولكن عهد أبنائه مكمِّل لعهده وإعدادهم لتولي الأمر كان إنجازًا من خير ما منَّ الله به عليه.

١٥) والملك سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ أكثر أولاد عبد العزيز شبهًا بأبيهم، وأمضى عشرين سنة في الإعداد لعهده وليًّا للعهد ثم ملكًا(١١سنة) وأنقذ الله به والده من خناجر اليمنيّين أثناء الطّواف، وبارك الله في الواردات المالية القليلة نسبيًّا (مليون برميل بسعر دولار وثمانين سنت في أحسن أحوالها) فتحملت همته العظيمة وحماسته المنقطعة النظير للجمع بين: نشر ميزة الدولة السعودية التي فاقت بها جميع دول المسلمين منذ القرون الأولى (تجديد الدين بالعودة به إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم)، وبين: بناء الدولة الحديثة نظمًا ومؤسسات تعليمية وصحية وثقافية واجتماعية، ولا تزال نظمه ومؤسساته شاهدة على بعض إنجازه.

يذكر حمد الجاسر (وهو مثل عبد الله فلبي في انصرافه عن العلوم الشرعية إلى البحوث الجغرافية والتاريخية والتجارة بالفكر)، يذكر أن الملك سعود (رحمهم الله جميعًا) كان يلح عليه في التعجيل بفتح المدارس العصرية عندما كان معتمدًا للتعليم في نجد، وعندما اعتذر بعدم وجود مدرسين ذكره بوجود مساجد وأئمة ومؤذنين في كل مكان ولن تحتاج المدرسة في أول نشأتها إلى أكثر

من مدرس (الإمام) وخادم (المؤذن) حتى تبدأ كليتا الشريعة في مكة والرياض والمعاهد الدينية بالرياض في تخريج المعلمين.

١٦) اكتفى الملك سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمعاتبة (فلبي) على جهره بالسوء وليس على سوء ظنه بالمستقبل وقلة أدبه، احترامًا لحبه وصداقته والده. ولم يستفد (فلبي) من خطئه ومن صبر الملك سعود عليه فأصدر كتابًا عن تاريخ حياته في المملكة المباركة أول سنة ١٩٥٥ زاد الطين بلة بل صيّره وَحْلًا. وزادت الهوة بينه وبين زملائه المستشارين الذين شاركهم (وإن لم يكن موظفًا مثلهم) خدمة موطنه وموطنهم الجديد (وإن لم يحصل على الجنسية والراتب مثلهم).

وجاءت المصيبة الثالثة (والثالثة ثابتة كما يقول المثل المصري) في آخر الشهر الأول من العام نفسه ١٩٥٥ فألقى عدة دروس على موظفي شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) عن حياته وتجواله في المملكة المباركة أكثر من ٣٠ سنة (ويتحامل المعلق على ترجمة كتابه: (أربعون عامًا في البرّيّة) فيسفِّه مدحه أرامكو وحسن إدارتها ومساهمتها في تطوير المملكة المباركة حضاريًا ص ٢٥، ولا شك أنها كانت قدوة صالحة لم يستفد منها موظفو الدولة وأنا واحد منهم إلا قليلًا، ولا شك أن الله نفعنا بها وبأمريكا من ورائها في اكتشاف البترول واستخراجه وتسويقه، وعندما صفَّق العرب لاحتلال الكويت وتهديد بقية الخليج

(إسلاميوهم وعلمانيوهم وشيوعيوهم) أنقذ الله الخليج التعاونيّ بالجيش الأمريكي وحلفائه ـ ولو حمايةً للبترول بمالنا). وبدلًا من الاكتفاء بالعتاب في المرة الأولى وبمنع بيع الترجمة في الثانية طلب من (فلبي) مغادرة البلاد بعد رفضه نشر التراجع عن مقالاته، وإصراره على ذلك.

١٧) أقام في لبنان قبل أن يتمكَّن حسين العويني من إقناع فلبي بالاعتذار وإقناع الملك سعود بقبول اعتذاره والموافقة على عودته إلى بيته وأهله في المملكة المباركة بعد نحو أربعة أعوام من رحيله عنها.

وحسين العويني مثل رفيق الحريري رحمهما الله حصلا على الثروة بعد استيطانهما المملكة المباركة ثم حصلا على رئاسة الوزارة في لبنان، وأشهد أنَّ اللبنانين والعُمانيين هم وحدهم الذين حفظوا الودَّ والجميل فلم يعضوا اليد التي أطعمتهم مثل بقية العرب، وبخاصة أهل المسجد الأقصى المبارك وما حوله الذين نسوا أن المملكة المباركة قدمت لهم من العون ما لم يقدمه غيرها إلى درجة تعيين ممثل الحركة الفلسطينية ممثلًا لها في الأمم المتحدة ليخدم قضيتها قبل أن تحصل على مقعد خاص بها. وقد ساهم فلبي رحمه الله في مفاوضات المملكة المباركة مع شركات البترول، ومع شركة ماركني لربط أجزاء المملكة بالاتصالات البرقية، وفي علاقة

المملكة ببريطانيا يوم كانت تحتل أكثر مناطق الخليج وأكثر البلاد العربية، وإن لم يكن المفاوض الوحيد كما يحلو له أن يصف نفسه. ومع أنه عاد للإقامة في السعودية فقد أراد الله له أن يموت ويقبر في لبنان في إحدى رحلاته الكثيرة عام **١٣٨٠**، رَحِمَهُ اللَّهُ وأصلح مَنْ بعده ومنهم خالد وفارس تبعاه في الاسلام والإقامة في بلد التّوحيد والسّنّة، والله الموفّق.

كتبه

سعد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصيّن

١٤٣١هـ

البنكالي محمد يونس
يضرب مثلاً

فاز محمد يونس أستاذ في جامعة شيتاكونك ـ بنكلادش بجائزة نوبل للسّلام مناصفة مع مصرف أسّسه لإعانة المحتاجين على إعالة أنفسهم وسُمِّي (مصرف القرية).

وهذه الجائزة أهمّ جوائز نوبل وتبلغ قيمتها مليونًا وأربعمائة ألف دولار أمريكي، وقد أوصى نوبل بمنحها للمصلحين تكفيرًا عن اكتشافه الدّيناميت واستعمال المفسدين هذا الاكتشاف للقتل والتّدمير.

وقد فاز محمد يونس ومصرفه بالجائزة رغم كثرة وقوّة منافسيه، وعلى رأسهم الرّئيس الفنلندي السّابق (أتاساري)، وعددهم (١٩٠).

وفاز قبل ذلك بعشرات الجوائز المحلّيّة والعالميّة ودرجات الدكتوراه الفخريّة وحفلات التّكريم.

لماذا؟ لأنه ابتكر نمطًا من الإغاثة غفلت عنه مؤسّسات

وأفراد الإغاثة النّصرانيّة الغَرْبيّة ومَنْ قلّدها من أفراد ومؤسّساتٍ في بلاد المسلمين العَرَبيّة (السّعودية وبقية دول الخليج).

هذا النّمط الجديد الذي تميّز به محمد يونس لا يقوم على النّهج الذي ابتدعته الإرساليات التّبشيريّة الغربيّة وتأسَّتْ به جمعيات الإغاثة الخليجيّة (بخاصّة) من جمع الملايين من تبرّعات المحسنين وصرفها روتينيًّا وشكليًّا على المنتفعين وفي مقدمتهم العاملين فيها والتّابعين لمناهجها المبتدعة (طريقةً أو حزبًا أو حركةً) بنتيجة منقطعة.

محمد يونس لا يقدّم دولارًا واحدًا لسدّ حاجة حاضرة منقطعة بل يقدّم للفقير الرّاغب في العمل قرضًا بمعدّل مائة دولار يبدأ به عملًا لكسب قُوْته وقوت أهله (مثل الخياطة والتّطريز والحياكة وصنع السّلال والأواني الفخّاريّة ونحوها)، ويترك سد الحاجة المنقطعة للعطاء الفردي من الزّكاة والصّدقة.

وُلِد محمد يونس عام ١٩٤٠م وكان ثالث أبناء أسرة تضم أربعة عشر طفلًا مات منهم خمسة بعد ولادتهم بزمن قصير، وتعلّم في بلاده حتى أنهى سنوات الدّراسة الجامعيّة، وحصل على درجة جامعيّة من الولايات المتحدة الأمريكيّة، وعمل في جامعة شيتاكونك.

وحين كان رئيسًا لقسم الدّراسات الاقتصاديّة في هذه الجامعة عام ١٩٧٤م قاد فريقًا من طلابه في رحلة ميدانيّة إلى ريف بنكلادش

بعد أن مات الآلاف بسبب المجاعة فرأى من الفقر والجوع والمرض والجهل ما أقنعه بوجوب العمل على الإصلاح المستمر.

بدأ العمل بإقراض الفقير بضعة وعشرين دولارًا بشرط صرفها في شراء الأدوات والخامات الضروريّة لبدء الاحتراف ثم سداد القرض من ناتج العمل.

ورأى من نجاح المشروع ما شجّعه على تأسيس (مصرف القرية) للتّوسّع في عملية الإقراض عام **١٩٨٣**م.

وقد بلغ عدد المقترضين حتى نهاية العام الماضي نحو ستة ملايين وخمسمائة ألف مقترض، وبلغت نسبة سداد القروض ٩٨٪، ويمتلك المقترضون ٩٤٪ من أسهم المصرف الذي أعانهم به الله على تجاوز خطّ الفقر، ويشاركون في اختيار أعضاء مجلس إدارته كلّ ثلاث سنوات، وتقدّر قيمته بأكثر من ستة آلاف مليون دولار.

ويحصل المقترضون المساهمون في المصرف على معاشات للتقاعد، مقابل دفعهم دولارًا شهريًا، ويحصلون على تأمين على الحياة بمجرد مساهمتهم في المصرف دون مقابل ماليّ يدفعونه للحصول على هذه الخدمة، ويحقّ لأبناء المقترضين الذين أنهوا دراسة المراحل التّعليميّة العامّة الاقتراض لاستكمال تعليمهم الجامعي بما يشمل رسوم الدّراسة والإعاشة ونحوها، وقد استفاد من هذه القروض أكثر من أحد عشر ألف طالب.

ويعمل (مصرف القرية) على مكافحة التّسوّل بما يسميه: (برنامج الأعضاء المكافحين)، وقد التحق به أكثر من ثمانين ألف متسوّل حصلوا على قروض بلغت أكثر من مليون دولار سُدِّد منها نحو ٧٠٪.

ويبدي محمد يونس (٦٦ سنة) شعورًا بالفخر لاعتراف العالم بنجاحه في تحويل فكرته في الإصلاح إلى مؤسّسة عمليّة عام ١٩٩٧م ضمن شبكة عالميّة تضم اثنين وخمسين شريكًا في اثنين وعشرين دولة تقدم العون ـ حتى الآن ـ لنحو أحد عشر مليون مقترض في آسيا وأفريقيا والشرق الأوسط والأمريكتين، وقد تبنى البنك الدّولي الفكرة بعد أن كان غير واثق من نجاحها[١].

ومع إدراكي تميّز محمد يونس في هذه الجزئيّة الدّنيويّة من حياته الفكرية العمليّة ودعائي له بأن يردّه الله إلى دينه الحقّ ردًّا جميلًا ويهديه لأقرب من هذا رشدًا، فإني لا أغفل عن تفريطه في جنب الله هدانا الله وإياه؛ فهو مثل أكثر مؤسّسات الإغاثة وأفرادها يفصلون بين الإغاثة وبين الدين أو الدعوة على منهاج النبوّة قولًا أو عملًا أو هما معًا، أما النية فعلمها عند الله وحده.

---

(١) استقيت هذه المعلومات من برنامج ستّين دقيقة (CBS) ومن بعض مثقفي بنكلادش، وجمع أكثرها فضيلة الشيخ عبد الحق التركماني في السّويد، وفقهم الله للحق والعدل.

أما محمد يونس فلا يدّعي أيّ صلةٍ بين مشروعه الإغاثي وبين الدّين الذي ورثه من أبويه كما يرث وطنه وجنسيته، ومصرفه يأخذ ويعطي بالرّبا صراحة، بل لا يدرك المطّلع على سيرته أي صلة بينه وبين الإسلام غير اسمه (هداه الله) كما علمت من قومه.

وأما أفراد الإغاثيّين العرب ومؤسّساتهم ومصارفهم فيركب الجميع ـ إلا من رحم الله ـ وصف الإسلاميّ والإسلاميّة ويدّعون نصر الإسلام بإغاثة المسلمين، ويتحايلون على الرّبا، ويخالفون شرع الله ﷻ وسنّة رسوله ﷺ في الدعوة؛ فلا يغيثون بأهمّ ما دعا إليه جميع رسل الله من إفراد الله بالعبادة والالتزام بالسنة والتحذير من الإشراك بالله في عبادته وما دون ذلك من البدع مع كثرتها إلّا من رحم الله.

ولكنّنا في زمن غير بعيد من غربة الدّين؛ نفرح بمجرد اسم الإسلام ودعوى الإصلاح والتّعاون واجتماع كلمة المسلمين دون ضابط من شرع الله.

ولعل الله أن يهدي الجميع لما اخْتُلِف فيه من الحق بإذنه.

كتبه

سعد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصيّن

١٤٢٨هـ

الملك حسين رحمه الله ولعنة الهاشميّين [١]

على إثر هزيمة العرب عام١٩٦٧ واحتلال إسرائيل بقية أرض فلسطين: غزّة وسيناء (من مصر) والجولان (من سوريا) والضّفّة الغربيّة بما فيها المسجد الأقصى (من الأردن)؛ أذيع أكثر من مرّة خطاب للملك حسين رحمه الله حفظت منه أنّ السّبب ما سمّاه: (لعنة الهاشميّين)، وفهمت منه أنّ فقد المملكة الأردنية الهاشميّة نصيبها من فلسطين (منذ الحرب العربيّة الإسرائيليّة عام ١٩٤٨) كان آخر حلقة في تسلسل اللعنة الهاشميّة بعد جريمة الثائرين العراقيّين عام١٩٥٨وقتلهم وسَحْلهم الملك فيصل الثاني ملك العراق، وربما قضاء الاحتلال الفرنسي عام١٩٢٠ على مُلْك فيصل الأول في سوريا رحمهم الله جميعًا، وربما طَرْد الهاشميّين من ولاية الحجاز عام ١٩٢٥، وموت الملك حسين الأول منفيًّا في قبرص، واغتيال الملك عبد الله في القدس، بل ربما قتل الحسين وقبله قتل علي رضي الله عنهما وأرضاهما في العراق (أرض الشّقاق والتّصوّف والفتن منذ القرون الخيّرة).

ولأن الملك حسين رحمه الله سبقني إلى البرزخ وأنا غير بعيد من

اللحاق به، وقد سُجِّلَتْ ولادة كلّ منّا رسميًّا في عام ١٩٣٥، فقد بدا لي بيان رأيي في مقولته قبل أن لا أتمكن من البيان:

١) لو كان لنا أن نعزو ما يقع من أقدار الله على الأفراد أو الأُسَر أو الأمم أو البلاد أو أهلها إلى لعنة محتملة لقلنا إنّ لعنة الفلسطينيّين كانت السّبب فيما حدث لهم من إرهاب قبل ١٩٤٨، ثم ما حدث لهم من نزوح بعده، وما حدث لهم قبل طردهم من الأردن وبعده، وفي حرب المخيّمات في لبنان، وفي النّفي إلى تونس، ثم في الشّقاق بينهم في الضّفة الغَرْبيّة وغزّة.

٢) أَوْ لَعَزَوْنا ما حدث في العراق للعنة العراقيّين منذ الخوارج في عهد علي، وتشجيع الحسين رضي الله عنهما على الخروج إليهم (في ولاية يزيد عفا الله عنه) ثم نَكْث عهده وتركه يقاتل الجيش الأموي مع قليل من أهله وأتباعه، إلى ثورة القتل والسّحل الهمجية في العراق ثم ولاية حزب البعث الاشتراكي وطواغيته وخاتمتها: قتال الشّيعة الإيرانيّين ثم السّنّة الخليجيّين والقوّات الدّوليّة.

٣) ولكن ما لنا وللظّنّ وقد آتانا الله اليقين؟ قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأنعام] وقال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: ١٤٠] وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النِّسَاء: ٧٩].

فأقدار الله وأسبابها وعواقبها لا يحيط بها إلّا الله سبحانه وتعالى «**فمن رضي فله الرضا ومن جزع (أو سخط) فله الجزع**» أو السّخط.

وعندما هُزِم جيش رسول الله ﷺ في أُحُد قال بعض الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم ﴿أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ [آل عِمرَان: ١٦٥] فقال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٥]، وقَبْلها أُخْرِج الرّسول ﷺ من مكة إلى المدينة، وقبلها هرب بعض المسلمين بدينهم من طغيان أهل مكّة وظلمهم إلى عدل النّجاشي ملك الحبشة، والله تعالى يبتلي عباده بالشرّ والخير فتنة كما في سورة الأنبياء، الآية٣٥.

وعندما احتلّت إسرائيل عام١٩٦٧ المسجد الأقصى وما حوله تذكّرت ما رأيته فيما تحت يد المسلمين من فلسطين عام١٩٦٥، وما سمعته من سوداني زارها وتوقّع زوال حكم المسلمين عنها لما رأى فيها من كبائر وما سمع من لَعْن المنتمين للإسلام والسّنّة لَعْنِهم الرّبّ والدّين (ويوجد مثله وشرٌّ منه في العراق) ولأنّ الأخ السّوداني قد أَلف دعاء أصحاب القبور عند أوثان المقامات والمزارات والمشاهد والأضرحة في السّودان، لم يتمعّر وجهه ـ مثلي ـ من هذا الشرّ والظّلم العظيم في فلسطين (والعراق) عافانا الله مما ابتلاهم به.

وقد تقرّبت إلى الله تعالى بتجنّب الصّلاة فيما سُمِّي: الحرم الإبراهيمي الشريف بعد أن ملأه المنتمون للإسلام والسنة بسبعة اوثان تقرّبًا إلى الله بأشنع ما عُصِيَ به، وأسوأ مما فعل اليهود والنّصارى، وقد حذّرنا الله ورسوله من اتّباع سننهم.

وكان في مكة والمدينة وجدة والطّائف كثير من هذه الأوثان فهدمتها جميعًا دولة التّوحيد والتّجديد والسّنّة السّعوديّة في أوّل القرن الثالث عشر الهجري، ولما حاربتها الدّولة العثمانية الوثنيّة ودمّرت عاصمتها الدّرعيّة، وقتلت ونفت المئات من أمرائها وعلمائها عادت الأوثان مرّة أخرى حتى هدمتها دولة التّوحيد والتّجديد السّعوديّة مرّة ثانية وإلى الأبد بإذن الله تعالى بعد أن ملّكها الله تعالى أكثر جزيرة العرب منذ منتصف القرن الرابع عشر الهجري، وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ [الحَجّ: ٤١]، والله الموفق.

كتبه

سعد بن عبد الرحمن الحصيّن عفا الله عنه

في ١٤٣٥/٦/٢٦هـ

الملك حسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولعنة الهاشميين [٢]

في القسم الأول من هذا المقال بيّنت أن أقدار الله على عباده أفرادًا أو أُسَرًا أو جماعات أو بلادًا أو دولًا لا يصحّ الحكم عليها باللعنة أو النّعمة ولو كانت عقابًا من الله على سيّئات عباده.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ [الفَجر].

وهذا رسول الله ﷺ وجُلُّ من سبقه من الرّسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهؤلاء أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم أصابهم من الفقر والجوع والخوف وظلم النّاس ما بيّنه الله في كتابه وسنّة رسوله ثمّ حمّدهم الله العاقبة.

وهذه دولة التّجديد والتّوحيد والسّنّة السّعوديّة لقيت في القرون الأربعة الأخيرة من الظلم والجحود والقتل والنّفي ما قدّره الله لها وعليها وكلّما ظنّ المستعجلون أنّها قُضِيَ عليها عادت مثل ما كانت أو خيرًا مما كانت بفضل الله وإحسانه.

تعاون أمير مكّة والمدينة وما حولها الحسين بن علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع الإنكليز على إنهاء الاحتلال التركي للحجاز، ولم تَفِ إنكلترا بوعدها مكافأته بتتويجه ملكًا على العرب ولكنّها عوّضته بتتويج ابنيه فيصل وعبد الله رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ على العراق والأردن وجزء مهم من فلسطين بما في ذلك المسجد الأقصى المبارك غنيمة باردة.

وكان الملك عبد العزيز آل سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ عمليًّا؛ ولا يريد أن يناطح الإنكليز بقواتهم البرّيّة والبحريّة المحيطة به من عَدَن إلى مصر والسّودان وما بينهما من سواحل البحر الأحمر، مرورًا بحضرموت وعُمَان والإمارات المتصالحة وقطر والكويت والعراق والأردن وفلسطين التي تحتلّها إنكلترا جميعًا.

ومع أنّ الحجاز وما حوله سبق أن دخل تحت راية الدّعوة والدّولة السّعوديّة المباركة في العقد الثاني من القرن الثاني عشر فهدمت الأوثان وأزالت المبتدعات حتى حاربتها دولة الخرافة العثمانيّة وظُنَّ أنّها قضت عليها، فلم يطالب الملكُ عبد العزيز الملكَ حسين بن علي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ بأكثر من الإذن لرعيّته بالحجّ والعمرة، وبعدم الاعتداء على رعيته في تربة والخرمة، ولم يذكر عنه أبدًا رغبةً في ملك الحجاز ولو لفتح أبوابه لحجّاج رعيته أو لهدم الأوثان وإزالة المبتدعات الطّارئة.

ولكن جيش الملك حسين بقيادة ابنه هاجم تربة واحتلّها

وأعلن أنّه ينوي احتلال نجد من الخرمة إلى الأحساء، فأذن الملك عبد العزيز لجيشه في الخرمة بقيادة خالد بن لوي وسلطان بن بجاد رحمهما الله بالدّفاع عن أنفسهم وإخوانهم، وكانت النّتيجةُ إبادة جيش الملك حسين بن علي رحمهم الله جميعًا وغنيْمَةَ أسلحة جيشه وإمداداته، فلم تقم له قائمة بعدها، ولم تر إنكلترا التّدخل لتغيير الأمر الواقع، ولكنّها (بعد أن فتح الله مكة والمدينة وما حولها للدعوة والدولة السّعودية وأعادت هدم الأوثان وأزالت المبتدعات والمنكرات) استعْمَلت سياسة الأمر الواقع فاحتلّت معان والعقبة لصالح مملكة الأردن وكانتا تابعتين للحجاز فالمشكلة سياسة لا لعنة غيبيّة والله الموفّق.

كتبه

سعد بن عبد الرحمن الحصيّن عفا الله عنه

في ١٤٣٥/٧/٥هـ

الملك حسين رحمه الله ولعنة الهاشميّين [٣]

فيما سبق من هذا المقال أنْكَرْت الحُكْم على الغيب باللَّعنة أو النِّعمة، والصّالحون من آل البيت أولى برحمة الله وبركته وفضله.

ولكن الملك حسين رحمه الله يوم اتّهم (لعنة الهاشميّين) وحمّلها وزر ما حدث في ثورة العراق عام ١٩٥٨ من وحشيّة كان يعبّر عمّا سمّاه: (مشاعر الأسى والحقد المتفجّر) في طباعة متقدّمة لكتابه: (مهنتي كملك)، أسمعه رحمه الله يقول: (لقد بدأ الدّم في العراق بمقتل الحسين رضي الله عنه) ثم يقول عن وحشيّة الثّوار العراقيّين: (عندما أعود للشّريط الذي خلّفته الشريفة ساجدة التي تعرّضت لأبشع عدوان بعد اغتيال أفراد أسرتها... لقد استمعت إلى كلماتها المختلطة بالنشيج والبكاء وهي تتوسّل إلى الضّابط القذر الذي أفرغ الرّصاص على رأس الشريف [الطفل علي عبد الإله] بعد أن وضع حذاءه على بطنه ثم أفرغ أربع رصاصات في رأس الأميرة البالغة من العمر ٦٢ سنة المؤمنة الورعة الحافظة لكتاب الله... كثرة النّاس قد لا يُحِسُّون بلحظة الانفجار المأساوي التي تغلي مراجله في

داخل الإنسان. وأُقْسِم صادقًا بارًّا أن لا تغفل لي عين أو ينام لي جفن حتى أرى في كلّ بيت عراقيّ دمًا ينزف ودموعًا لا تجف).

والأحرى بالملك حسين أن يعفو ويصفح عن جرائم ثوار العراق كما عفا وصفح عن جرائم الفلسطينيّين الذين حاولوا اغتياله أو الإساءة إليه.

ولكنّ العرب الذين تحْكُمُهُم (عقدة المؤامرة) استدلّوا بهذا على أنّه وفى بوعده فضحك على صدّام حسين وورّطه في احتلال الكويت وتهديد السّعوديّة، ودلّاه بغرور حتى (رأى في كلّ بيت عراقيّ دمًا ينزف ودموعًا لا تجف).

ولو صدقَتْ عقدة المؤامرات العربيّة هذه المرّة فقد عايشها الملك حسين رَحِمَهُ اللَّهُ بكلّ قوّة فأعلن أن لقبه صار: (الشريف حسين) استعدادًا لتولّي إمارة مكّة والمدينة وما حولها، ولكنّي لا أظنّه ينزل إلى مستوى تصديق وعد صدّام الدّين والدّنيا بالاستيلاء على السّعوديّة واقتسام أرضها مع الملك حسين وعلي عبد الله صالح.

والدّولة السّعوديّة التي جدّد الله بها دينه (بالعودة إلى ما كان عليه النبيّ ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم) ثلاث مرّات منذ منتصف القرن الثاني عشر الهجري حتى اليوم، نالت نصيبها من أقدار الله تعالى وبلائه؛ فقد حاربتها دولة الخرافة العثمانيّة سبع سنين في أوائل القرن الثالث عشر وهَدَمَتْ عاصمتها وقَتَلَتْ ونَفَتْ المئات من

علمائها وأمرائها، ولما أحياها الله وجدّد بها دينه مرّة ثانية في عهد الإمام تركي وابنه الإمام فيصل رحمهما الله عادت الدّولة الخرافيّة العثمانيّة تغزوها باسم أحد المنفيّين من آل سعود، فلم يقبله أهل نجد حاكمًا في ظلّ دولة البدعة والخرافة والوثنيّة وانتهى به الأمر منبوذًا من المنطقة كلّها، وعادت دولة التّوحيد والتّجديد والسّنّة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر في عهد الإمام فيصل بن تركي رحمه الله.

ثم نزغ الشيطان بين الطامعين في الولاية من آل سعود وبين من ولّاهم الله الأمر من نسل الإمام فيصل، وتوقّف مُلْك آل سعود نحو١٠ سنوات، حتى بعث الله الملك عبد العزيز آل سعود مجدّدًا لدينه منذ عام ١٩ للقرن الرابع عشر الهجري ولم ينته النّصف الأول منه حتى ولّاه الله أمر جزيرة العرب من حدود العراق إلى حدود اليمن وعُمَان ومن الخليج إلى البحر الأحمر، فهدم الله بجيشه المؤيَّد (بالرّعب وبالنّصر) جميع أوثان المقامات والمزارات والمشاهد والأضرحة وأزال به جميع البدع وأمّن به السّبل وفتح الله لدولة التّوحيد والسّنّة خزائن الأرض.

ولم يَعْزُ أحدٌ من أمراء الدّعوة ولا علمائها ما أصابهم إلى لعنة الله تعالى بل تذكروا قول الله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عِمرَان]. وتذهب الدّولة والدعوة

السّعوديّة مرّة بعد مرّة ثم تعود بفضل الله على ما عاهدت الله عليه من نصر دينه وإعلاء كلمته.

أمّا أشراف مكّة رحمهم الله فأذكر واحدًا منهم: عون الرّفيق رحمه الله (وهو جدّ ملوك الأردن) عيَّنَتْه دولة السلطنة التّركيّة عام **١٢٩٩**هـ؛ وأقنعه الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى رحمه الله بهدم أوثان المزارات في ولايته فهدم بعضها إلا الوثن المسمّى خديجة رضي الله عنها لتعلّق أهل مكّة به ولم يهدم الوثن باسم حوّاء عليها السلام في جدّة لتعلّق غير المسلمين مع المسلمين به، وميّز الله حكمه بامتداده نحو ربع قرن.

والملك حسين رحمه الله تميّز بهدم أول تمثال أقيم له بحجّة أنّ (سيدنا النبي أمر سيدنا علي بهدم التّماثيل وطمس الصُّوَر)، وذُكِر لي أنه أوصى أن لا يُبْنى على قبره، تجاوز الله عن الماضين وجعل الباقين هداة مهتدين.

كتبه

سعد بن عبد الرحمن الحصيّن عفا الله عنه

في ١٤٣٥/٧/٩هـ

دولة الرئيس الميقاتي
يضرب مثلاً

١) في إحدى زياراتي للبنان طلب منّي بعض الإخوة السّلفيّين زيارة رئيس وزرائها الأستاذ نجيب الميقاتي لأنه يتميز بميزة نادرة: أنّه يعطي السّلفيّين ـ مثل أيّ طائفة أخرى حقّها منه، والسّلفيّون ـ عادة ـ لا يهتمّ بهم السّياسيّون لأنّهم لا يطمعون في تصويتهم لهم ولا يخشون من تصويتهم لغيرهم، وفي المقابل لا يهتمّ السّلفيّون بالسّياسة العصريّة ولا بالسّياسيّين اكتفاءً بالسّياسة الشّرعيّة من الكتاب والسّنّة واكتفاءً بفقه الفقهاء في الدّين من السّياسيّين الشّرعيّين من الصحابة وتابعيهم بإحسان رضي الله عنهم وأرضاهم، فهم (الموقعون عن ربّ العالمين) بعد النبي ﷺ، كما وصفهم ابن القيم رحمه الله وأثابه.

٢) واعتذرْتُ بعزوفي عن لقاء الرّؤساء والأمراء والمشايخ وكبار الموظّفين بحجّة انشغالهم بما ولّاهم الله فلا أضيّع وقتهم. ولمّا دعتني وزارة الإعلام العمانيّة لزيارة مهرجان صلالة قبل بضع سنوات استجبت للدّعوة الكريمة، وطلبت مقابلة بعض صغار الموظّفين بدلًا من كبارهم، والسّكن في أحد بيوت الطلبة بدلًا من

الفنادق الكبيرة، والطعام الشعبي بدلًا من الأكل الغربي، وأن يعفوني من زيارة مهرجان صلالة لأني تعوّدت النّوم بعد صلاة العشاء (في رمضان وغيره).

وميّز الله أهل عُمان بحسن الخلق كما شهد لهم النبي ﷺ: «**لو أنّ أهل عُمان أتيت ما ضربوك ولا سبّوك**» رواه مسلم، وكتبْتُ مقالًا أشهد لهم بذلك وكتب سمير عطا مثله بعد أسبوعين.

٣) ونجيب الميقاتي يذكّرني بما وصف الله به المَلِك طالوت: زاده الله بسطة في الخَلْقِ والخُلُق، ولا يمكن أن يقال عنه ما قيل عن طالوت: ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٧]، فهو من أكثر العرب (بل النّاس) مالًا.

فجمع الله له التميُّز في الخُلُق والجسم والمال، وفي السّياسة والادارة التي تؤتي كلّ ذي حقّ حقّه على كثرة الطوائف اللبنانيّة التي تطالب بحقّها، وتطلب منع الحقوق عن غيرها، والله قد أعطى الحقّ لكلّ عباده، ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسرَاء]، وأمر بأداء الحق إلى أهله والحكم بالعدل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾ [النِّسَاء: ٥٨]، وحثّ عباده المؤمنين على العدل في معاملة العدوّ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المَائدة: ٨]، ونهى عن الاعتداء على العدوّ ولو أنّه قد صدّهم

عن المسجد الحرام: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾ [المَائدة: ٢]، ولم ينه الله المؤمنين عن معاملة غير المسلمين بالبرّ والعدل: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [المُمتَحنَة]، ونهى عن مجادلة النّصارى بغير الحسنى (فكيف بمن ينتمي إلى الإسلام): ﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ﴾ [العَنكبوت: ٤٦] قال الله تعالى عنهم في آية أخرى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ [البَقَرَة: ١٩٤]، أي: لا تزد على المثل، واختار الرسول ﷺ وَفْقَ وحي الله له: العفو عمّن قاتلوه وأخرجوه من المسجد الحرام فعفى عنهم يوم فتح مكّة إلا النّادر ممن استمرّ في الاعتداء.

٤) وكما أحببْتُ زيارة عُمَان مرة ثانية لما رأيته من تميّزها بحسن خُلُق أهلها أحْبَبْتُ زيارة رئيس وزراء لبنان نجيب الميقاتي لما سَمِعْتُهُ عنه من تمييز الله له بحسن الخُلُق وهو خير ما ميّز الله به عبده المسلم.

٥) ورأَيْتُ فيه خيرًا مما سمعْتُ عنه من حُسْن الخُلُق والكرم بوقته ونفسه وتحمُّل ضيفٍ لم يتعوّد زيارة مثله (ولا مَنْ دونه في الوظيفة والوجاهة وسموّ المنزلة الاجتماعية والاقتصادية) جاء لغير حاجة إلّا لمجرّد الزّيارة.

والزّيارات لرئيس الوزراء فمن دونه في وقت العمل ومكانه عادةٌ سيّئة تعوق العامل والعمل، والأولى بها عدم قبولها.

٦) ودخلت مكتبه في الرئاسة وكعادتي بدأت بالسّلام على من يقف على اليمين حتى وصلت إليه فأجلسني معه واثنين من الإخوة السّلفيّين في ركن من غرفة مكتبه لا على مكتبه.

وقدّمت له كتابين لي عن سيرتي في الدّعوة إلى الله وفي سفري عامّة فأصرّ على أن أكتب إهداءً مني إليه على كلّ منهما.

وكنت ألبس كعادتي ثيابًا متواضعة (وفي نظر اللبنانيّين العاديّين أكثر ضَعَةً فتصدّق عليّ أحدهم بألف ليرة ـ ريالين ونصف ـ وبعدها بأسبوع أو أسبوعين تصدّق عليّ آخر بمثلها لا حرمهما الله أجر النّيّة ولا العمل)، واستوقفني مرّة أمريكي نَزِل في نيويورك ليسألني: هل أنا قسيس من طائفة jesuit؟ فقلت: لا، أنا مسلم، وسألته: لِمَ ظننْتني مِنْ هذه الطائفة بالذّات؟ فقال: لتواضع مَلْبَسِك.

ولو قال: لتركيزك على التربية وتضمينها حُسْن الخُلُق فلعلّه صدق؛ فقد دَرَسْت التربية ضمن دراستي في كلّية الشريعة بمكة المباركة أربع سنوات قبل ٦٠سنة ثم في أمريكا ثلاث سنوات قبل ٤٥سنة وعملت على إدارة التعليم العصري نحو ربع قرن وإدارة التّعليم الدّينيّ (الدّعوة إلى الله على منهاج النّبوّة) من أول

القرن(١٥) حتى اليوم، والتربية على الدّين والخُلُق من أهداف الجزويت المعلنة، ولهم دينهم ولي ديني.

وزرت الأستاذ/ نجيب الميقاتي في منزله العامر أثناء تكليفه بالرئاسة ثم بعد تركه العمل، فوجدته كما عرفْتُه مضيفًا كريمًا لا يقيس النّاس بلباسهم ولا بوظائفهم ولا بأموالهم ولا بجاههم وإنما يقيسهم بأخلاقه فيعاملهم بما تمليه عليه أخلاقه الكريمة، وبهذا أعلى الله مقامه في الدّنيا وأرجوا الله أن يعلي مقامه في الآخرة ومَنْ يسّر لي معرفته وزيارته.

٧) واعتمر في رمضان كعادته كلّ سنة (تقبّل الله منه) وكنا نودّ اجتماعه بأكبر عدد من الشيوخ السّلفيّين فقضى الله لي وله أن نكون ثلاثة: نجيب الميقاتي ود. عبد المحسن بن عبد الله بن محمد آل الشيخ رئيس المجلس البلدي في مكة والأستاذ بجامعة أم القرى قبل ذلك وهو عن (١٠٠٠).

اتصل الأستاذ نجيب بعد وصوله مكة بابني ياسر لأني لم ألْحَقْ بعصر الجوال، وربما خشي أن يتأخّر وصول رسالته إليّ فاتّصل بي على هاتفي الثابت، وشجّعني الشيخ د. عبد المحسن على ضعفي ومرضي فاجتمعنا في جناح فخامة الرئيس بقصر المؤتمرات وقضينا معه وقتا طيّبًا ومرافقيه الكرام في بيان المنهاج

السّلفيّ، وأحرَجَنا بعادته التّجاوز في إكرامنا الحدّ الذي تعودناه منّا أو لنا أكرمهم الله بطاعته، ورضاه.

٨) وزُرْتُ لبنان فاتّصل الأستاذ نجيب بابني ياسر فيسّر الله لي مهاتفته واقترحت أن يكون اللقاء بعد عودته من الحجّ (وهو يحجّ كلّ عام)، ولكن قضى الله لي العودة إلى مكة قبل عودته إلى لبنان، وكنت راغبًا في زيارته هذه المرّة في مكان إقامتي في ضواحي بيروت تكملةً لفضله وتواضعه، ولتكون خاتمة طيّبة لزياراتي للبنان التي لا أحصي لها عددًا، فقد جعلتها منذ عام ١٣٧٤هـ. المحطة الأخيرة قبل المملكة المباركة سواء كنت قادمًا من الشرق أو من الغرب، وقد ميّزها الله بجوّها ومكانها، وبأهلها فوق كلّ اعتبار، ولو لم يكن فيها غير نجيب الميقاتي لكفاها فضلًا، وفي الطائرة احتجت للتزود بالأكسجين، فسابق اثنان من الشباب اللبناني ـ لم أرهما قبل تلك الليلة ـ سابقًا ابني لتزويدي به، وألزما المضيفين بنقلنا إلى الدّرجة الأولى رغم إلحاحي بعدمه، أثابهم الله.

كتبه

سعد بن عبد الرحمن الحصين عفا الله عنه

مكة المباركة ـ ١٤٣٦/١٠/١هـ

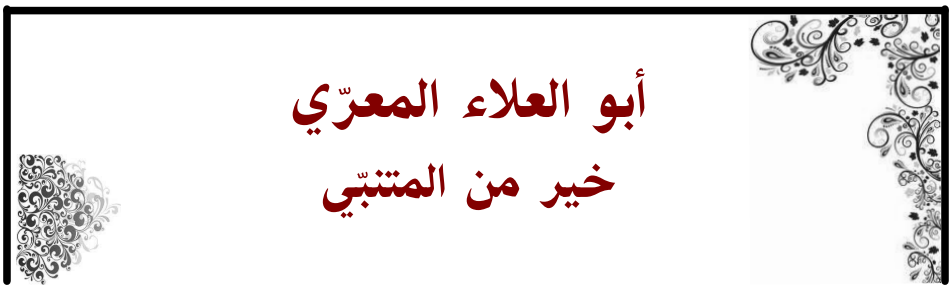

أبو العلاء المعرّي
خير من المتنبّي

في مقال سابق عن المتنبّي مبنيّ على فكر أوثق نقّاده (طه حسين) نفيْتُ عنه ما ألصقه به متأخّروا القوميّين العرب ـ زورًا ـ من الكرامة والعزّة، إلّا مجرّد الادّعاء العربي العصري حيث لا عزّة ولا كرامة.

وقارنت بين تسخير المتنبّي شعره للتّسوّل على أبواب الأمراء في استجداء مال أو ضيعة أو إمارة، وبين اعتزال المعرّي الأمراء والعامّة خمسين سنة، وصيانة شعره من التّزلّف والتّسوّل والتّذلّل.

ولكنّ المعرّي ـ مثل المتنبّي ـ اتّهم بالانحراف عن صراط الله المستقيم؛ ورُوِيَ عن شيخ السّلفيّين في دمشق، (ويكاد أن يكون السّلفيّ الفرد) محمد بهجة البيطار رَحِمَهُ اللَّهُ أنّه حضر مجلسًا كفّر فيه بعضُ جلسائه المعرّي فاغرورقت عيناه بالدّموع وقال: أتركوه فقد لقي ربّه، وعندما زرنا دمشق أوّل مرّة عام ١٣٧٤ (أخي صالح وعثمان رَحِمَهُمَا اللَّهُ وأنا ولا أقول: أعوذ بالله مِنْ قول أنا مع العوام وأشباههم) لم نجد سلفيًّا غيره له علينا حقّ الزّيارة، وكانت دول المنتمين للسّنّة منذ عصر ابن تيمية تكتم أنفاس السّلفيّة والسّلفيّين،

واشتهر منهم قبله جمال الدّين القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٣٣٢) واتّهمه المبتدعة المنتمون للسّنّة بأنّه على طريقة جديدة في الدّين سمّوها الجماليّة (كتهمة الوهّابيّة قبلها والجاميّة بعدها، تشابهت قلوبهم وألسنتهم)، وسُجِن حتى ظهرت براءته.

ولعلّ الرّواية عن شيخنا البيطار رَحِمَهُ اللَّهُ هي التي أعادتني للنّظر في نقد طه حسين رَحِمَهُ اللَّهُ للمعرّي (وهو المنافس للمتنبّي (٣٠٣ ـ ٣٥٤) والمعجب به والمقتبس منه، ولكنّه ـ في رأيي ـ أكرم خلقًا وأقرب للحقّ والعدل):

أ ـ ولد المعرّي (عام٣٦٣) في معرّة النّعمان من بلاد الشام وتوفّاه الله فيها (عام٤٤٩) وأخذ الله بصره في السّنة الرابعة من عمره بسبب مرض الجدري.

قال الذّهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في سير أعلام النّبلاء: (هو الشيخ العلّامة شيخ الآداب أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان... وكان قنوعًا متعفّفًا، وله وقْفٌ يقوم بأمره [غلّته/ ٣٠ دينارًا في السّنة يصرف نصفها لخادمه] ولا يقبل من أحد شيئًا، ولو تكسّب بالمديح لحصّل مالًا ودنيا، فإنّ نظمه في الذّروة يُعَدّ مع المتنبي والبحتري، وارتحل إلى طرابلس واجتاز باللاذقيّة فنزل دَيْرًا به راهب متفلسف، فدخل كلامه في مسامعه، وحصلت له شكوك لم يكن له نورٌ يدفعها، ويقال: تاب من ذلك وارعوى).

قال الذّهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (خرج صالح بن مرداس ملك حلب إلى المعرّة يحاصرها ورماها بالمجانيق، فخرج إليه أبو العلاء يتشفّع فأكرمه، وقال: ألك حاجة؟

فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعرَاف]، فقال: قد وهبتك المعرّة)، فقال بَعْدُ:

نجّى المعاشر من براثن صالح
ربٌّ يداوي كلّ داء معضل
ما كان لي فيها جناح بعوضة
الله أولاهم جناح تفضّل

ب ـ ذكر الذّهبيّ بعض ما نُقِل عنه من الإلحاد شعرًا ونثرًا، لا يسرّني نَقْلُ شيء منه فأكون ساهمت في إشاعة ما هو أعظم من الفاحشة.

ويظهر لي من مجموع ما نُقِل عنه أنّه (قبل اعتزاله النّاس في الخمسين سنة الأخيرة من حياته) شكّ في دينه وضلّ عن الصّراط المستقيم ولكنّه في كهولته ثم شيخوخته عاد إلى رشده، تجاوز الله عنه.

ج ـ يستدلّ طه حسين على توبة المعرّي في عزلته بمثل قوله:

بوحدانيّة العلّام دُنّا
فذرني أقْطَع الأيّام وحدي

وبمثل قوله:

تـــوَحَّـــدْ فـــإنّ الله ربّـــك واحـــد
ولا تـــرغـــبَـــنْ فـــي عـــشـــرة الـــسّـــفـــهـــاء

وبمثل قوله:

انـــفـــرد الله بـــســـلـــطـــانـــه
فـــمـــا لـــه فـــي كـــلّ حـــال كـــفـــاء
مـــا خـــفـــيَـــتْ قـــدرتـــه عـــنـــكُـــمُ
وهـــل لـــهـــا عـــن ذي رشـــاد خـــفـــاء

وبمثل قوله:

فـــفـــضّ زكـــاة مـــالـــك غـــيـــر آب
فـكـلّ جـمـوع مـالـك يَـنْـفَـضِـضْـنَـهْ
وأعـــجـــز أهـــل هـــذي الأرض غـــاوٍ
أبـان الـعـجـز عـن خـمـسٍ فُـرِضْـنَـهْ
وصُـمْ رمـضـان مـخـتـارًا مـطـيـعًـا
إذ الأقـــدام مـــن قَـــيْـــض رَمِـــضْـــنَـــهْ

وبمثل قوله عن أبيه:

فـيـالـيـت شـعـري هـل يـخـفّ وقـاره
إذا صـار أُحْـدُ فـي الـقـيـامـة كـالـعِـهْـنِ
وهـــل يَـــرِدِ الـــحـــوْضَ الـــرّويَّ مـــبـــادرًا
مـع الـنّـاس أم يـخـشـى الـزّحـام فـيـسـتـأنـي؟

وبمثل قوله:

إذا قومنا لم يعبدوا الله وحده
بنصحٍ فإنّا منهمُ بُرَآءُ

وبمثل قوله:

قضى الله فينا بالذي هو كائنٌ
فتمّ وضاعت حكمة الحكماء
وهل يأبق الإنسان من مُلْك ربّه
فيخرج من أرض له وسماء؟

د - ولا يرى طه حسين في كتاب أبي العلاء(الفصول والغايات) ما رأى فيه بعض نقّاده من قصده معارضة القرآن الكريم واستجابة التّحدّي بالإتيان بسُوَر أو آيات من مثله (فقد كان أشدّ تواضعًا من أن تبلغ به الكبرياء هذا الحدّ، وكان أعقل من أن يطاول ما لا سبيل إلى مطاولته)، ويرى أنّه نظر إلى القرآن على أنّه مثلٌ أعلى في اللغة فحاول أن يقلّده فلم يفلح، وكانت النّتيجة سَجْعًا كسجع الكهّان.

وأعْجَبُ كيف دافع طه حسين عن المعرّي كثيرًا ممّا اتُّهِم به، ثمّ اتّهمه بإسقاط فرض الحجّ ص٤٤١ لقوله:

أقيمي لا أعُدُّ الحجّ فرضًا
على عُجُزِ النّساء ولا العذارى

مع أنّ المعرّي خصّ النّساء وعلّل حُكْمَه بما نقله طه حسين ص٥٢٧:

ففي بطحاء مكة شرّ قوم
وليسوا بالحماة ولا الغَيارى
وإنّ رجال شيبة سادنيها
إذا راحت لكعبتها الجمارا
قيام يدفعون الوفد شفعًا
إلى البيت الحرام وهم سكارى
إذا أخذوا الزّوائف أولجوهم
ولو كانوا اليهود أو النّصارى

فعلى منهج طه حسين في نقده وبرِّه بالمعرّي كان أحرى به أن يلتمس له العُذْر بعدم أمن الطريق ولا البلد الحرام، وكان أهل مكة في أسوأ حال في الجاهلية ثم في زمن البعثة قبل الفتح، وهذه شهادة المعرّي في القرن الرابع أو الخامس، وقال ابن تيمية في القرن السّابع أو الثامن: (وأما سُكّان الحجاز فأكثرهم أو كثير منهم خارجون عن الشريعة، وفيهم من البدع والضلال والفجور ما لا يعلمه إلا الله)[(١)]. وعندما اعتَمَرْتُ أوّل مرّة قبل ٦٧سنة بدا لي منها أكثر ما بدا لابن تيمية وبعض ما بدا للمعرّي، وقد طهّر الله بيته بدولة

(١) الفتاوى ج٢٨ص٥٣٣.

آل سعود السّلفيّة حفظها الله قدوة صالحة، ولكنّ ذلك لم يمنع العجائز ولا العذارى من الحجّ والعمرة إلا بظلم من ولاة الأشراف للجميع.

وقال شوقي يشكو حال مكة إلى سلطان الخرافة العثمانية:

ضجّ الحجاز وضجّ البيت والحرم
واسْتَصْرَخَتْ ربّها في مكّة الأمم
قد مسّها في حماك الضّرّ فاقْضِ لها
خليفة الله أنت السّيّد الحَكَم
أهين فيها ضيوف الله واضْطُهِدوا
إن أنت لم تنتقم فالله منتقم
أفي الضحى ـ وعيون الجند ناظرة ـ
تسبى النّساء ويؤذى الأهل والحشم
ويسفك الدّم في أرض مقدّسة
وتستباح بها الأعراض والحُرَم؟

وقبله قال مثل هذا وزاد عليه: ك. سنوك هور خرونيه، هداه الله فاعتنق الإسلام وقضى في مكة قريبًا من نصف سنة يدرس أحوال أهلها وكتب عنها كتابًا بعنوان الترجمة: (صفحات من تاريخ مكة المباركة) لا أظنّ أحدا كتب مثله من العرب أو العجم ونشره نادي مكة الثقافي عام ١٤١١ ودارة الملك عبد العزيز رحمهما الله عام ١٤١٩، وظنّ كثيرون ظنّ السّوء فاتّهموه ككلّ مسلم أوروبي بأنّه محتال دُوْن

البحث عن بيّنة كما أمر الله عباده المؤمنين، وتمعّر قلمه لما رأى من وثنيّة المقامات والمزارات والمشاهد والأضرحة ووثنيّتها وأوثانها بما لم أرها تمعّرتْ به أقلام أكثر المسلمين ومنهم المعلِّق على الكتاب غير أنّه ظنّ أنّ الكاتب أخطأ بعزوها إلى الجاهلية فعزاها إلى الفاطميّين، والكاتب أقرب إلى الصواب، فقد كانت بدايتها في قوم نوح كما روى البخاري من تفسير ابن عباس لقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نُـــوح] وسبق الفاطميين إلى هذه الوثنية البويهيّون، ولعلّ هارون الرشيد أول من جدّدها، وقبله عمرو بن لحيّ، ولم يُذْكَرْ من الولاة من أنكرها غير المتوكل ولم يُقِمْ دولته على هدمها غير آل سعود أثابهم الله.

ولم يتمعّر لها قلم حمد الجاسر تجاوز الله عنه فيما نقله عنه المعلِّق من ظنّه استحالة لُبْث النساء ثلاثة أيام عند هذه الأوثان؛ لأنه انصرف عن علوم الشريعة إلى الجغرافيا والتاريخ وبالتالي انصرف عن اليقين إلى الظّنّ عفا الله عنه، ولا عبرة بظنّه فالكاتب ثقة في نقله ما رأى هو، ولم يره بل ظنّه حمد الجاسر، والله أعلم.

هـ ـ ومن مناجاته لله في (الفصول والغايات):

(أدعوك وعملي سيّء ليحسُنْ، وقلبي مظلم لكي ينير، وقد عدلْتُ عن المحجّة إلى بنيّات الطريق، وأنت العدل ومن عدلك أخاف، وإن كان الدّمع يطفئ غضبك فهب لي عينين كأنهما غمامتا

شتى تبلّان الصّباح والمساء، واجعلني في الدّنيا منك وَجِلًا لأفوز في الآخرة بالأمان).

ز ـ وُلِدَ المعرّي في بيت علم، وتولّى القضاء طائفة من أهله منهم أبوه وجدّه وعمّه، وطائفة بعدهم، وقرض عدد منهم الشعرفأجادوا.

واستنبط طه حسين من شعر المعرّي ونثره ثلاث خصال في أخواله تميّزوا بها:

١) كثرة التّرحال.

٢) كرم النّفس وسخاؤها بالمال.

٣) حبّ العلم والنّبوغ فيه.

وظهر أثر ذلك في نبوغ المعرّي، ولكنّه استبدل الذي هو أدنى: الأدب والفكر، بالذي هو خير: العلم الشرعي. ولم يفارق المعرّة إلّا قليلًا، واختار العزلة أكثر حياته ولكنّ النّاس لم يعتزلوه فأتى إلى بيته طلاب العلم من كلّ صَوْب ليأخذوا عنه ما يتعلّق باللّغة العربيّة وآدابها فلم يردّ أحدًا منهم، وربّما أخذ العزلة والتّقشّف (في المنزل والمأكل والملبس) من الفلسفة الهنديّة، ومنها الامتناع عن أكل اللّحوم.

ح ـ أخذ علوم اللغة عن أبيه في المعرّة، وفي حلب عن محمد بن عبد الله بن سعد النّحوي، وأخذ شيئًا من السّنّة عن يحيى

ابن مسعر، ولم يظهر عليه من دراسته الحديث شيئًا ممّا ظهر عليه من دراسته اللّغة فبرز فريدًا في لغته وشعره ونثره وإملائه.

ط ـ وكان غذاؤه العدس والزّيتون والدِّبْس والزّيت، وحلواه: التّين، وثيابه: القطن، وفراشه: لباد للشّتاء وحصير للصّيف، وفيه قوّة نفس.

وكان يحفظ كلّ ما مرّ بسمعه، وسَمَّى نفسه رهين المحبسين للزومه منزله ولكفِّ بصره، ولم تُرْضِه كنيته: أبو العلاء فقال:

دُعِيتُ أبا العلاء وذاك مَيْن
ولكنّ الصّحيح أبا النزول

وكان يملي تصانيفه على طلّابه من صدره.

ي ـ وعاب نفسه، وعاب زمانه وأهل زمانه كأكثر أهل الفكر والجهل، ومن ابتلي بذلك قلّ (أو عُدِمَ) شكره لله تعالى على نعمه التي لا تحصى على عباده وأعظمها نعمة الدّين ثم نعمة العقل. ويظهر من شعره بعد اعتزاله خوفه من حساب الله وجزائه في الآخرة، وخوفه من نقد النّاس شعره ونثره (فيما يتعلّق بتديّنه بخاصّة).

ولعلّ شيخنا البيطار رَحِمَهُ اللَّهُ ترجّح عنده أنّه تاب إلى الله بعد اعتزاله النّاس، ورجا الله له قبول توبته.

ومثله: عبد الله القصيمي تنقّل بين الدّفاع عن الدّين الحقّ ثم

مهاجمته ثمّ تعدّدت الرّوايات عنه أنّه رجع إلى الله قبل موته، تجاوز الله عمّن تاب وأناب إليه.

وبقِيَتْ مؤلفات المعرّي والقصيمي وفيها السّمّ الزّعاف ومن حقّهما على المسلمين أن تمزّق وتحرّق فلا يضلّ بها غير من ضلّ بها من قبل، ولكن الفكر (الهوى) يسعى حثيثًا للمحافظة على الآثار الضّالّة: شعرًا أو نثرًا أو وثنًا. ردّنا الله إلى دينه ردًّا جميلًا.

كتبه

سعد بن عبد الرحمن الحصيّن عفا الله عنه

في ١٥/٧/١٤٣٥هـ

صديق فرنسي لمحمد علي
يصف محاربته للدّين الحقّ

فِلِكْس مَنْجان: مؤرِّخ فرنسي رافق حملة نابليون على مصر، وبقي فيها نحو أربعين سنة، وألّف كتابه: (تاريخ مصر في عهد محمد علي) بين عام ١٨٠١ و١٨٢٣ كريكورية.

وله ميزة على أبرز مؤرّخي الواقعة العلّامة ابن بشر رَحِمَهُ اللَّهُ أن فلكس استمع إلى وجهة نظر المحاربين للدعوة في مصر من قادة جيش الضّلال ومرافقيهم، واستمع إلى وجهة النّظر السّعوديّة من أمرائها وعلمائها الذين نفوا إلى مصر، ومن أبرزهم الشيخ عبد الرحمن بن حسن والإمام فيصل بن تركي آل سعود رحمهم الله جميعًا.

وهذه الحرب التي شبّهها الشيخ د. صالح العبود (رئيس قسم السّنّة في الجامعة الإسلاميّة بالمدينة النّبويّة ثمّ رئيس هذه الجامعة فيما بعد) بالحرب الصّليبيّة وأيّده: د. زكريا بيّومي أستاذ التّاريخ الحديث في جامعة المنصورة بمصر؛ هذه الحرب استمرّت نحو سبع سنين بأمر من سلطان الخرافة العثمانية/ محمود الثاني بن

عبد الحميد الأول، وتنفيذ محمد علي وابنه طوسون ثم مكفوله إبراهيم باشا، وبدأت أوّل عام ١٨١١ وانتهت آخر عام ١٨١٨ كريكورية.

ومن قراءة تاريخ فِلِكْس منجان (ترجمة د. محمد خير البقاعي ونشر دارة الملك عبد العزيز عام ١٤٢٤) يظهر لي أمران:

١) أنّ محمد علي وإبراهيم باشا وطوسون كانوا أقلّ سوءًا من السّلطان المجرم الأثيم، ولولا أنّه أرغم محمد علي على حرب الدّولة والدّعوة السّعودية المباركة لما خَطَرَت بباله ولَمَا رغب في بذل ما بذله من هَمٍّ وجُهْد وعرّض نفسه وأقرب أهله لما تعرّضوا له من مشقّة وعناء، ومات ابنه طوسون فور عودته من جزيرة العرب أثناء محاولته تعويض حرمانه من الملذّات بصحبة بعض جواريه من جورجيا، وظُنَّ أنّ إحداهنّ نقلت إليه مرض الطاعون.

وذكر فلكس مانجان أنّ إبراهيم باشا استقبل الإمام عبد الله ابن سعود في نهاية الحرب استقبالًا تبدو عليه مظاهر الودّ، وأنّه أجلسه عنده وسأله عن سبب استمراره في الحرب رغم رغبة النّاس في الاستسلام، فأجابه: (لقد انتهت الحرب الآن، أمّا ما حدث فقد كان بقضاء الله وقدره، لقد نصرك الله ولم يهزمني جندك، ولكنّ الله كتب عليّ الهزيمة).

ويروي أنّ ابراهيم قال لعبد الله: إذا أردت الاستمرار في الحرب أعطيتك ما تحتاجه من البارود والذخائر، ويروي مثل هذا النّاس في شقراء: أنّ أهل القراين قالوا: لو في (كميت) ماء حَرَبنا الباشه، فقال: أعطيكم الماء واحرب يا قَرْن الشيطان.

ويذكر فلكس أن محمد علي استقبل الإمام عبد الله استقبالًا يليق بمثله، وخصّص منزل إسماعيل باشا مكانًا لإقامته وخلع عليه عباءة التّشريف وكتب لسلطان الخرافة العثمانيّة يطلبه العفو عنه، وسأله عن رأيه في إبراهيم باشا فقال: (أدّى واجبه وفعلنا نحن مثل ذلك، وما أراده الله كان).

ويذكر أنّ محمد علي قرّر للمنفيّين من آل سعود مخصّصات شهريّة تعينهم على الحياة في مصر.

وذكر: أنّ سلطان الخرافة لم يستجب لالتماس محمد علي العفو عن الإمام عبد الله، وكان قراره بلا رحمة، (لقد ذهب عبد الله ضحية الحقد العثماني فطافوا به في المدينة ثلاثة أيّام [على حمار] ثم قطعوا رأسه في ساحة أياصوفيا مع رفيقيه التّعيسين)[١].

وقبل ذلك لقي عبد الرحمن المضايفي أحد قادة الجيش السّعودي المصير نفسه على يد السّفّاح محمود بن عبد الحميد.

---

(١) ص ١٨٤.

٢) أنّ الجيش التّركي لم يكن قادرًا على هزيمة الدّولة والدّعوة كما قال فلكس، فالصّحراء وأهلها البَدْو سدّ منيع أمام الغزاة أمثالهم فرأى لأنّه لابدّ من عزل البَدْو عن الدّولة السّعوديّة بشتى المغريات وأهمّها المال، ثمّ وجد ما يحقّق غايته في شخص فيصل الدّويش شيخ مطير [جدّ فيصل الدّويش الذي خرج بعد ١٢٠سنة على الملك عبد العزيز رحمهم الله جميعًا]، وقد قابل فيصل إبراهيم في طريق الثاني إلى الرّسّ وعقد اجتماعًا طويلًا انتهى: بوعد فيصل بتعيينه حاكمًا على الدّرعيّة، وتبعيّة فيصل للقيادة العامّة لجيش إبراهيم، وتزويده بوسائل النقل والمؤن، وتبعيّة قبيلة مطير للجيش التّركي، وبذل فيصل كلّما في وسعه (ومعه غانم ابن مضيّان) لجعل البدو ينفضّون عن الإمام عبد الله بن سعود[(١)].

وبدلًا من أن يفي إبراهيم بوعده بعد انتهاء الحرب طالب فيصل بدفع ضرائب عن الخمس سنوات الماضية وأرسل معه اثنين من حراسه لاستلامها، ولما وصل فيصل إلى مأمنه طرد حرّاس إبراهيم وقال: قولا له: (إنّ إسهامي في سقوط عبد الله لا يقلّ عن إسهام جيشه ولكنّه قابلني بأسوأ أنواع الجحود، وإذا كان يريد منّي

(١) ص ١٤٠-١٤٣.

شيئًا فعليه أن يأتي لأخذه مني عند قبيلتي)، قال فلكس مانجان: (كان باستطاعة فيصل أن يهزم الأتراك ويخلّص بلاد نجد من أعدائها ولكنّه فضّل الاعتزال في الصّحراء)[١].

وما مثله فيما ذكر فلكس إلّا كمثل غالب بن مساعد شريف مكّة المباركة كان شوكة في جنب الدّولة السّعوديّة وخانها بالانضمام إلى جيش العدوان، ولما انتهوا منه كافؤوه بالنّفي في سالونيكا، ومصادرة أمواله وأملاكه ثمّ شُفِع له عند سلطان الخرافة العثمانية، فردّ عليه ماله، ولكنّه مات في المنفى بضع سنين[٢].

ومن الطرائف ما ذكره فلكس عن حملة طوسون أنّ جيشه هاجم «تربة» بقيادة مصطفى بيك فخرج أهلها بقيادة امرأة من قبيلة البقوم اسمها «غالية» فهاجموا فرقة المدفعية التركية وأجبرتهم على الفرار تاركين وراءهم مدفعيتهم وأمتعتهم وسبعمائة من القتلى، وذكرها الجبرتي ومحمود فهمي.

وهذه نادرة فالمسلمون لا تقودهم النّساء في عهد النّبوّة والصّحبة والاتباع، ولا في العهد السّعودي الذي مشى على نهجهم.

---

(١) ص١٨٨و١٨٩.

(٢) ص٦٨-٧٩.

ولم يبرئ فلكس مَانْجان محمد علي وقادة جيشه من القسوة والفرحة والاحتفال بهزيمة الدّولة والدّعوة السّعوديّة، ولكنّهم بلا شكّ كانوا خيرًا من السّلطان، وحصل منه محمد علي على الثّمن: مُلْك مصر.

وذهب الجميع وبقيت دولة آل سعود ودعوتهم، والحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا.

كتبه

سعد بن عبد الرحمن الحصيّن

في ١٤٣٥/٢/٧هـ بمكة المباركة

ك.سنوك هِرْكرونيه (عبد الغفار) وكتابه الفريد عن مكّة

أ ـ قرأت كتاب: (مكّة) لهذا المستشرق الهولندي بعد عدد سنين من طباعته عام١٤١١ ثم١٤١٩، واختار من تولى صياغة الترجمة والتعليق عليها أثابهما الله تسمية الكتاب: (صفحات من تاريخ مكّة المكرمة) على عادة الغربيّين الإيجاز المفيد وعادة العَرَب الإطناب بما يزيد عن الحاجة، وحَرِصا على إثبات وَصْف الصوفية ومن تبعهم مكَّةَ بالمكرّمة والمدينة بالمنوّرة حيثما ذكرتا في الكتاب، ولم يَصِفْهما الله تعالى ولا نبيّه ﷺ بذلك، وخير وَصْفٍ لمكّة ما وصف الله به بيته المسجد الحرام بقوله: ﴿مُبَارَكًا﴾ [آل عِمرَان: ٩٦]، وخير وصف للمدينة: (النبويّة) نسبة لمن أعلى الله شأنها به مهاجرًا ومقيمًا حتى لقي الله، ولكن الأستاذين أجادا وأفادا وفقهما الله.

وُلِدَ سنوك (عبد الغفار) أول النصف الثاني من القرن الثّالث عشر الهجري، ومات في منتصف العقد الرابع عشر الهجري (تقريبًا)، وبعد أن أنهى دراسته في جامعة ليدن ـ هولندا بدرجة دكتوراه (تقدّم لها وحصل عليها بدراسةٍ عمّا سُمِّي: احتفالات

مكّة)، ورغب في زيارة مكة، أو لعله رغب في الإسلام فأقام سنة في جزيرة العرب، نصفها في جدّة ونصفها في مكة، ثم أُخْرج من مكة دون إبداء السّبب؛ فاخْتُلِفَ في سبب إخراجه، فقيل: إنّه بسبب اتّهامه بمحاولة نقل حَجَر أثريّ إلى ألمانيا عُثِرَ عليه في تيماء، وقُتِلَ بسببه مَنْ حاول نقله إلى فرنسا، وقيل: بل لعلّه كُشِفَ هدف آخر لقدومه إلى مكّة وجدّة، والمرجع: الظّنّ، ولا يغني من الحق شيئا (وبخاصّة بعد مرور ثمانين سنة على وفاته).

وبعد خروجه من مكة لبث مدّة قصيرة في جدّة ثم سافر إلى جاوة، فعمل مستشارًا للدّولة الهولنديّة (١٧) سنة أثناء احتلالها للمنطقة، وتزوج منها وأنجب ٤ من ذريّته، ثم عاد إلى هولندا وانصرف للعمل الأكاديمي البارز نحو (٣٠) سنة حتى مات.

ويجدر بالباحث في سيرته أن يعلم:

١) أنّه قبل إسلامه كان يصف نفسه بأنه لا ديني، فلا أساس لاتّهامه بالتّبشير.

٢) أنّه أعلن إسلامه أمام قاضي جدّة ومندوبَيْ حاكم مكّة العثماني.

٣) أنه حذّر الحكومة الهولندية من إيذاء المسلمين في مستعمراتهم بسبب تدينهم.

٤) أنّه ردّ على كافة المستشرقين سوء فهمهم للإسلام.

٥) أنه لم يسبقه ولم يلحقه أوروبيّ ولا عربيّ ماثَلَه في دقّة وعُمْق محاولته التوثيق للحياة السّياسية والاجتماعيّة والدّينيّة في مكّة المباركة، وزاد عليه (عبد الله فلبي) في مدّة الإقامة وقَصُرَ عنه في التوثيق والتحقيق عن مكّة.

ب ـ ويجدر بالباحث في سيرة (سنوك) أن يعلم:

١) أنّ لقدومه إلى جدّة فمكّة، ثم إقامته في جاوة للعمل الحكومي(١٧) سنة، ثم عودته للعمل الأكاديمي (٣٠) سنة في هولاندا حتى مات؛ أن لكلّ ذلك علاقة بعمله الأكاديمي في جامعة ليدن ـ هولاندا.

٢) أنّ فيما رُوِيَ عنه أنّ القنصل الهولندي في جدّة هو أوّل من دعا بعض طلاب العلم والعلماء لمناقشة (سنوك) عن رأيه في الإسلام وأنهم أعجبوا بما سمعوه منه فقالوا له: أنت أخ لنا وواحد منّا، وتبع ذلك زيارة قاضي جدّة ومندوبي الحاكم، وإعلان (سنوك) الدخول في الإسلام، ثم الانتقال من جدّة إلى مكّة خمسة أشهر ونصف تقريبًا.

٣) لم يدّع أحد ممّن بحث أمره أنّه نقض إعلانه الإسلام (٤٨) سنة حتى مات، ووَجَدَتْ جامعته بين أوراقه شهادة بثباته على الإسلام وأنّها مُزِّقَتْ مُحافظة على سُمْعَتِه وسُمْعَة جامعة ليدن بهولاندا التي وَرِثَتْ منزله.

وفي المقابل تقول رواية أخرى في الوِكِبِيْديا بأنّه كتب لصديقه (c.bezold) في ١٨/٢/١٨٨٦ بأنه تظاهر بالإسلام، وأن خطابه محفوظ بمكتبة جامعة (heidelberg) بألمانيا.

٤) كان يلين للإسلام والمسلمين في الدّين، ويشتدّ في كَبْح جماح ثورة المسلمين في منطقة عمله على المستعمرين الهولنديّين.

ج ـ وإذا ثبت إسلامه بيقين فلا يجوز الحكم عليه بالكفر دون بيّنة بل بالظّنّ والرّوايات المتناقضة، ولا بسياسته الإدارية المخالفة لمصالح المسلمين الوطنيّة لو صحّت الرّوايات عن كلّ ذلك.

وكان د.محمد السرياني ود.معراج مرزا (مِنْ بين مَنْ ذُكِرَتْ أسماؤهم في الحكم على د.سنوك بالاسلام أو الكفر) أقرب إلى الشرع والحق والعدل، وأبْعَدُهم: د.قاسم السّامرّائي الذي لم يُعْرَف بالأهلية لهذا الحكم علمًا ولا عملًا، وأقلّ سوءًا: الأستاذ حمد الجاسر (تجاوز الله عنهم جميعا) الذي انصرف أكثر حياته عن العلم والعمل الشرعي اليقيني إلى البحث التاريخي والجغرافي الظّنّي، وكان جائرًا في حُكْمِه عليه بلا بيّنة.

د ـ وكان د.سنوك (عبد الغفار) خير مستشرق قاده البحث إلى جزيرة العرب (سواء مَنْ أعلن إسلامه مثله أو من رفض ادّعاء الإسلام رغم تهديده بالقتل مثل: دوتي (doughty) في دقّة وعمق بحثه وقرب نتيجة بحثه للحق والعدل، وإليك البيان:

أولًا: اخترت مما ذكره عن الحياة السّياسيّة في مكة ما يلي:

أ ـ قال: (ظهر في شرق جزيرة العرب مصلح [مجدِّد] للإسلام، وسانده أمراء الدّرعيّة ثم آمنت بدعوته كلّ مراكز الجزيرة العربيّة).

(وكان هذا المصلح ينوي أن يعيد الحياة للإسلام الحقّ في كلّ مكان يستطيع الوصول إليه).

(وقدم إلى مكة ٣٠ وهّابيًّا [سلفيًّا] للدّعوة إلى التّوحيد الخالص عام١١٦٣ وقد لقوا معاملة غير لائقة حسب ما يرويه مؤرخو مكة، وكانوا يعيدون الكرّة كلّما تسلّم حاكم جديد السّلطة في مكّة، وعرض عليهم الشّريف سرور السّماح لأهل نجد بالحجّ مقابل دفع أموال طائلة أكثر مما يدفعه الآخرون فرفضوا، ثمّ كرّروا طلب السماح لهم بأداء فريضة الحجّ كلما تسلّم الحكم في مكّة شريف جديد غير أنّ النتيجة دائمًا تكون بالرّفض، وفي عهد الشّريف غالب تعدى الأمر رفض طلبهم إلى قتالهم)، (لقد استطاع محمد بن عبد الوهاب ـ بجدارة تامّة ـ أن يبرز الإسلام بالصّورة الصّافية النّقيّة كما جاء به الرّسول ﷺ، وهذه الصّورة لم تكن واضحة لكثير من علماء عصره لتركهم منابع الإسلام الأولى وهي القرآن والأحاديث النّبويّة واعتمادهم على اجتهادات المتأخّرين المبنيّة على التّطوّرات المستمرّة لمختلف المذاهب عبر القرون مما

حال بين المسلم ومنابع التشريع الأولى؛ فأصبح المسلمون يهتمّون بالفنون التّرتيليّة للقرآن والحديث دون البحث عن المعاني المستفادة منهما)، (وكانت نَجْد مناسِبَةً للدّعوة التي قام بها لأنّها وحدها لم تتغيّر في لغتها وعاداتها كثيرا عمّا كانت عليه في الأصل عند ظهور الإسلام)، (وقد حرّم ابن عبد الوهّاب وسائل التّرف الحادثة مثل الموسيقى ولبس الحرير واستعمال الذّهب والفضّة والحُلِيّ للرّجال وغيرها من العادات السّيّئة المنتشرة في بلاد المسلمين).

ب ـ (وأهم ما أثار الغيرة الدّينيّة لدى محمد بن عبد الوهاب: الخطر الذي تسلّل إلى عقيدة التّوحيد عن طريق تقديس الأولياء فكان [الدّعاء] والاستعانة والاستغاثة بالأولياء [الأموات أو الغائبين] عند الأكثرين الجسر الذي يعبرون منه إلى الشرك وعبادة أكثر من إله، وكان تساهل العلماء في إنكار ذلك من أهمّ أسباب زيادة هذه المنكرات وانتشارها).

(إنّ رسل الله وأولياءه لا يستطيعون بعد موتهم أن ينفعوا أو يضرّوا أحدًا، فالأمر لله وحده، وتقديس المقامات والأضرحة هي من عمل الشيطان وكانت المدينة تدنّس بتقديس قبر النبيّ ﷺ وقبور أصحابه الكرام، وتنقية الاسلام تستلزم القضاء على مثل هذه العادات الشّركيّة... لقد التزم محمد بن عبد الوهّاب بالإصلاح وجعله هدف دعوته وكان رائده الإخلاص في القول والعمل،

وسخّر لذلك لسانه وقلمه، وجعل مدرسة الإمام أحمد بن حنبل أساسًا لدعوته المدعومة بسيوف آل سعود).

ج - (وكان تقدير أهل مكّة والمدينة لنجاح هذه الدّعوة السّلفيّة أقلّ من غيرهم لأن ما تطالب هذه الدّعوة بإلغائه كان من متطلّبات الحياة في المدينتين المقدّستين مكّة والمدينة، فالقبور والأضرحة والمزارات كانت تجلب المال والجاه للأدلاء والسّدنة... وكان وجود قوّة أخرى في جزيرة العرب تعمل على وحدة أجزائها كافيا لإثارة التّنافس بينها وبين حكّام مكّة فكيف إذا اقترن وجود القوة المنافسة بحركة إصلاح دينيّة لا تقبل أيّ تحديدٍ لمجال نفوذها).

(بدأ الشريف غالب بتثبيت سيادته بالقضاء على إخوانه وغيرهم من الأشراف المعارضين له، ثم قضى ١٦عامًا في محاربة خصومه الجّدد [الدّولة السعوديّة] وبلغ عدد غزواته ٥٦، غير أنّ الهجوم المضادّ كان عنيفًا لا يكلّ، يقوّيه المبدأ الدّينيّ الذي يؤمن به خصومه [السّعوديّون]).

ولم يكن البدو في المناطق المتنازع عليها [تربة والخرمة وبيشة ونحوها] ملومين لاستجابتهم للدّعوة السّلفيّة، فلم يُقَدِّم لهم حكّام مكّة غير الحملات التّأديبيّة عقابًا لأدنى مخالفة على عكس ما جلبته لهم الحركة الإصلاحية من طمأنينة وأمن في ظلّ دولة

قويّة، ومن احترام وتقدير لهم، ومن تعليمهم وإرشادهم بل تجديد إسلامهم بعد جهالة شديدة أشبهت العودة إلى الكفر والضلالة).

(لم يجد الشريف غالب بدًّا من عقد اتّفاق مع أمير الدّرعيّة بعدم تدخّله في شؤون القبائل المحيطة بمكة في مقابل السّماح له ولأتباعه بأداء الحجّ بما يشبه هدنة الحديبية بين الرسول ﷺ وقريش).

(ولكن القبائل المحيطة بمكّة تبنّت الدّعوة السّلفيّة ونشطت في الدّعوة إليها، فاحتلّ بعضهم ميناء حلي ـ وكان هو الحدّ الجنوبي لإمارة مكّة ـ فطردهم غالب منه، وعاقب أهل حلي بلا رحمة، فبِيْعَ أولادهم عبيدًا لأهل مكّة، وكأنّ آباءهم كانوا كفّارًا)، (ثمّ بدا وكأنّ الجنوب بأسره دان بالولاء لآل سعود، وعندما كاتب الشريف غالب أمير الدّرعيّة تبرّأ هذا من التّصرفات المنفصلة لبعض زعماء القبائل، ولكنّه رفض التّخلّي عن دعوة الجميع إلى التّوحيد).

(فأرسل الشّريف غالب وفدًا إلى الدّرعيّة لتجديد الاتفاق وفيهم صهره عثمان المضايفي فانحاز الأخير إلى أمراء الدّرعيّة وكان من أهمّ الأسباب: ميله للدّعوة السّلفيّة، وفي طريق العودة انفصل عثمان برجاله عن الوفد واحتلّوا العبيلاء ونشطوا للقضاء على قوة غالب، فهاجم الطائف مع أمير بيشة وأخفقت محاولة غالب استعادة الطائف وصار عثمان أميرًا لها وأرسل إلى الدّرعيّة

بخبر الفتح فتقدّم الأمير سعود بن عبد العزيز بن محمد حتى وصل على بعد ٣أيام من مكّة، فانسحب غالب إلى جدّة وقاد عبد المعين أخو غالب المباحثات لتسليم مكة).

قلت: وسيتكرّر هذا الفضل من الله بعد ١٢٧سنة بانضمام الشريف خالد بن لؤيّ رَحِمَهُ اللَّهُ إلى جيش الملك عبد العزيز آل سعود رَحِمَهُ اللَّهُ ومشاركة خالد في فتح مكة للدّعوة السّلفيّة، واتّهام محمد نصيف رَحِمَهُ اللَّهُ بذلك ونفيه للعقبة.

د ـ (في أول ١٢١٨ بايع الشريف عبد المعين وعلماء مكة الأمير سعود بن عبد العزيز، وكان لسيفه الفضل في العودة إلى منابع الدّين الأصيل، فحُطِّمَتْ وأزيلتْ كل القباب المبنيّة على المزارات والقبور، وأحْرقتْ غلايين التّبغ وآلات الموسيقى، ومنعت البدع القوليّة والعمليّة في الدّعاء والصلاة، وكان على سكّان مكّة أن يصحّحوا كثيرًا من أمور دينهم ويتعلموا من أعدائهم).

(ظنّ الأمير سعود بأنّ نواة التوحيد التي غرسها في مكّة ستؤتي ثمارها دون إجبار خارجي، ثم تبيّن له خطأ ظنّه فبعد شهرين عاد غالب إلى مكّة واستأنف منها قتال صهره المضايفي وأمير بيشة، ثم استعاد ميناء الليث ولكن اضطراب الأمن قطع واردات مكّة، وعددٌ كبير من العبادلة وآل بركات والمناعمة تركوا غالبًا وانضمّوا إلى عسكر عدوّه).

هـ ـ (في شوّال ١٢٢٠هـ أمر الأمير سعود بمحاصرة مكّة بعد أن نقض أهلها العهد كما فعل رسول الله ﷺ عندما نقضت قريش عهدها الذي أبرمته في الحديبية، وفي ذي الحجّة ١٢٢٠هـ طلب الشريف غالب التفاوض مع القوّة المحاصرة وكان عليه هذه المرّة أن يذعن لسيادة المنهج السّلفيّ وسيادة الدّولة السّلفيّة السّعوديّة التي عاملت أهل مكّة باللين كما فعل الرسول الكريم).

و ـ (عدّ السّلطان العثماني ظهور الدّعوة ومَنْع المحمل تحدّيا لسلطته فانتدب نائبه في مصر محمد علي باشا للقضاء على الدّولة السّلفيّة ففرغ محمد علي للتّنفيذ بعد قضائه على المماليك، وبدأت الحملة الأولى بقيادة طوسون بن محمد علي في رمضان ١٢٢٦ فأخفقت، ثم نجحت الحملة الثانية بقيادته عام١٢٢٧ في احتلال مكّة، وجاء محمد علي إلى مكّة عام ١٢٢٨ فاستقبله الشريف غالب بحفاوة وأعان طوسون على فتح الطائف وأسْر عثمان المضايفي حيث قتل في استانبول رَحِمَهُ اللَّهُ، [وجاءت العقوبة عاجلة] فقبض طوسون على غالب ونفاه إلى سالونيك حتى مات)، [وصودرت كلّ ممتلكاته ثم أعيد إليه ما أعانه على الحياة في المنفى بضع سنين، وفي العهد السعودي صارت أوقافه من أغنى المؤسّسات في المملكة المباركة ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ﴾ [فُصّلَت: ٣٤].

(وكان المذهب الحنبلي السّلفي منتشرًا في وسط جزيرة

العرب، أمّا في مكّة فأتباعه قليلون، وأمّا في المدينة فكان الرّأي العامّ متعصّبًا ضدّ الحركة الإصلاحيّة). ص٢٥٣ ـ ٢٧٥ [وانتهت الحرب بتدمير الدّرعيّة وقتْل أو نفي علمائها وأمرائها، ولكنّ دولة آل سعود ودعوتهم أعادها الله بعد قرن لتهدم أوثان المقامات والمزارات والأضرحة والزّوايا الصّوفيّة وغيرها من المبتدعات في مكّة والمدينة وما حولهما وتحكم شرع الله في كلّ قضايا الاعتقاد والعبادات وجل قضايا المعاملات والحمد لله أولًا وآخرًا]).

ثانيًا: الحياة الاجتماعية في مكة:

الجزء الثاني من مؤلف د.سنوك مخصّص للحياة الاجتماعية في مكّة ويهمّنا منه ما له علاقة بالدّين وجودًا أو عدمًا؛ يقول ج٢ ص٣٥٨ ـ ٥٦٦:

أ ـ (في ١٢ صفر تبدأ الاحتفالات في مكّة بذكرى ميمونة زوجة الرّسول الكريم، ولأنّه لا يُعْرف سبب لربطها بـ١٢ صفر فيمكن عَزْوها إلى أصول جاهلية).

قلت: لم يوافق المعلّق على عزوها إلى أصول جاهليّة، وعزاها إلى العهد الفاطمي، وحتى (لا يُحْرم الضيف ولا تفنى الغنم) رأيت التّوكيد على أنّ وثنيّة المقامات والمزارات والمشاهد ظهرت أوّلًا في قوم نوح ﷺ لما رواه البخاري في صحيحه من تفسير ابن عباس رضي الله عنهما جميعًا قول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ

﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نُوح: ٢٣]، قال ابن عباس: صارت أوثان قوم نوح في العرب: وُدٌّ لكلب، وسواع لهذيل، ويغوث لمراد ثم لبني غطيف، ويعوق لهمذان، ونسر لحمير لآل ذي الكلاع؛ أسماء رجال صالحين فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انْصِبوا إلى مجالسهم أنصابًا وسمُّوها بأسمائهم ففعلوا ثم عُبِدَت، أنظر نصّ الأثر برقم**٤٩٢٠** إن شئت، وعلى هذا فالأصحّ عزو الشّرك الجديد إلى القديم، ونشر الفاطميّون هذه الوثنيّة في المغرب ومصر والشّام ولكن شاركهم البويهيّون وقيل: سبقهم هارون الرّشيد ببناء وثن في النّجف باسم عليّ رضي الله عنه ولا يُعْرف من أنكر ذلك من الولاة بعده غير المتوكل رحمه الله[(١)]، ولا يُعْرَف دولة قامت لإزالته غير السّعوديّة منذ العبّاسيّين لا الأيّوبيين ولا العثمانيين ولا من بينهما بل شارك كل منهم في حماية الوثنيّة حتى بعث الله دولة آل سعود لتجديد دينه.

وقيل: لَحِق الفاطميّين في هذه الموبقة صلاحُ الدّين الأيّوبي فبنى ما صار وثنًا على قبر باسم الشافعي رحمه الله[(٢)].

فسنوك على حقّ في عزْوِ الوثنيّة الجديدة للوثنية القديمة، والمعلّق على حقّ في الإشارة إلى سبب انتشارها حديثًا.

---

(١) انظر إن شئت مجموع ابن قاسم لفتاوى ابن تيمية جزء ٢٧ ص٤٤٦-٤٤٧.

(٢) انظر تاريخ الخلفاء للسّيوطي ص٣٨٥ط. العصريّة.

قال سنوك: (وفي١٤ صفر يُحْتَفَل بذكرى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما).

(وفي مكّة يتشاءم كثير من النّاس من يوم الأربعاء الأخير من شهر صفر).

ب ـ (وفي١٢ ربيع الأول قُبِض الرّسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ولكن هذا التاريخ صار يُحْتَفَل به على أنّه ميلاد الرّسول الكريم فتُطلق المدافع ظهر اليوم الحادي عشر إعلانا لهذه المناسبة، ومع صلاة المغرب ليلة١٢ يَفِد أهل مكّة إلى المسجد الحرام، وتأتي النّساء بملابس العيد والحليّ والزّينة ومعهنّ كلّ أطفالهنّ بملابسهم الملوّنة المطرّزة بالذّهب والفضّة).

(وبعد انتهاء صلاة المغرب يضاء الحرم بمصابيح الزّيت أكثر من سائر الأيّام ويبقى المصلّون نصف ساعة يهنئ بعضهم بعضا، وقريبًا من باب دريبة يجلس إمام الحرم على منصة خشبية ظهره إلى الكعبة ووجهه إلى الناس فيتلو عليهم قصّة المولد، وفي الصّدر يجلس شريف مكّة والوالي التّركي، ويطلق النّاس على يومي١٢ ربيع الأول و٢٧ رجب اسم الأعياد تشبيهًا لهما بعيدي الفطر والأضحى، وبعد الاستماع إلى قصّة المولد يمشي رجال الحكومة ومعهم خدم الحرم بالمصابيح يقدمهم كبير المؤذّنين وفلكي المسجد ينشد المدائح النبويّة، ويدخل الحشد المولد فيقرؤون سيرة الرّسول الكريم).

(ويقوم المتصوّفة بترديد قصائد البردة والهمزية وغيرها من المدائح).

(وفي منتصف جمادى٢ تبدأ الاحتفالات بالذّكرى السّنويّة للشيخ محمود بن إبراهيم الأدهم، وهي مخصّصة للنّساء وتستمرّ ثلاثة أيّام، ويستفيد البدو والقاطنون في منطقتها من تأجير بيوتهم لزائرات الضّريح، بيت لكلّ ١٢ امرأة تقوم صاحبة البيت بالضّيافة أول يوم مقابل بعض الهدايا، وتتولى الزّائرات الضّيافة بعد ذلك).

ج ـ قلت: ظنّ الأستاذ حمد الجاسر تجاوز الله عنه أنّ هذا لا يُعْقل، وكلّ الشرك لا يحكمه العقل، ولكنّ النّاس منذ قوم نوح إلى اليوم ـ ومنهم أكثر المنتمين للإسلام والسّنّة ـ أشركوا بدعاء المخلوق الميّت أو الغائب مع الخالق الحيّ الذي لا يموت، وأرسل الله كلّ رسله في كلّ زمان ومكان وحال بأن لا يُدعى إلّا الله وحده، وظنّ الأستاذ حمد الذي انصرف عن يقين الوحي الشّرعي إلى ظنّ التاريخ والجغرافيا لا يُطاوِل شهادة الأستاذ د.سنوك، ولو أولى الأستاذ حمد الجاسر هذا الأمر شيئًا من اهتماماته الصحفية والتاريخية والجغرافية لوجد أن من أحفاد أولئك من يحاول إحياء الوثنية اليوم باسم إحياء التراث الدّيني لولا حماية الله دينه بالدولة السّعوديّة السّلفيّة.

لنعد إلى رواية سنوك لما شهده وحقّقه بطريقة لم يُسْبَق ولم يُلحق بمثلها:

(في ١٧ من جمادى الآخرة يُحْتَفل بذكرى الشيخ المهدلي قريبًا من مدخل مِنَى، فيؤكل الطعام ويقوم المستفيدون منه بتلاوة القصائد ويقيم أهل مكة احتفالهم لمدة يومين أو ثلاثة).

د ـ قال د.سنوك: (ويحتفل بالولي الهندي جوهر عند ضريحه بجبل هندى، وقريبا من باب العمرة يوجد ضريح المجنون أو المجذوب ويدعى: المحجوب، وهناك العديد من القباب لا يُعرف أسماء أصحابها ولكنّ النّاس لا يَحْرمون هؤلاء الموتى من ثواب الفاتحة).

هـ ـ وكان تعليق الأستاذين د.السّرياني ود.مرزا مطابقا للشرع واليقين ص٣٦٩ و٣٧٣ و٣٧٨ و٣٨٠ مثلًا، وخيرًا من ظنّ الأستاذ الجاسر؛ إذْ نبّها القارئ أنّ الميّت لا يجلب نفعًا ولا يدفع ضرًّا، وحذّرا من البدع، وبيّنا بأنّ وجود المزارات والأضرحة والخرافات سببه الجهل المطبق، وأثنيا على الدّولة السّعوديّة التي قضت عليه.

و ـ قال د.سنوك: (وفي١١ من كل شهر يتجمّع العديد من النّاس على ضريح خديجة زوج الرسول الكريم، أمّا الثاني عشر فهو مخصّص لآمنة أم الرسول. وفي اليوم الثاني عشر من رجب يجتمع المتصوّفة السّنوسيّة في زاويتهم في سفح جبل أبي قبيس للاحتفال بالذّكرى السّنويّة لوفاة مؤسّس الطّريقة، وعلى طول الطّريق بين مكة والمدينة يوجد عديد من الزّوايا لمريدي هذه الطريقة).

(والسّابع والعشرون من رجب يحتفلون فيه بأداء العمرة الرّجبية وبالإسراء والمعراج ويُعْلن عنه بطلقات المدافع بعد ظهر يوم ٢٦ من رجب، وعلى الطريق بين مكة وجدّة توجد شجرة يقدّسها الناس في المنطقة وتوضع عليها الخِرَق الملوّنة، ومعلوم أنّ عبادة الأشجار وتقديسها عادة جاهليّة قديمة في جزيرة العرب، وعلى الرّغم من أن الرسول الكريم لعن اليهود والنصارى لاتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد؛ فإن [تقديس] الأضرحة والقبور انتشرت كثيرا بين المسلمين، بل إنّ قبره صار هدفًا لهذا النّوع من البدع).

(وباستثناء البقاع التي تقع تحت تأثير دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السّلفيّة فإن البدع والضلالات قد شوَّهت مفهوم العبادة بتقديس وعبادة [دعاء] الأولياء أصحاب القبور).

(وفي١٥ شعبان، ـ وبالرغم من الاعتقاد بأن أعمال الناس مكتوبة في اللوح المحفوظ منذ الأزل ـ يصوم الناس هذا اليوم ويقومون ليلته ليمحو الله خطاياهم).

(وفي المسجد الحرام يصلي كلّ واحد الفريضة خلف إمام مذهبه مع أنّ الإسلام لا يلزمه بذلك).

ثالثًا: التعليم في المسجد الحرام:

أ ـ قال د.سنوك: (عبد الغفار): (حلقات الدّروس في المسجد الحرام مفتوحة لجميع المصلّين [الذّكور] كبارًا وصغارًا

شيبًا وشبانًا دارسين ومتفرِّجين ومتبرّكين وطرق التّدريس المتّبعة ثلاثة:

١) قراءة أحد الكتب مع أحد شروحه، فيقتصر همّ المدرّس وجهده على ضبط التلاميذ قراءة النّصّ مع بيان معاني الكلمات الصّعبة، وأكثر المدرّسين يختارها.

٢) قراءة نصّ الكتاب وإيراد مختلف أراء العلماء فيه بعد جمعها من مراجعها المختلفة. وممن يختار هذه الطريقة: الشيخ عبد الله الزواوي لتدريس كتاب الإقناع للشربيني.

٣) جَمْع المدرس الشروح المختلفة للكتاب واستخراج مصنَّف منها ومنه، ويختار هذه الطريقة أقلّ المدرّسين ومنهم الشيخ بكري شطا في مصنّفه: إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين للمليباري في ٤مجلدات. ومع أن ما أضافه للكتاب الأصلي لا يتجاوز ١/ ١٠٠٠ فقد نال شهرة واسعة).

ب ـ (تنتهي دروس الصباح قبل صلاة الظهر وتتوقف الدروس غير دروس قليلة لأحوال خاصّة، وبعد الظّهر تُدرَّس العلوم المساعدة على فَهْم العلوم الدّينيّة مثل النّحو والصّرف والعروض للمبتدئين بخاصّة. وفي العقيدة يدرس الجميع عقيدة الأشاعرة، وكثير من العلماء يعلنون أنهم أشاعرة في العقيدة، شافعية في المذهب الفقهي، قادرية في الطريقة الصّوفية، ويدرس

الطالب في علم العقيدة: البعث والحساب والحياة في البرزخ وظهور الدّجّال والمهدي والمسيح وغير ذلك مما أورده الغزالي في: الدّرة النفيسة، وتستأنف الدّروس بعد العصر ومعظمها للعبادات وتفسير القرآن.

(وفي الوقت بين صلاتي المغرب والعشاء متّسع لدرس واحد يحضره التّلاميذ على قناديل يحضرونها معهم وأمام المدرّس قنديل كبير لأن الإضاءة غير كافية).

(وتتوقف الدّروس بعد ذلك إلا من بعض دروس في العقيدة والعلوم المساعدة يتولاها طلاب العلم ممن يَدْرسون في الصباح).

(وتُلْقى دروس في أيام الجمعة والثلاثاء عن التصوّف لكبار طلاب العلم من كتاب إحياء علوم الدّين للغزالي، وعلم التّصوّف ظهر بتأثيرات نصرانيّة وفارسية وهنديّة، ورأى معتنقوه أن العلوم الشرعية الأخرى ما هي إلا مقدّمات أوّليّة للوصول إلى محبّة الخالق، ومن هنا دخل التّصوّف المعارف الدّينيّة واحتلّ أحيانًا مركز الصّدارة. وبالإضافة إلى الغزالي وُجِدَ متصوّفة آخرون فضّلوا العمل في الظّلام واجتهدوا كثيرا في إدخال كثير من الأفكار الباطنيّة من هؤلاء: ابن عربي والشعراني، ولكن الإحياء للغزالي هو الأشهر).

(ونظرة سريعة تُبَيِّن الأهمية القصوى للطرق الصّوفيّة في مكّة، فإلى جانب الزاوية السّنوسيّة في سفح أبي قبيس توجد زاوية

الطريقة النقشبندية تقدّم الطعام والكساء للمريدين المعوزين، وهناك أماكن أخرى للطريقة القادرية والشاذليّة وغيرها).

(إن حلقات الذكر والاحتفالات الأسبوعية والشهريّة وتوزيع النّقود يتمّ في بيت الشيخ، أما اللقاءات اليوميّة لأفراد الطريقة فتعقد في المسجد الحرام).

(إنّ الطّرق الصّوفية غالبًا تصرف طلاب العلم إلى أبعد حدٍّ عن العلم).

ج ـ قلت: أجاد وأفاد المعلقان أثابهما الله في التحذير من خطر التّصوّف وفساده ص٥٢٨ و٥٣٤ و٥٣٦.

رابعًا: من الخرافات في مكّة:

(أنّ هناك جبل مقدّس يزوره معظم الحجّاج هو جبل أبي قبيس ترجع قدسيته إلى أيام الجاهليّة، وفيه مسجد صغير يشبه لون الصّخر فيه الحجر الأسود فتقول الأسطورة أن الحجر الأسود اقتلع منه أو أن الحجر الأسود حُفِظ فيه حين الفيضان، ويطلب من الحاج تقبيله والصلاة فيه، وفي زاوية أخرى في هذا المسجد يقولون: وَقَفَ إبراهيم الخليل بعد انتهائه من بناء الكعبة ليؤذّن في الناس بالحجّ، وفي بقعة مغطّاة بالرّمل الأبيض يقف الحجّاج للدّعاء ثم يصرخون بأسماء أعزّ النّاس عليهم في بلادهم ليتمكّنوا من الحجّ في المستقبل، وفي أعلى الجبل حفرة لحفظ الماء يزورها

النّاس ظنًّا منهم أنها قبر آدم، ثمّ قيل لهم: أنّها المكان الذي استقرّت عليه سفينة نوح، ثم صارت مكانًا لخرافة أنّ من أكل عندها رأس خروف مشويّ فلن يصيبه الصّداع طول حياته).

(ويروون عن جبل النّور أنّه حذّر الرسولَ من عدوّه القريب منه).

(وفي هذا الجبل ـ مقابل بعض المال ـ تُجْرى عملية لتطهير القلب تذكارا لما ورد في السّيرة من شقّ صدر النبي؛ فيوضع قليل من التمر على صدر الحاج وفوقه رغيف ثمّ يُقْطع الرّغيف نصفين مع التّمتمة بسم الله الرحمن الرحيم).

قلت: وفي هذا الكتاب تفاصيل دقيقة عن الحياة السّياسية والاجتماعيّة في مكّة لا يهمّني ذكرها، وللرّاغب في معرفتها البحث عنها.

والحمد لله الذي أزال السّيّئات عن بلده الحرام وما حوله بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتلاميذه وبسيوف آل سعود ونسلهم أسكنهم الله الفردوس من الجنّة جميعًا، وأوزعنا شكر نعمته، وختم لنا بالصالحات من الأعمال وبمغفرته ورحمته وإحسانه.

كتبه

سعد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين،

تعاونًا على البر والتقوى وتحذيرًا من الإثم والعدوان

مكّة المباركة ـ ١٤٣٦/٢/٦هـ

مراد هُفْمَنْ

أجدر ألاّ يعلم حدود ما أنزل الله

أ ـ كتبت قبل بضع عشرة سنة (بتاريخ ١٩/ ١٠/ ١٤٢١) إلى مكتبة العبيكان مُنْكِرًا دعواها أنّ كتاب هفمن (رحلة إلى مكّة): (يحمل إلى النّاس حقيقة الإيمان ونور الإسلام)، وأوردت أمثلة لضلاله عن حقيقة الإيمان والإسلام منها:

١) أنّه ظنّ (عذره الله بجهله) أنّ الفلسفة والفنّ والتّصوّف طرق صالحة للوصول إلى الإسلام أو المحافظة عليه، وأنّ المسلم المتّبع للفقه في الدّين من أهله يعيش في شبكة من الرّموز، وأنّ المسْبَحَة من الدّين[(١)].

٢) ظنّ زكاة الفطر: هديّة مثل هدايا عيد الميلاد تخرج ليلة ٢٧رمضان، وأنّ ما يسمّى بالموشحات من شعائر الدّين، وأنّ الصّوم تميّز عن غيره من الفرائض بأنّه فُرِض للنّاس ولم يُفْرض لله (مخالفًا ما رواه النبيّ ﷺ عن ربّه وفيه: «**إلا الصّوم فإنّه لي وأنا**

(١) ص٣٩، ٤٨، ٤٩، ٦٥، ٦٦.

أجزي به» رواه مسلم)، وأنّ اختلاف بداية الصّوم ونهايته في بلاد المسلمين (مُخْزٍ ومَشِيْن) وأنّه مجرّد اتّباع لتقاليد وأعراف قديمة، وظنّ أنّ وقت الحجّ وعيد الأضحى يُحدّد بالحساب الفلكي جاهلًا أنّ الاعتماد على رؤية الهلال في الصّوم والحجّ هو الشّرع والواقع، وجاهلًا باختلاف المطالع، وغافلًا عن الفَرْق بين إعلان وقت الصّوم في كلّ بلدٍ حسب اجتهاد ولاة أمره، وإعلان وقت الحجّ في بلد واحد يُحْكَمُ بشرع الله[(١)].

٣) خلط بين آداب الطّعام الشرعيّة وبين العادات والتّقاليد في مختلف بلاد المسلمين[(٢)].

٤) أفتى بأخذ وبذل الفوائد الرّبويّة على المال المدّخر بالتّراضي بين الطّرفين وخالف ما سمّاه: المناقشة بالمفهوم الأصولي للرّبا[(٣)].

٥) ظنّ أنّ ذَبْح شاة عند الانتقال إلى مسكنٍ جديد ووضع نقطة من دمها على الجبين أمر مشروع مثل الهدي والأضحية والعقيقة[(٤)]، جهلًا منه بالفرق بين العبادة والعادة المبتدعة بل

---

(١) ص٢٧و٨٥-٨٧.

(٢) ص٩٢-١٠١.

(٣) ص١٢٢-١٢٣.

(٤) ص١٢٦.

الشرك كما يفعل بعض الجاهلين من الذّبح على مدخل البيت عند البناء وتلطيخه بالدّم ثلاثة أيّام.

٦) أخطأ في فهم الآية (١٢٩) من سورة النّساء فأورها دليلًا على شرط العدل في الزّواج بأكثر من واحدة، وأخطأ في تفسير الآية (٣٤) من سورة النساء بالفكر المخالف لمفسّري القرون الخيّرة وهم القدوة.

٧) ظنّ أنّ وصول امرأة مسلمة لرئاسة الحكومة مفخرة للإسلام، وغفل عن قول الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وغفل عن اختيار النّبي ﷺ للمسلمة الصّلاة في بيتها وفي خدرها على الصّلاة معه في مسجده، وغفل عن عدم تولية المرأة شأنًا من شئون المسلمين في القرون الخيّرة.

٨) خالف شرع الله في الحجاب بحجّة (أنّ الإسلام أغنى وأعمق من مجرّد غطاء رأس المرأة)، ورأى عدم الفصل بين الجنسين[(١)].

٩) ظنّ أنّ الفرق الوحيد بين المسلمين والنّصارى: ماهيّة المسيح ﷺ، فإذا زال هذا الفارق زالت العوائق الفقهيّة بينهم). وجهل أنّ شرع الله لخاتم أنبيائه نَسَخَ أكثر الأحكام في شرع من قبله ما عدا الاعتقاد فلم يتغيّر أبدًا منذ شَرْع الله تعالى لنوح ﷺ:

(١) ص١٤٢و١٤٥.

﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، فكان شرّ مخالفةٍ لشرع الله قبل افتراء أكثر النّصارى بُنُوَّةَ ثم ألوهيّة المسيح وبعدها: وثنيّة المقامات والمزارات والمشاهد والأضرحة (عند أكثر المنتمين للدّين الحقّ) ودعاء من سُمِّيَتْ باسمه تقرّبًا واستشفاعًا بهم إلى الله، ولم أَرَ لِهُفْمَنْ (ولا لمحمد أسد ولا لجارودي) اهتمامًا بهذا الأمر الأعظم.

١٠) أراد للمسلمين في ألمانيا اجتذاب بقيّة الألمان للإسلام باتّخاذ (موقف إيجابي موحّد جديد من حقوق المرأة والدّستور والفوائد البنكيّة (توافق رأيه وتخالف فقهاء الأمّة المعتدّ بهم)[(١)].

ب ـ وأفادني أخي العزيز د. عبد الرّحمن الشبيلي جزاه الله خير الجزاء بنسخة من مقال له في جريدة الشرق الأوسط (العدد/ ١٢٦٦٠) يوم أمس عن مراد هفمن يرسم صورة أخرى مختلفة ولكنّها غير موثّقة يقارن فيها بينه وبين محمد أسد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويشير فيها إلى مناقشة حضرها بين أخي صالح رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبين هفمن عن مقاصد الشّريعة من تحريم الرّبا.

وقد يتّفقان على المقاصد أو يختلفان فيما يغلب على الظّنّ، والأهمّ هو اليقين بتحريم الله الرّبا، ولابدّ أن يختلفا؛ فأخي صالح رَحِمَهُ ٱللَّهُ خالف أستاذه السّنهوري والدّواليبي ومن وافقهما من

(١) ص١٩٨.

أهل الفكر في تحليلهم أخذ الفوائد الرّبويّة، وبالغ رَحِمَهُ اللَّهُ في ذلك، ومثله مخالفته هفمن وأمثاله في خروج المرأة للعمل لغير ضرورة وإهمالها رعيّتها: البيت والعائلة، إلى درجة أنّي اكتفيت بجهاده في هذا السّبيل وركّزت على التّذكير بإفراد الله بالعبادة (الدّعاء بخاصّة) ومحاربة الشّرك بالله في عبادته (الدّعاء بخاصّة) الذي لا يغني في الجهاد به أحد عن أحد. ولم أكتب في التّحذير من التّحايل على الرّبا غير مرّة تأييدًا للدّكتور/ حمزة بن محمد السّالم ومخالفةً للشّيخ عبد الله بن منيع نيابةً عن أخي صالح رَحِمَهُ اللَّهُ لأنّه لم يذكر اسم زميله ابن منيع رغم مخالفته الشّديدة له.

ولم أكتب عن محاولة العابثين إخراج المرأة من بيتها وتخلّيها عن رعيّتها غير مرّتين أو ثلاث بطلب من سموّ الأمير ممدوح ومعالي الأستاذ عبد العزيز السّالم.

ومراد هفمن دون محمد أسد بدرجات وإن جنى الفكر عليهما فأبعدهما عن طريق الوحي والفقه فيه من أهله أعلام الهدى في القرون الخيّرة. ولم أجد في (الطّريق إلى مكّة) لمحمد أسد ما يمنعني من ترجمته رغم أنّ غازي القصيبي رَحِمَهُ اللَّهُ حذّرني من ميله إلى فكر المعتزلة، وربّما ظهر له ميله إلى الاعتزال في تفسيره أو ترجمته القرآن.

أمّا أخطاء مراد هفمن فهي كثيرة وبالغة لا يجوز معها ولا مع

بعضها تقديمها للمسلمين لمجرّد القراءة أو التّسلية فكيف (بدعوة المسلمين إلى قراءتها لعلّهم يتوصّلون إلى ما توصّل إليه الغرباء).

لا يُدْعى للدّين الحقّ بالفكر ولو سُمِّي إسلاميًّا، وإنّما يُدْعى إليه بالوحي من الكتاب والسّنّة بفَهْم السّلف في القرون الخيّرة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يُوسُف: ١٠٨] وقال تعالى ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النّحل: ١٢٥]، والبصيرة هي العلم الشرعي والفقه في الدّين من أهله، والحكمة هي السّنّة، فهي القسم الثّاني من الوحي في قوله ﷺ: «**أوتيت هذا القرآن ومثله معه**»، والموعظة هي القرآن تبيّنه السّنّة قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يُونس].

ولو تُرِك أمر الدّين للفكر لتفرّق الدّين، واحتار المسلم أيَّ فكر أو أيّ مفكّر يتّبع، ولكنّ الله منّ على عباده بحَصْر أمر الإتّباع وقصره على كتابه وسنّة رسوله الصّحيحة فهما وحدهما اليقين من ربّ العالمين بفهم أئمّة الفقه في الدّين من الخلفاء الرّاشدين ثمّ الصّحابة ثم تابعيهم في القرون الخيّرة الذين فضّلهم الله ورسوله على مَنْ يأتي بعدهم. والله وليّ المؤمنين.

كتبه

سعد الحصيّن

مكّة المباركة في ١٩ رمضان ١٤٣٤

من غرائب المخلوقات:
(cnn-ted turner)

١) لقد اخترت كلمة (المخلوقات) تذكيرًا بقول الله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الفُرقان: ٤٤] مهما بلغوا من الإنجاز والتّميّز والغنى.

٢) و(تِدْتِيْرْنَر) مِنْ أبرز مَنْ حقّق الله له الانجاز والتّميّز الدّنيوي في هذا العصر،

والثروة الماليّة إذ ضاعف رأس ماله من تركة والده (مليون دولار) خمسة آلاف ضعف، فعُدَّ (٢٦) من بين أغنى الأغنياء في أمريكا إن لم يكن في العالم.

٣) لم يكن متميّزا في دراسته، وكان مشاغبًا أكثر زمن دراسته، وكان أبوه يضربه لمجرّد أنّه لم يقرأ كتابًا كاملًا في اليومين الماضيين، فإذا بكى ضربه مثلها لمجرّد أنّه بكى.

٤) وفي نهاية المرحلة الثّانويّة مَلَّ من كثرة المشاغبة فلم يجد بديلًا غير محاولة التّميّز، وفرح والده بالتحاقه بكلّيّة متميّزة في

جامعة براون، ثمّ غضب عليه لاختياره التّخصّص في الآداب الإغريقيّة والرّومانيّة النّظريّة على إدارة الأعمال العمليّة.

٥) وفي دراسته الجامعيّة فُصِل مؤقّتًا لمخالفته نظام السّكن الجامعي ـ مع أنّه وافق فكرة والده تغيير تخصّصه لإدارة الأعمال ـ ثم فُصِل مرّة أخرى مؤقّتًا للسّبب نفسه فترك الجامعة نهائيًّا.

وحاول أن يجد عملًا غير تجارة والده في لوحات الإعلانات التّجاريّة، فلم يوفّق، وعاش عيشة الفقراء مع المهاجرين الكوبيّين في ميامي.

وحرصًا على عدم الاضطرار إلى العمل في تجارة أبيه، عاد لأداء واجبه العسكري الاحتياطي في خفر السّواحل فأُعْجِبَ قائد السّفينة التي يعمل فيها بتفانيه في العمل فعرض عليه ترشيحه للدّراسة في أكاديميّة خفر السّواحل، فرفض وفاجأ نفسه وغيره بقوله لقائد السّفينة: (سأعود إلى البيت حيث يوجد أبي)، لقد وجد الصّواب دائمًا في اختيارات والده العمليّة الدّنيويّة، بما في ذلك ضربه وتعنيفه المتكرّر في حياته.

٦) عاد (تِدْتيرنر) إلى العمل في تجارته، وفرح والده بتميّزه على خير العاملين معه، ولم يتمتّع (تِدْ) طويلًا بفخر أبيه إذ قضى الله على والده الموت بعد أن عيّنه مديرًا لأحد فروع تجارته.

٧) ونجح (تد) في تطوير تجارة أبيه إلى درجة التغلّب على جميع منافسيه في الإعلانات التّجاريّة على الطُّرُق السّريعة، ولكنّه ملّ ـ كعادته ـ من هذه التّجارة فاشترى محطّة تلفزيونيّة على شفا الإفلاس، وكان إرسالها ضعيفًا إلى درجة أنّه عجز عن التقاطها على جهاز تلفزيونه عام ١٩٧٠، فاشتراها بمليونين ونصف دولار من أسهم شركته، وظنّ أكثر من حوله أنّ مآله الإفلاس.

٨) كان يكره الأخبار ويعتقد أنّها تسبّب الشعور بالشّقاء لدى النّاس لتركيزها على الشّرّ ومبالغتها في رواية أخباره، ويوكّد أنّ الأخبار لن تكون جزءًا من بثّ محطّته (wtcg)، وملأ ما بقي له من لوحات الاعلانات بالدّعاية لها، ولما عَرَف أنّ الأنظمة الفدراليّة تلزمه ببثّ ٧ساعات من الأخبار في الأسبوع وقَّتَ إذاعة هذه الأخبار السّاعة٣ بعد منتصف الليل حيث ينام أكثر المشاهدين.

لم يوظّف مراسلين، بل كان المذيع يقرأ قصاصات من الجرايد، ولأن (تد) شجّعه على عدم الجدّيّة في بثّ الأخبار اتّخذ الهزل سبيلًا؛ فكان يبثّها أحيانًا وعلى رأسه كيس ورق من البقالة، وأحيانًا يلبس لباس غوريلا، ومرّة أحضر كلبًا ولطّخ فمه بزبدة الفستق ثمّ صوّره وهو يلعقها في الوقت الذي سُمِع فيه صوت (والتركرانكايت) أشهر مذيع للأخبار، وكأنّ الكلب هو مذيع الأخبار.

وركّز على إذاعة الأفلام والمسلسلات المرغوبة، وفي خلال ٣سنوات بدأ (تيرنر) يجني الأرباح من محطّته. وطمعًا في زيادة الأرباح نقل مباريات الرّياضة العنيفة (الكرة والمصارعة) واشترى أحد فِرَق الكرة، وبنى في محطّته ملعبًا للمصارعة، ولكنّ مشكلة ضعف البثّ محتاجة لحلٍّ لتصل برامجه إلى جمهور أكبر، فوجد الحلّ في القمر الصناعي (rca) ولم يسبقه إليه غير(.timeinc) وكان هو الثاني.

٩) ولرغبته في التّحدّي ومحاولة النّجاح فيما حاوله غيره وأخفق فيه؛ غامر بكلّ ثروته لإيجاد أول محطّة إخبارية (cnn) عام ١٩٨٠، وردّ على أسئلة وعلامات التّعجّب: كيف يخاطر بعمله الناجح في سبيل عمل لم ينجح فيه من هو أكبر وأقدر منه في عمل يكرهه: الأخبار، بأنّه يريد أن يتأكّد من قدرته على إنجاحه، وظنّ كبار المستثمرين في الإعلام أنّه سيخفق، وفي البداية كانوا غير بعيدين من الصّواب.

كانت ميزانية (cnn) إثناعشرة مليون دولارا يوم افتتحت، وبعد أسبوع زادت إلى ١٨مليون، وبعد شهر زادت إلى ٣٠مليون، ثمّ واجهت عجزًا ماليًّا قدره ٢٥٠مليون دولارًا، وهو يوكّد أنّها ستنجح نجاحًا باهرًا.

١٠) وبدأت (cnn) تتغلّب على كبرى المحطّات الفضائيّة في أمريكا وفي العالم بسرعة تقديمها أخبار محاولة قتل الرّئيس الأمريكي رَيْكَن وزلزال سان فرانسِسْكو، ثم سقوط جدار برلين وإخفاق ثورة الشيوعيّين على تجديد كورباتشوف، وأهمّ من ذلك كلّه: معركة عاصفة الصّحراء لطرد حزب البعث العراقي من الكويت.

١١) وكان من نتائج تحدّيه للصّعاب ومحاولة تذليلها زيارته لطبيب نفسيّ، (وليته لمّا كان مثلي يَكْره الأخبار والتّكييف كَرِه مثلي الطّبّ النّفسيّ)، فأعطاه الطّبيب علاجًا استمرّ في الاستشفاء به ثلاث سنوات ولم يَرَ منه فائدة فذهب إلى طبيب نفسيّ آخر فكذّب تشخيص الطبيب الأول، وكان العلاج: تغيير عتبة بابه، فطلّق زوجته سيّئة الخلق وتزوّج امرأة أصلح منها له.

وهو متناقض وغريب الأطوار ـ بلغة الإعلام ـ فهو يطالب بتغيير النشيد الوطني الأمريكي بصفته نشيد حرب، ويتبرّع بألف مليون دولارًا للأمم المتّحدة لحفظ السلام، وكان يكره الأخبار لنشرها الشّرّ، وهو يبتكر ويدير ويملك أوّل وأكبر محطّة فضائية لنشر الأخبار في العالم، وينشر رياضة العنف.

ومع أنه يصنّف مع أكبر الأثرياء في العالم فهو يسكن مع زوجته في بيت خشبي من طابقين (وإن كان أكبر مالكي الأراضي)،

ومرّة كاد أن يؤذي نفسه محاولًا التقاط ١٠ سنتات أسفل باب دوّار، وغرائبه يصعب إحصاؤها لأنّ لسانه يسبق عقله، وهو يبذل كثيرًا من الأموال في المحافظة على الأرض والماء والغابات، ولكنّه يفقد أهمّ ما يحتاج إليه، فلم يقل مرّة: لا إله إلّا الله، ولا: اللهمّ اغفر لي خطيئتي يوم الدّين.

كتبه

سعد بن عبد الرحمن الحصيّن

في ١٤٣٤/١٢/٢٩هـ بمكة المباركة

ترجمة سعد بن عبد الرحمن الحصيّن
عفا الله عنه[١]

سعد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصيّن، النّاصري التّميميّ.

أ ـ ولد عام ١٣٥٣ هجرية في شقراء عاصمة منطقة الوشم.

تخرّج من مدرسة شقراء الابتدائيّة عام ١٣٦٧هـ.

تخرّج من مدرسة دار التّوحيد المتوسّطة الثانويّة عام ١٣٧٢هـ الطّائف.

تخرّج من كلّية الشريعة في مكّة المباركة عام ١٣٧٦هـ.

حصل على الدّبلوم العالي من معهد الدّراسات العربيّة العليا في الأدب العربي والدّراسات الاجتماعية بالقاهرة عام ١٣٨٠هـ.

حصل على الماجستير من جامعة جنوب كَلِفورنيا في لوس أنجلس الولايات المتّحدة الأمريكيّة في فلسفة التّربيّة عام ١٣٩٠هـ.

---

(١) هذه الترجمة كتبها الشيخ سعد رَحِمَهُ اللَّهُ عن نفسه لما طُلبتْ منه، رأيت أن أختم بهذا الكتاب.

عمل مديرًا لإدارة البعثات الخارجيّة بوزارة المعارف ٨٠ ـ ١٣٨٤هـ.

عمل مديرًا للإدارة العامّة للثقافة بوزارة المعارف ٨٤ ـ ١٣٨٨هـ.

عمل مديرًا للإدارة العامّة للتّعليم الثانويّ بوزارة المعارف ٩٢ ـ ١٤٠١هـ.

عمل مشرفًا على الدّعوة والدّعاة السّعوديّين في الشّام ١٤٠١ ـ ١٤٢٢هـ.

ب ـ أسّسَ وأشرفَ على إصلاح التّعليم الثانوي بالمملكة ١٣٩٢ ـ ١٤٠١هـ.

أسّسَ وأشرفَ على إصلاح التّعليم الابتدائي والمتوسّط بالمملكة ١٣٩٧ ـ ١٤٠١هـ.

وكان أبرز ما في محاولة إصلاح التّعليم الثّانوي:

- تحميل الطّالب ـ بعد بلوغه مرحلة الرّجولة وتخطّيه مرحلة الطّفولة ـ المسئوليّة عن تعلّمه، اقتداءً بتحميل الله تعالى له سائر التّكاليف، وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النُّور: ٥٩]؛ فَلَمْ يُلْزَم بغير ما ألزمه الله تعالى به: دراسة الدّين واللغة العربيّة، وخُيِّر

في مدّة دراسته بين سنتين وخمس سنوات تقريبًا، وله اختيار الدّراسة في الصّباح أو المساء أو فيهما معًا، واختيار معلّمه، واختيار العلوم الدّراسيّة: الدّينيّة أو الاجتماعيّة أو الرّياضيّات والعلوم الطّبيعيّة، أو غيرها حسب توفّرها.

- وكان أبرز ما في محاولة إصلاح المرحلة المتوسّطة والابتدائيّة: التّقليل مِنْ: بل إزالة التّنافس بين طفلين لم يُسَاوِ الله بينهما في القوّة العقليّة والجسميّة وإبداله بالتّنافس بين ماضي الطّفل وحاضره، وللطّفل أن يدرس عِلْمًا يجيده في صفّ أعلى، وعلمًا لا يجيده في صفّ أدنى.

- وإذا أخفق الطّالب في اجتياز امتحان عِلْمٍ لَمْ يُلْزَم بإعادة غيره، والامتحان يشمل الحضور والسّلوك مع الفهم والحفظ، لا الحفظ وحده، وقد نَجَحَتْ محاولة الإصلاح في التّعليم الثانوي إلى درجة رغبة الوزارة وتنفيذها تعميم الاصلاح في بقيّة مدارسها ولكنها عمدت إلى تعديل المحاولة فلم تمض بضع سنوات حتى أوقف العمل بها. وبقيت محاولة إصلاح الابتدائية والمتوسّطة في (مجمّع مدارس الفهد) بالرّياض حتى اليوم أكثر من (٣٥) سنة بين الحياة والموت.

ج ـ قال سعد:

وكان الشيخ ابن باز أسكنه الله الفردوس من الجنّة يطالبني

أكثر من سنة ونصف بالتّحوّل من العمل في التّعليم العصري إلى التّعليم الشّرعي (الدّعوة إلى الله على بصيرة)، وكنت أعتذر بارتباطي بمحاولة إصلاح التّعليم العصري، فلما أقدمت الوزارة على تغيير منهج الاصلاح، وأسوأ ما فَعَلَتْ: إعادة إلزام الطّالب في التّعليم العام بدراسة اللغة الانكليزية والرّياضيات والعلوم الطّبيعيّة دون اهتمام بقدرة الطّالب وحاجته ورغبته؛ قَبلْتُ اختيار الشيخ ومن فوقه اختيار الله لي فاخترت خدمة الدّعوة والدّعاة في بلاد الشام المباركة مدّة (٢٢) سنة حتى قاربت السّبعين من عمري وتجاوزت سنّ التّقاعد بثمان سنوات، والحمد لله كثيرًا.

و ـ قال سعد:

واخترت ما اختاره الله لعباده في الدّين والدّعوة ولو خالفه الأكثرون:

١) ركّزت على إفراد الله بالدّعاء وكلّ عبادة دون من سواه، ومحاربة الابتداع في الدّين، وشرّه: دعاء غير الله معه (مَنْ سُمِّيَتْ بأسمائهم أوثان المقامات والمزارات والمشاهد والمراقد والأضرحة بخاصّة)، وهو الشرك الأكبر منذ قوم نوح كما في صحيح البخاري وتفسير ابن جرير رحمهما الله عن تفسير ابن عبّاس رضي الله عنهما لقول الله تعالى عن أوثان قوم نوح: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح]، قال: أولئك أسماء

رجال صالحين فلما ماتوا أوحى الشّيطان إلى من بعدهم أن ابنوا في مجالسهم أنصابًا.

وهذه هي سنّة الله ورسله ورسالاته في كلّ زمان ومكان: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النّحل: ٣٦] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبيَاء]، وانشغل أكثر الدّعاة وكلّ الجماعات والأحزاب الدّينيّة بما دونه فخالفوا شرع الله.

٢) وركّزْتُ على تدبّر القرآن و العمل به قبل حفظه وتجويده، ولو انشغل أكثر الدّعاة بتحفيظه عن تدبّره والعمل به، وكان الصّحابة ﷺ وأرضاهم ـ وهم القدوة ـ لا يتجاوزون عشر آيات حتى يعلموا معانيهنّ والعمل بهنّ، وحذّر النبيّ ﷺ من أحداث يقرأون القرآن لا يتجاوز حناجرهم في الحديث المتّفق على صحّته.

٣) ومنذ بلوغي الحُلُم وضَعت سياجًا من النّوافل دون الرّواتب قبل الفرائض حتى إذا انشغلت بجدٍّ أو بهَزْلٍ عن المحافظة على الوقت بَقِيَتْ لي الفرائض، بل وضعت سياجًا من النّوافل دون النّوافل بعد بلوغي الأربعين وتدبّري قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ [الأحقاف: ١٥]، فصلّيت الضحى أربعا حتى لا تقلّ عن ركعتين في حضر ولا سفر إلا أن يشاء الله.

والأليق بضعفي ونقصي وتقصيري: القصد في التّطوّع، فمنذ سمعت حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، واختيار الرسول ﷺ له ثلاثة أيّام من كلّ شهر، وطلبه خيرًا من ذلك حتى استقرّ على صيام يوم وفطر يوم (صيام داود)، ثمّ كَبُرَتْ سنّه وضعفت قوّته وشقّ عليه المداومة على ما اختار لنفسه باختيار الله له ـ ولكنّه داوم رغم ذلك ـ على تنفيذ وعده؛ لم أزد عن صيام الثلاثة أيّام من كلّ شهر.

أمّا صلاة التّطوّع فقد نفعني الله بإحصاء ابن القيّم أسكنه الله وشيخه الفردوس من الجنّة عدد الرّكعات التي كان النبيّ ﷺ يركعها في اليوم والليلة (٤٠) ركعة (١٧) للفريضة (٢٣) للنّافلة، وضمِنَ لمن يدقّ باب الله أربعين مرّة في اليوم والليلة أن يفتح له. ولكن أنّى لمثلي الخشوع وحضور القلب والبراءة من حديث النّفس في الصّلاة مثل ابن القيّم رحمه الله؟ ورجاءَ عفو الله ومغفرته مَنَّيْتُ نفسي لعلّ مجرّد وضع الجبهة والأنف على الأرض (٨٠) مرّة لله وحده في اليوم والليلة أو (٥٨) مرّة (١٧ ركعة للفريضة و١٢ للنافلة) كافية لمن علم الله ضعفه وتقصيره في طلب الآخرة والدّنيا أن يتجاوز الله عنه، ولا أدعوا غيري للاقتصاد في الطّاعة.

واخترت من أقوال بعض الفقهاء رحمهم الله جميعًا تفضيل السّجود على القيام ووضع اليدين على الصّدر في كلّ قيام لأنّهما خاصّتان بالله وحده.

٤) وقد التزمت القصد في المتاع الدّنيوي فلم أشتر سيّارة ولا أثاثًا للزّينة ولم أقْتَنِ جهاز النّداء (بيجر) في زمنه، ولا الجوّال بعده، ولا أكلت وجبة العشاء منذ نصف قرن ولا وجبة الفطور منذ (٣٠) سنة إلا نادرًا ولا شربت القهوة ولا المشروبات الغازيّة أبدًا، ولا دخَلْتُ على حلّاق ولا خيّاط ولا شربتُ الشّاي منذ (٤٠)سنة، ولا تزوّجت غير واحدة قبل (٥٢)سنة.

٥) وقد فضّلني الله على أكثر خلقه بما لا أحصيه وأهمّه:

- إذْن الله لي بكثرة ذكره وشكره وعبادته وحده لا شريك له، وبالأخصّ: الدّعاء لأنّه: «**هو العبادة**»، ولأنّه الفرقان اليوم ـ والأمس غالبًا ـ بين التّوحيد والشّرك، فأكثر المنتمين للإسلام اجتالتهم الشياطين إلى الشرك لا يسجدون لوثن المقام والمزار والضّريح بل يدعون من سمِّيَ باسمه ويطلبون منه المدَد وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العَنكبوت]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأحقاف]، والآيات مثلها كثيرة، والدّعاء ذكر لله ينتفع به المدعوّ له وينتفع به الدّاعي إذ تدعوا له الملائكة بالمثل. وخلافًا لما ورد عن بعض السّلف من تقسيم الدّعاء إلى دعاء عبادة ودعاء

مسألة؛ اخترتُ تقسيم غيرهم الدّعاء إلى: دعاء ثناء ودعاء مسألة فكلٌّ منهما عبادة.

- تقديم تدبّر القرآن على حفظه وتجويده، أما الحفظ فنافلة، وأمّا التّجويد فأكثر قواعده المحدثة لا يسندها الدّليل الشرعي كما ذكر ابن باز وابن عثيمين ورواه عن شيخه ابن سعدي، واستشهَدَ بتحذير ابن تيميّة رحمهم الله جميعًا من أن ينشغل المسلم بعلوم القرآن المحدثة عن التّدبّر، وهو سبب نزوله.
- الحرص على الوقوف على رأس كلّ آية في الصلاة وخارجها كما شرع الله وسنّ رسوله، والدّعاء والثناء بعد كلّ آية بما يناسبها، وإن أهملها الأكثرون بمن فيهم أئمّة المساجد التي تُشَدُّ إليها الرّحال.
- استفتاح الصلاة ـ فريضة ونافلة بكلّ ما صَحَّ أو حَسُن عن النّبي ﷺ حتى لا يأخذ اللسان على استفتاح واحد لا يعيه القلب.
- إتّباع الصّحيح من سنّة النّبي ﷺ في الاعتقاد والعبادة والمعاملة بهذا الترتيب وعدم التّكلف في العلم ولا العمل.
- الالتزام بالدّليل من القرآن والسّنّة بفهم الصّحابة ومن تبعهم بإحسان في القرون الخيّرة، ونبذ التّقليد وشدّ الوسط لغير المعصوم ﷺ.

- التّدَيُّن والدّعوة إلى الله تعالى على منهاج النّبوّة لا المناهج المحدثة.

- شكر الله تعالى على منّته عليّ بالإسلام، ومنّته عليّ بالسّنّة، ومنّته عليّ بالمواطنة في خير أرض الله حيث بنى الله بيته فيها، وأرسل خاتم رسله من أهلها، وأنزل كتابه وسنّة رسوله بلسان أهلها، وجدّد دينه بولاتها وعلمائها منذ منتصف القرن الثاني عشر من الهجرة إلى هذا اليوم؛ فميّزها على كلّ بلاد المسلمين وولاياتهم بذلك منذ ألف سنة؛ فهدمت أوثانها (من المقامات والمزارات) ثلاث مرّات فلا تجد فيها مسجدًا واحدًا بني على قبرٍ ولا زاوية صوفيّة ولا بدعة من البدع المنتشرة في المساجد والصّلوات والمآذن في جلّ بلاد المسلمين وولاتهم.

- ولم أحمّل مسلمًا إثمًا ولم أدْعُ الله أن ينتقم لي منه إذا اعتدى عليّ بقول أو فعل، لعلّ الله أن يعفو عن نقصي وتقصيري في أداء حقّه عليّ بالشكر والذّكر وحسن العبادة.

- الدّعاء للمسلمين بالهداية والمغفرة والرحمة ولغير المسلمين بالهداية.

- الدّعاء بالصّلاة والسلام والبركة على رسول الله ﷺ وعلى جميع أنبياء الله ورسله وأوليائه وآلهم وصحبهم، وأدعوا

بالمغفرة والرّحمة والجنّة والنّجاة من النّار للمجدّدين من عُلماء السّلف: أحمد بن حنبل الذي درسنا الفقه على مذهبه وجعله الله قدوة في الثبات على دينه يوم امتحنه المأمون والمعتصم والواثق تجاوز الله عنهم بفرية خلق القرآن، والبخاري ومسلم الذين التزما بصحّة ما جمعاه من الحديث، وابن تيميّة وابن القيّم الذين حملا علم السّنّة يوم تكاثفت ظلمات الابتداع في الدّين، ومحمد بن عبد الوهّاب ومحمد ابن سعود وعبد العزيز وسعود، ثمّ تركي وفيصل، ثم عبد العزيز وأبنائه الذين جدّدوا الدّين في كلّ قرن من ولايتهم.

- الدّعاء للمريض بالشّفاء وللميّت بالمغفرة وللمدين والسّجين والخائف بالفرج، وأن يحفظ الله بلادنا قدوة صالحة للمسلمين إلى يوم الدّين.
- الرّضا بقسمة الله وشكره عليها، وقد وجدت من فضل الله بذلك عليّ ما خشيت أن يكون استدراجًا وعوضًا عن الأجر الأخروي، والحمد لله أوّلًا و آخرًا.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
من مجدّدي الدين: أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ	٧
والدي عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصيّن رَحِمَهُ اللَّهُ	١٦
أخي في الدّين والوطن والنسب صالح الحصيّن رَحِمَهُ اللَّهُ	٣٠
جدّي (العمّ) عبد العزيز تلميذ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُمَا اللَّهُ	٣٩
الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ رمز الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر	٤٩
الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ حين وحيث تطلع الشمس	٥٤
أمير العلماء وعالم الأمراء أبو خيرَيْن/ الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ	٥٩
ترجمة العلاّمة عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ	٦٦
الشيخ صالح الفوزان خليفة ابن باز أسكنهما الله الفردوس	٦٨
العلامة محمد العبودي مثل بارز للإنتاج العلمي والعملي	٧٤
يوسف البرقاوي أوّل دعاة التّوحيد والسّنّة في الأردن	٨٠
عن حياة عبد الله الطريقي رَحِمَهُ اللَّهُ برواية صحفيّة إنكليزيّة	٨٤
قدوات دينية وقدوات دنيوية	٩١
الأستاذ عثمان الصالح يضرب مثلاً	٩٦
المنفلوطي أبرز كتّاب مصر يبكي على التوحيد	١٠٢
الشعراوي كما عرفته تجاوز الله عنه	١١٢

الموضوع	الصفحة

أبو عبد المجيد..أستاذ الأجيال ١١٧
ابن شقراء المبارك د. محمد بن سعد الشويعر ١٢٥
الشيخ محمد نسيب الرفاعي يضرب مثلاً ١٣١
أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري قمة القمم العربية ١٣٧
أنا والقصيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وخَلَفَه في أهله بصلاحهم ١٤١
عبد الله فلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ والتميز الدنيوي ١٥١
البنكالي محمد يونس يضرب مثلاً ١٦٩
الملك حسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولعنة الهاشميّين [١] ١٧٤
الملك حسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولعنة الهاشميين [٢] ١٧٨
الملك حسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولعنة الهاشميّين [٣] ١٨١
دولة الرئيس الميقاتي يضرب مثلاً ١٨٥
أبو العلاء المعرّي خير من المتنبّي ١٩١
صديق فرنسي لمحمد علي يصف محاربته للدّين الحقّ ٢٠٢
ك.سنوك هِرْكرونيه (عبد الغفار) وكتابه الفريد عن مكّة ٢٠٨
مراد هُفْمَنْ أجدر ألاّ يعلم حدود ما أنزل الله ٢٢٨
من غرائب المخلوقات: (cnn-ted turner) ٢٣٤
ترجمة سعد بن عبد الرحمن الحصيّن عفا الله عنه ٢٤٠
فهرس الموضوعات ٢٥١